المملكة العربية السعودية
وزارة التعلـــــيم العالي
جـــامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الاسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

التاريخ السياسي والحضاري لمكة المكرمة

مــــن خلال

كتاب نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى

لمؤلفه جار الله محمد بن فهد

(٨٩١-٩٥٤هـ/١٤٨٦-١٥٤٧م)

"دراسة نقدية مقارنة"

رســـالة مقدمة لنيل درجة الدكتـــوراة فـــي التاريخ الاسلامي

"المجلد الثاني"

اعداد الطالب

عائض محمد عائض الزهراني

إشـــراف:

أ.د. محمد المنسي محمود عاصي

١٤١٩هـ/١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً وآخراً

الفصل الخامس

الحياة الثقافية

سنحاول في هذا المبحث المهم أن نتتبع الرصد التاريخي والحضاري لمؤلفنا جار الله بن فهد الذي حباه الله بذاكرة حافظة وعين لاقطة وقلم مطواع يسجل به يوماً بيوم، مختلف الظواهر والأنشطة الثقافية وأبرز رجالاتها، وأن كنا حاولنا في هذا المبحث أن نملأ الفراغ التاريخي وبعض الفجوات الحضارية التي لم يشر اليها ابن فهد، حتى نستكمل المبحث خاصة أنه يؤرخ لفترة من اهم فترات التاريخ الثقافي لمكة المكرمة ونحب أن نؤكد أن ما نذكره لسد هذه الفجوات التاريخية ليس استطراداً مخلاً ولا تطويلاً مملاً وإنما هو الاطار الموضوعي الذي يوضح لنا الصورة التاريخية بالاضافة الى ما تركه جار الله من مذكرات يومية لها القيمة الاكبر في الاعتماد عليها والاستشهاد بها.

يحتل العلم الميدان الأرحب في تكوين حضارات الشعوب، ورقي فكرها، ولا شك أنه كان السلاح الأمضى في مكة المكرمة حتى نكاد نجزم أن مساهمة المدنية الإسلامية في الحضارة العربية الاسلامية لم تقف عند النواحي الشرعية فقط بل تعدى ذلك الى شتى العلوم والمعارف الأخرى.

والحياة العلمية في مكة في عهد الاشراف حياة حافلة بالصفحات المضيئة والمشرقة بالإنجازات التي تثير في نفس المسلم الشعور بالزهو والفخار لما سطره الأجداد بأحرف من نور في سفر التاريخ العالمي.

فقد ورد في القرآن الكريم العديد من الآيات التي تحث على العلم والتعليم قال تعالى في محكم التنزيل:﴿وقل رب زدني علماً﴾[1]، وقال في آية أخرى:

---

(١) سورة طه- آية ١١٤.

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات﴾[1]، وقال تعالى: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾[2].

وقد جاءت أقوال وأفعال رسول الله صلى الله عليه وسلم مطابقة لما ورد في القرآن الكريم وروى عن النبي أحاديث كثيرة تحض على طلب العلم وترفع من شأن طالبه منها قوله عليه الصلاة والسلام: ﴿تعلموا العلم وعلموه الناس وتعلموا الفرائض وعلموها الناس فإني امرؤ مقبوض، وأن العلم سيقبض وتظهر الفتن حتى يختلف الاثنان في الفريضة لايجدان أحداً يفصل بينهما﴾[3] وروي أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم من بعض حجره فدخل المجلس فإذا هو بحلقتين احدهما يقرأون القرآن ويدعون الله والأخرى يتعلمون ويعلمون فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿كل خير. هؤلاء القوم يقرأون القرآن ويدعون الله. فإن شاء اعطاهم وان شاء منعهم. وهؤلاء يتعلمون ويعلمون، وإنما بعثت معلماً ثم جلس معهم﴾[4]

وهناك أيضاً أقوال مأثورة عن الصحابة رضوان الله عليهم تبين فضل العلم، فمن أقوال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ﴿العلم خير من المال، العلم يحرسك وانت تحرس المال، والعلم حاكم والمال محكوم عليه﴾[5].

---

(١) سورة المجادلة- آية ١١.

(٢) سورة الزمر- آية ٩.

(٣) الدارمي-**سنن الدارمي**- ص٢٤.

(٤) ابن ماجه- **سنن ابن ماجه**- ج١ -ص٨٣.

(٥) محمد عبده-**نهج البلاغة**- ج١- بيروت- دار المعرفة- ١٩٧٣م- ص٢٣١.

ومن مميزات التعليم في فترة الصحابة اقتصاره على قراءة القرآن وتفسيره ومايستخرج منه من المواعظ والقصص وذلك أن همَّ الصحابة الأول كان تعليم القرآن الكريم، واقتران هذا العلم بالعمل حتى أن الصحابي معاذ بن جبل رضي الله عنه كان لا يكتفي بالعلم وحده للانسان الا اذا اقترن بالعمل فيقول: ﴿اعلموا ماشئتم ان تعلموا، فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعملوا﴾[1] بذلك أذكى الإسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب إذ دفعهم دفعاً قوياً إلى العلم والتعلم، فلم يمض نحو قرن حتى أخذت العلوم اللغوية والدينية توضع أصولها أخذ العرب يلمون بما لدى الأمم المفتوحة من ثقافات متباينة، وقد مضوا يتقصونها وينقلونها بكل موادها إلى لغتهم، ونهض التعليم حينئذ نهضة واسعة وأسهم العرب في بناء صرح علمي حي.

ان المؤلفات التي صدرت في القرن التاسع والعاشر الهجري بلغت عشرات الآلاف وحسبنا دليلاً أن بعض العلماء عرف عنهم انهم ألفوا مئات الكتب كالإمام السيوطي ٩١١هـ/١٥٠٦م والسخاوي ٩٠٢هـ/١٤٩٦م ويقاربهم في عدد المؤلفات المؤرخ جار الله بن فهد[2].

والحقيقة أن الازدهار العلمي والفكري الذي شهده الحجاز في عهد الأشراف لم يولد من فراغ فهو ثمرة لبذرة غرست قبل هذا العهد. إذ المعلوم أن الحياة الفكرية ماهي إلا سلسلة متعددة الحلقات وكل حلقة تعتمد على الحلقة التي أتت قبلها وتؤسس للتي تليها.

---

(١) القرطبي -**الجامع لأحكام القرآن**- ج١- ص٤.

(٢) **نيل المنى**- ص١٧-٣٥-٧٨-١٤٠.

بذلك شهدت مكة المكرمة في القرن العاشر الهجري تقدماً علمياً شمل جميع ميادين العلوم وظهر ذلك واضحاً في تلك الأعداد من العلماء والفقهاء الذين حفل بهم هذا العصر والذين أسهموا بمؤلفاتهم ودراساتهم في إثراء الحياة العلمية في مكة المكرمة، بل وفي العالم الاسلامي كله[1].

وكان لهذا الازدهار العلمي والنشاط الفكري عوامل عديدة ساعدت على أن يؤتي ثماره وأن يضيف لبنات في بناء الصرح الحضاري للأمة الإسلامية.

(١) نيل المنى- ص٣٦٠-٣٦٤-٣٦٨-٤٠٠.

ومن العوامل المؤثرة في الحياة العلمية:

ويشير جار الله بن فهد الى هذه العوامل اثناء رصده للحياة الثقافية في مكة المكرمة مبيناً أهميتها وبيان أثرها في تقدم الحياة العلمية.

أولاً: مواسم الحج:

الحج ركن من أركان الإسلام سابق على ظهوره بأكثر من عشرين قرناً، فرض على ابراهيم عليه السلام فقد أمره الحق سبحانه وتعالى بإقامة القواعد من البيت وتطهيره، وتجلى هذا في قوله تعالى: ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئاً، وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود﴾[1].

وهكذا بدأت فريضة الحج تتضح معالمها بعد إقامة القواعد وتطهير البيت العتيق وجاء الأمر ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[2].

وأدى ابراهيم عليه السلام التكليف وعلم الناس مناسكهم عبر البقاع المقدسة، وتوارث أبناء ابراهيم أداء الفرض، وظلت الحنيفية ملة أهل أم القرى حتى جلبت الوثنية الى أطهر بقعة، ودنس طهر البيت ولكن ظل العرب يؤدون الحج ويعظمون البيت، وأشرق فجر الإسلام واتخذ من مكة المكرمة

---

(١) سورة الحج- آية ٢٦.

(٢) سورة الحج- آية ٢٧.

موطناً وعاد الإسلام إلى موطنه بعد فتح مكـة وفي موسـم الحـج جـاء إعـلان عالمية الإسلام بعرفات وبه اختتمت الرسالة[1].

ثم زادت أهمية قداسة الحرمين وفريضة الحج واستحباب زيـارة قـبر الرسـول صلى الله عليه وسلـم بالمدينة جعلت لهـذا البلـد مكـانة قدسية هيـأته أن يكـون قبلة العلمـاء وكعبـتهم يقصدونه من كل حدب وصوب، ومن أولى بتلبية نداء الله من العلماء العاملين بالدين قال تعـالى: ﴿وإنمـا يخشـى الله مـن عبـاده العلمـاء﴾[2] ﴿أمـن هـو قـانت آنـاء الليـل وأطـراف النهـار سـاجداً وقائماً﴾[3] من أجل هذا كان يقصد مكة المكرمـة مئـات العلمـاء كـل عـام. بذلك يكون موسم الحج مكاناً للقاء العلماء من كافة أقطار العالم الإسلامي، فيتدارسون فيما بينهم مشاكل المعرفة ومايعرض مـن أمـور الواقـع ويأخذون عن بعضهم البعـض الحديـث والتفسـير والفقـه واللغـة العربيـة وشـتى العلـوم والمعارف الأخرى ويعود أكثرهم إلى بلاده وقد شعر بما استفاد ويعاود الكرة مرات ومرات[4].

أما ثمرة هذا الاجتماع الديني والعلمي الواسع النطاق فقد تمثلت في عدد كبير من المؤلفات والرسائل والمصنفات ارتبطت ولادتها بموسم الحج ولتجعل منه مركزاً خصباً من مواسم الفكر الإسلامي في القرن العاشر الهجري[5].

---

(١) عماد الدين خليل-**دراسات في السيرة**- ط١٠- بيروت- مؤسسة الرسالة- ١٩٨٦م-ص٦.

(٢) سورة فاطر- آية ٢٨.

(٣) سورة الزمر- آية ٩.

(٤) **نيل المنى**- ص٧١-٩٨-١١٥-١٢٨-١٦٥-٢٢٠-٢٧٥-٣٨٠-٤١٥.

(٥) **المصدر السابق**- ص٧٢-١٠٢-١٠٥-٢٩٠-٣٦٠-٣٨٢.

ثانياً: اهتمام امراء الحجاز بالحركة العلمية:

ان الباحث في التاريخ الحضاري لإمرة مكة المكرمة يجد أن جهود هذه الإمرة قد أسهمت الى حد كبير في ذلك التقدم العلمي الذي شهدته بلاد الحجاز عامة ومكة المكرمة خاصة في فترة حكم الاشراف ويظهر ذلك من أعداد العلماء الذين حفلت بهم كتب التراجم، كما أن غزارة الإنتاج العلمي المتمثل في كثرة المؤلفات في جميع فروع المعرفة شاهدة على مبلغ هذا التقدم[١].

وقد كان لبعض امراء الحجاز أثّر في ازدهار الحركة العلمية، ولكن هذا الدور لم يكن بصورة كبيرة، ويعود ذلك إلى عدم الإستقرار السياسي في الحكم، وإنشغالهم بالحروب والفتن التي وقعت بينهم[٢].

إذ أنه خلال هذه الفترة لم نلاحظ إلا القليل منهم، ممن كان له إهتمامات علمية، بل أن منهم من كان له مواقف أثرت على العلم والتعليم والعلماء بشكل سلبي، في الوقت الذي كان يجب عليهم دفع حركة التعليم، لاسيما وأنهم يحكمون منطقة كان يجب أن يكون لها الدور الأساسي في توجيه الحركة الفكرية.

ولكن على الرغم من ذلك، فالمصادر التاريخية المكية تذكر لنا البعض منهم، ممن كان لديه توجه علمي ملحوظ، ورغبة في العلم. فقد كانت مجالسهم في القرن التاسع والعاشر الهجريين ندوات تحفل بكبار العلماء كما تتجلى في

---

(١) **نيل المنى**- ص ٧٢-١٠٢-١٠٥-٢٩٠-٣٦٠.

(٢) النجم بن فهد-**اتحاف الورى**- ج١- ص١٣٦- العز بن فهد-**غاية المرام**- ج٢- ص٦٣.

كثير من الامُـراء روح البحـث العلمـي، وكـان بعـض منهـم يتمتـع بالذكـاء والحرص على مجالسة العلماء طلباً للعلم لشغفهم به. كما حدّث كثير منهم بمكة المكرمة ومصر[1].

ومن أشهر تلك المجالس مجالس الشريف حسن بن عجـلان، وابنـه بركـات، وحفيده محمد، فكانوا من أمراء مكة في القرن التاسع الهجـري، الذيـن كـانوا يتميزون بكفاءة علمية فائقة. وكان لهم دور رائد في تنشـيط الحركـة العلميـة بالحجاز.

ولقد كان من أمراء الحجاز الذين اشتهروا بإنتمائهم إلى العلم والعلماء وأشار الى بعضهم جار الله بـن فهد مبيناً آثارهم العلمية من عمارة وانشاء مكتبات ومدارس ورصد اقوال وأوقاف لطلبة العلـم، فمنهـم محمـد بـن بركـات بـن حسن بن عجلان (ت٩٠٣هـ/١٤٩٧م) الذي كان لنشـأته أثـر كبير فـي سيرته وفي موقفه من النشاط العلمي فـي الحجاز، فقد حصل له مـا لم يحصل لأحد من أمراء مكة من الرياسـة والحشـمة والهيبـة والعظمـة والعز والوقـار، وكانت أيامه كثيرة الأمن والرخاء[2]. مما جعل مكة في ولايته مقصـودة مـن كل الآفاق وذلك للحج، أو المجاورة، والأخذ من علمـاء الحرمـين الشـريفين، فحيثما يتوفر الجو العلمي الجيد والاستقرار والأمن وتشجيع العلماء، والأخـذ بأيديهم تجد توافد العلماء واهتمامهم جلياً، وهذا ماحدث فعلاً في أيامه، فقد

---

(١) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة١١١ب- **نيل المنى**- ص١١٧-١٩٨-٢٣٠- النهروالي- **الاعلام**- ص٩٨.

(٢) العز بن فهد-**غاية المرام**- ج٢- ص٥٩٨.

زادت نسبة المجاورين في عهده عن العهود السابقة، ويتضح ذلك من خلال كتب التراجم التي تحدثت عن المجاورين في القرن التاسع الهجري[1].

ومن حبه وشغفه بالعلم والتعليم نجد أنه قام ببناء مدرسة أشار إليها إشارة عابرة جار الله بن فهد[2].

وقد أجازه جماعة من المشايخ، بل ودخل في إجازات جماعة أجازوا لأهل مكة، ومن هؤلاء المشايخ الذين أجازوا له استدعاءً عبد الرحمن بن خليل القابوني (ت ٨٦٩هـ/١٢٦٤)[3] وسعد الدين الديري (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م)[4]، وابن عماد الأقفهسي[5] (ت ٨٦٧هـ/١٤٦٢م) وغيرهم من العلماء[6].

---

(١) انظر مثالاً على ذلك كتاب السخاوي الخاص بهذا القرن-**الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**-.

(٢) **نيل المنى**- ص٣٧٤.

(٣) عبد الرحمن بن خليل بن سلامه بن يونس الاذرعي القابوني، الشهير بابن خليل، زين الدين، ولد سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م، بدمشق وسمع الحديث ببلده ومصر والخليل- انظر ترجمته في: النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٢٥- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٤- ص٧٦.

(٤) هو سعد بن محمد بن عبد الله بن سعد الشهير بابن الديري، ولد سنة ٧٦٨هـ/١٣٦٦م ببيت المقدس، وسمع الحديث على كثير من العلماء، وأخذ الفقه عن والده وغيره، ودرّس بعدة مدارس وأفتى- ترجم له: النجم فهد-**معجم الشيوخ**- ص١١٥- ص١١٦- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٣- ص٢٤٩- السيوطي-**نظم العقيان**- ص١١٥- الشوكاني-**البدر الطالع**- ج١- ص٢٦٤.

(٥) والأقفهسي نسبة الى أقفهس بفتح أوله وسكون ثانيه، وهي اسم بلدة بصعيد مصر من كورة بهنسا. انظر: ياقوت الحموي-**معجم البلدان**- ج٧- ص٢٥.

وهو محمد بن احمد بن عماد بن يوسف الأقفهسي المصري، ولد سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م وسمع على كثير من علماء الحديث- ترجم له: النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٢٠٦- ص٢٠٧- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٧- ص٢٤.

(٦) السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٧- ص١٥١- العز بن فهد-**غاية المرام**- ج٢- ص٥٠٦.

وامتاز بالعلم والمعرفة الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان (ت٩٣١هـ/١٥٢٤م). فرغم الأحداث السيئة التي حصلت في عهده، واشتداد النزاع على الحكم بينه وبين اخوته(١)، ومما تجدر الاشارة إليه إن إمارة مكة لم تنعم بالإستقرار السياسي الكامل إلا في أواخر عهده(٢) إلا أنه كذلك اهتم بالعلم والعلماء، ودخل القاهرة في سنة ٨٧٨هـ/١٤٧٣م(٣) يرافقه قاضي مكة البرهان بن ظهيره فأكرمه السلطان قايتباي ومن دونه من الأمراء موردهما وأشركه مع أبيه في الأمارة وازداد مركزه وأهميته حتى صار مرجعاً في جُل الأمور(٤).

وفي رحلته هذه سمع الحديث الشريف على المسند شهاب الدين احمد النشاوي (ت٨٨٤هـ/١٤٧٩م)(٥) وحضر مجلس ختمه وبدايته(٦)، وتكررت رحلاته الى القاهرة فيذكر السخاوي أنه رآه أكثر من مرة، وقام بزيارته في سنة ٨٩٨هـ/١٤٩٢م حيث حضر أحد مجالسه العلمية بأدب وسكون(٧) وقد

---

(١) انظر أمثلة على ذلك، العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة ١٠٠ب- حتى وفاة مؤلف الكتاب سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م ورقة ٢٣٠ب.

(٢) **نيل المنى**- ص٢٨.

(٣) النجم بن فهد-**اتحاف الورى**- ج٤- ص٥٦٥- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٣- ص١٤.

(٤) السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٣- ص١٤- العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة ٩٨أ.

(٥) هو احمد بن عبد القادر بن محمد بن طريف الشهاب النشاوي، ولد عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م سمع على كثير من العلماء والعالمات، وتولى عدة وظائف في التدريس وحدّث بالبخاري وغيره وصار فريد وقته-ترجم له: السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١- ص٣٥٢.

(٦) ابو الخير مرداد-**المختصر من كتاب نشر النور والزهر**، ص١٤٢.

(٧) السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٣- ص١٤.

أجازه من عدة بلدان جملة من المشايخ[1] من ضمنهم الشهاب الحجـازي (ت ٨٧٥هـ/١٤٧٠م)[2].

وكان من نتائج حبه للعلم وتقريبه للعلماء والإغداق عليهم بالأموال والعطايا أن ازدهرت حركة التأليف في عهده، حيث ألف له العز بن فهد مؤلفـاً سماه "غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام"[3] كما خرّج له جار الله بن فهد، عن أربعين شيخاً من المشايخ أربعين حديثاً في فضـل أهـل البيـت النبـوي سماهـا "غاية الأمـاني والمسرات بعـلو سلطان الحجاز أبي زهير بركات"[2] وذلـك فـي عام ٩١٦هـ/١٥١٠م[4] كما أجازه الشريف بركات في استدعاء كتبـه إليه الشيخ جار الله عام ٩١٥هـ/١٥٠٩م[5].

أما الشريف محمد بن بركات بن محمـد بـن بركـات (ت ٩٩٢هـ/١٥٨٤م) وهو ابرز من ظهر في هذا العصر بمكة من حكامها ولقد تحدث جار الله بـن فهد في نيل المنى عن أبرز آثاره العلميـة ومنزلـة العلمـاء وطـلاب العلـم لديـه

---

(١) العصامي- **سمط النجوم العوالي**- ج٤- ص٢٨١- ابو الخير مرداد-**المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص١٤٢.

(٢) احمد بن محمد بن علي بن حسن الأنصاري العبادي شهاب الدين الحجازي، ولد عام ٧٩٠/١٣٨٨م بالقاهرة واشتغل بالحديث وعني بالادب- ترجم له: النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٣٤٥- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٢- ص١٤٧.

(٣) العصامي- **سمط النجوم العوالي**- ج٤- ص٢٨١- ابو الخير- **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص١٤٢.

(٢) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص١٣- مقدمة المحقق- العصامي-**سمط النجوم العوالي**- ج٤- ص٢٨٠- ص٢٨١.

(٤) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة ١١٨ب.

(٥) **المصدر السابق**- ورقة١٣٥ب.

ويعتبر ابن بركات اعظمهم همة وأوسعهم علماً وأكثرهم آثاراً واتسعت شهرته وفاق أقرانه، وقد استمر في اعتلاء امرة مكة فترة طويلة، بلغت تقريباً ثلاث وسبعين سنة فقد شهد عهده مرحلة من أهم مراحل إزدهار الحياة العلمية في القرن العاشر الهجري، فقد كان كأسلافه معدوداً ممن يحبون العلم ويقدر العلماء ويكرمهم ويكن لهم التبجيل والتعظيم[١] فهو ممن داوم على قراءة القرآن وحفظ الكثير منه، وحفظ متون الأحاديث وله إجتهادات فقهية يرجع إليها فقهاء عصره[٢] كما كان جامعاً لأشتات الفضائل يستمتع بسماع الشعر وله النثر الفائق والشعر الرائق[٣] .

وكان يجتمع عنده من العلماء للبحث والنظر عدد كبير يستقدمهم إليه من شتى البلاد ويروي لنا جار الله بن فهد أن الشريف ابونمي -مع عظمته- كان إذا دخل عليه العالم المتبحر في شتى العلوم والمعارف يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه الى جانبه كأنه أقرب الناس إليه[٤] .

ويشير الى ذلك جار الله بن فهد في قوله ((...وأذن لهم في الدخول عليه بعد ساعة وصولهم فجلسوا في المنزل حتى قدم القاضي برهان الدين بن ظهيره، فنزل إليه الشريف وعظمه بحضرتهم وأصبحوا يترددون على الشريف)).

---

(١) **نيل المنى**- ص ٧٨-١٢١-٢١٥-٢٤٧-٢٦٥-٣١٣.

(٢) **المصدر السابق**- ص ٦١-٧٣-٢٠٦.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣٨-٧٧.

(٤) **المصدر السابق**- ص ٣٢٧-٣٢٨.

ومن أعظم المنشآت التعليمية التي شهدتها مكة المكرمة في عصره وفترة حكمه إنشاء المدارس العثمانية على المذاهب الأربعة[١] .

وهنا نلاحظ أن النشاط الديني العلمي في عهده كان يتكاثف فكان مجلسه يضم أعداداً كبيرة من العلماء ورجال الدين وإذا انتقل من مكان إلى آخر سار في ركابه رجال العلم تيمناً بصحبته حتى لو استقر خارج مكة في بساتينه بوادي فاطمة عدة أشهر[٢] .

وتجدر الاشارة إلى أنه ظهر إلى جانب هؤلاء الأمراء بالحجاز والذين اهتموا بالحركة العلمية، عدد من الأمراء الآخرين، كانت لهم اهتمامات متعددة في العلوم الشرعية والأدبية، ولكن اهتمامهم ذلك لم يكن بقدر اهتمام اولئك السابقين.

وهكذا فإن طبيعة إمرة الأشراف التي شجعت العلم وحثت عليه ثم وجود هذا الطراز من الأمراء العلماء ساعد على إنتعاش وازدهار الحياة الفكرية في المجتمع المكي.

وفي ظل هذه الإمرة -التي كان رجالها من هذا الطراز- اشتهرت بأنها راعية للعلم والفكر والأدب.

---

(١) النهروالي-**الاعلام**- ص٣٥١- القطبي- **اعلام**- ٢٩٢.

(٢) **نيل المنى**- ص٢٣-٥٦-٩١-١٣١-٢٥٥.

ثالثاً: اهتمام سلاطين وأمراء العالم الاسلامي بالحركة العلمية:

ويواصل جار الله رصد الظواهر الثقافية والعوامل المؤثرة فيها وهو أمين عند الحديث عن اهتمام سلاطين وامراء العالم الاسلامي بالحركة العلمية في مكة المكرمة فيصف لنا اهتمام الكثير منهم بالحركة الثقافية والعلماء وطلاب العلم وسنراه في كثير من المواطن من هذا المبحث يحدثنا عن مآثر السلاطين والامراء في هذا المجال خاصة سلاطين المماليك وسلاطين آل عثمان وبعض ملوك السند.

حظي العلم والتعليم في مكة المكرمة باهتمام كبير من دولة المماليك التي اعتلت سلطة العالم الإسلامي بعدما اسقطت الدولة الأيوبية و لم يرضو لأنفسهم أن يكونوا أقل منهم شأناً في نشر الحركة العلمية والدراسات الاسلامية في عصرهم، فالمدارس التي ورثوها عن بني أيوب عملوا على ازدهارها وتطويرها والعناية الفائقة بها، كما أنهم أنشأوا مدارس متعددة في كل أنحاء مصر والشام والحجاز وتعيين هيئتها العلمية وموظفيها ووقف الأوقاف الغنية عليها من أجل نشر العلم والثقافة واستمرار دورها كمركز اشعاع ومعرفة[١].

وعلى الرغم من أنهم لم يكونوا عرباً، فإنهم كانوا مسلمين يحكمون بلداً إسلامياً، ولابد لهم على الأقل لأسباب سياسية أو غيرها، أن يهتموا ويظهروا الإهتمام بالإسلام –الذي اعتنقوه– ويخلصوا له، ويتحمسوا لعلومه وثقافته

---

(١) عبد السيد، حكيم أمين- **قيام دولة المماليك في مصر والشام**- بيروت- دار النهضة العربية- ١٩٦٩م- ص٤٦.

وآدابه، ولغتـه. ولعـل سـبب اهتمـام سـلاطين المماليك بـالعلم وأهـل العلـم واحتضانهم لهم، يعـود إلى هجـرة الكثـير مـن العلمـاء مـن المشـرق والمغـرب الإسلامي إلى مصر والحجاز[١] بعد اجتياح المغول للشرق الإسلامي ودخولهم بغداد وبلاد الشام، فاستقر المقام بالكثير من هؤلاء العلماء في مصر التي أصبح لها دور الريادة السياسية والفكرية بعد تحرير بلاد الشام مـن أيـدي الصيبيين، ومما سـاعد عـلى النهوض بالحركة العلميـة اهتمام الكثير مـن سلاطين المماليك والأمراء بالعلم والعلماء وكانوا على جانب كبير من العلـم والمعرفـة والفضل، وتصدر بعضهـم للإقـراء والتدريـس، فالظـاهر بيـبرس أول سـلطان مملوكي رفع المتصلين بالمعرفة وخص المؤرخين بفائق الود وكان يقول "سمـاع التاريخ أعظم من التجارب"[٢] وابو الفتح ططر كان سلطاناً عالماً[٣] .

كما اهتم كثير من السلاطين باللغة العربية وعلومها، لأنها اللغة التي أنزل بها القرآن الكريم، ولأنها لغة العالم الإسلامي، فلابد من كتابة التقاليد وما يخص القضاء والتشريع باللغة العربية.

كما حظيت مكة المكرمة باهتمام خـاص مـن سـلاطين المماليك لما لهـا مـن مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، فأنشأوا المدارس المتعددة فيهـا لكـي تكـون ملتقى لطلبة العلم من أهل مكة وأطراف الحجاز، ومن يفد اليها مـن العلمـاء

---

(١) ابن تغري بردي-**المنهل الصافي**- ج٣- ص٢١٠- ص٢١١- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص١٢- سعيد عاشور-**المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**- الطبعة الاولى- القاهرة- النهضة العربية- ١٩٦٢م- ص١٤١.

(٢) ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٧- ص١٨٢.

(٣) **المصدر السابق**- ج٧- ص١٦٤.

والطلاب من خارجه كما أجزلوا العطاء لأهل الحرمين والمدرسين والقضاة[١] لتصبح بعد ذلك محوراً إسلامياً يستمد منه العلماء الإلهام والتوجيه.

ويعود السبب الأهم إلى كون مكة لها أهمية كبرى ومكانة بارزة في قلوب زعماء العالم الإسلامي.

كما كان احساس السلاطين دائماً بأنهم في حاجة الى دعامة يستندون إليها في حكمهم ويستعينون بها في إرضاء الشعوب الإسلامية، وكفيلاً بحرصهم على إسترضاء رجال الدين بحكم ما للدين ورجاله من قوة وسطوة على النفوس والإهتمام برضاء العلماء الذين بدورهم سيثنون على السلاطين، خاصة إذا عرفنا أن كثيراً من العلماء كانوا مجاورين بالحرم الشريف. بالإضافة إلى استمرار الدعاء لهم على منابر الحرمين الشريفين وفوق بئر زمزم[٢].

وكان لسلاطين المماليك دور كبير في إحياء الحركة العلمية في مكة، فأنشأوا المدارس، والكتاتيب، والأربطة، وقد سبق إنشاء المدارس في مكة دروساً نظامية قررها الأشرف شعبان (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) وكانت هذه الدروس في المذاهب الأربعة، كما قرر درساً في الحديث وتصادير[٣] وقراء ومؤذنين

---

(١) المقريزي- **السلوك**- ج٤/١- ص١٤٢- النجم بن فهد-**اتحاف الورى**- ج٣- ص٦٣٤-**نيل المنى**- ص٨٦-١٧١- العيدروسي-**النور السافر**- ص١٠٤.

(٢) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة٣٨أ- ٧٦ب- **غاية المرام**- ج٢- ص٢١٣-**نيل المنى**- ص٢٧-٦٥-

(٣) تصادير: من الفعل "تصدر" أي نصب صدره في الجلوس وجلس في صدر المجلس، وصدّر كتابه تصديراً، بمعنى أنه جعل العلماء يتصدرون لقراء الكتب- انظر: الفيروز آبادي-**القاموس**- ص٥٤٣.

وغيرهم، ومكتباً للأيتام[1] بإشارة كبير دولته يلبغا الخاصكي، وأوقف عليها أوقافاً ثابتة كافية يؤمن بقاءها واستمرار عطائها، وقرر لهم مرتبات مجزية[2] .

كما اعتنى السلطان قايتباي (ت٩٠١هـ/١٤٩٥م) عناية فائقة بمكة المكرمة تتناسب مع قدسية تلك البلاد، فأنشأ آثاراً عظيمة، مابين مدارس وجوامع، ومساجد، وأسبلة ومكاتب ودياراً بمكة والمدينة[3] ليثبت أن سلطان مصر جدير بلقب "خادم الحرمين الشريفين"[4] ، لذلك امر في عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م وكيله التجاري في مكة بالبحث عن منطقة تشرف على المسجد الحرام، وأن يبنى باسمه فيها مدرسة لتدريس المذاهب الأربعة وبلغ مصروف العمارة بالمسجد الحرام وتوابعها وغير ذلك مائة وعشرين ألف دينار[5] .

وكان السلطان قانصوه الغوري (ت٩٢٢هـ/١٥١٦م)، يحرص على عقد المجالس العلمية والدينية وتواجد اكثر اساطين العلم بها مرة أو مرتين أو أكثر

---

(١) الفاسي-**العقد الثمين**- ج٥- ص٧- ص١٠- ابن حجر-**الدرر الكامنة**- ج٢- ص١٩٠- السخاوي- **التحفة اللطيفة**- ج٢- ص١٩٠.

(٢) انظر حجة الوقف الخاصة بالأشرف شعبان سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م- الفعر- محمد فهد-**تطور الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري**- رسالة دكتوراة غير مطبوعة- جامعة ام القرى- ١٤٠٦/١٤٠٧هـ ص٥١٨- ص٥٣٣.

(٣) الملطي- عبد الباسط بن خليل-**نزهة الأساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**- تحقيق محمد كمال الدين عز الدين- الطبعة الاولى- القاهرة- مكتبة الثقافة الدينية- ١٩٨٧م- ص١٤٥-١٤٦.

(٤) عبد التواب- عبد الرحمن محمود- **قايتباي المحمودي**- القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٨٧م- ص٢٠٥.

(٥) السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٣- ص٤١١- العز بن فهد-**غاية المرام**-ج١- ص١٣٢.

كل أسبوع يتبادلون فيها الآراء والمناقشات حول مختلف الأمور التي تهم الأمة وحرصه على التواجد بها والمشاركة في حواراتها[1] .

ونتيجة لذلك فقد زاد النشاط العلمي في عصر المماليك، حيث توفر الوقت والمال لديهم، فاهتموا بإنشاء دور التعليم في مكة، ورصدوا لها الأوقاف الواسعة ليضمنوا استمرارها وتأديتها على أكمل وجه[2] .

كما كان في الحرم المكي الشريف درس في الحديث يقرأ فيه "صحيح البخاري" قرره أيضاً السلطان قانصوه الغوري الذي كان سلطاناً متفقهاً[3] وقرر لأهل الحرمين الشريفين دشيشه[4] للفقراء كل يوم ولكثير منهم رواتب الذخيرة[5] كل سنة تحمل إليهم من مائة دينار إلى عشرة أو أكثر من ذلك[6] ولاشك أن هذه الرواتب كانت تشمل العلماء، والفقهاء، والقضاة بالحرمين الشريفين.

---

(١) الغزي-**الكواكب السائرة**- ج١- ص٢٩٤- ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٨- ص١١٦- الشوكاني-**البدر الطالع**- ج٢- ص٥٥- عزام- عبد الوهاب-**مجالس السلطان الغوري**- القاهرة- لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٩٤١م- ص٤٩- النباهين- علي سالم-**نظام التربية في عصر دولة المماليك في مصر**- الطبعة الاولى- القاهرة- دار الفكر العربي- ١٩٨١م-ص١٤٧.

(٢) حمزه- عبد اللطيف-**الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**- الطبعة الثامنة- القاهرة- دار الفكر العربي- ١٩٦٨م- ص١٥٤- ابن دقيق العيد- تقي الدين- **الاقتراح في بيان الإصطلاح**- تحقيق قحطان عبد الرحمن الدوري- ص٢١- ص٢٢.

(٣) ابن تغري بردي-**النجوم الزاهرة**- ج١٥- ص٤٥٦- ص٤٥٧- **المنهل الصافي**- ج٤- ص٢٩٥.

(٤) الدشيشه: هي حسو يتخذ من بر مرضوض -الفيروز آبادي-**القاموس المحيط**- ص٧٦٦، وجاء في المعجم الوسيط: هو طعام رقيق من قمح مدقوق-**المعجم الوسيط**- ج١- ص٢٩٤.

(٥) الذخيرة: ما أدّخر- أي يتم إعطائهم رواتب تكفيهم لسنة. الفيروز آبادي-**القاموس**- ص٥٠٦.

(٦) السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٣- ص٧٣.

وكان لأهالي الحرمين الشريفين مكانة عالية عند سلاطين المماليك، حيث شملوهم بحمايتهم، ورعايتهم، وعنايتهم، وضمنوا لهم الأمن والاستقرار، باعتبارهم حماة الحرمين الشريفين.

لذلك كثيراً ماكانوا يتدخلون لتثبيت الأوضاع وتهدئتها ونشر الاستقرار في الحرمين الشريفين، عن طريق فض النزاعات التي كانت تقوم بين الولاة حول الامارة[1] .

ويعتبر عامل القضاء على آخر بقايا التشيع في مصر وبلاد الحجاز من العوامل المهمة التي ساعدت على إنتشار العلم حيث اهتم سلاطين المماليك باتخاذ شتى الوسائل الكفيلة بإنتشار المذاهب السنية الأربعة وإبطال ماعداها وفتح المدارس وإرسال العلماء إلى شتى الأقاليم العربية عامة ومكة المكرمة خاصة، كما أثرت بعدم الترشيح لوظائف القضاء والتدريس والخطابة والإمامة بالحرمين الشريفين إلا إذا كان من أتباع هذه المذاهب الأربعة[2] .

كما اهتم سلاطين بني عثمان اهتماماً بالغاً بالعلم كما حرصوا على صد أعداء المسلمين من البرتغال والأفرنجة وعلى صيانة التراث الإسلامي، والإبقاء والتمسك باللغة العربية لغة الدين والعلوم فحفظوا حياتها بعد إنهاء دولة المماليك و لم يخل عصرهم من تأسيس دور العلم أو إنشاء المدارس أو بناء الجوامع، كما أبدوا غيرة دينية فتعصبوا للدين ورجاله، ورعوا العلماء رعاية قوية وأصبحوا يرعون الحركة التعليمية بأنفسهم، وقامت بإرسال الصدقات

---

(١) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٨٦أ- ٩٧أ-، ٩٨ب- ١٣٣ب.

(٢) العز بن فهد- **المصدر السابق**- ورقة١٥٨ب- **نيل المنى**- ص١٨-٥٣-١٢٦-١٣٠-١٥٧.

العينية والمعونات والمرتبات والمادية الكثيرة وتوزيعها على القضاة والخطباء والعلماء والدارسين في المدارس أو المساجد أو الأربطة للمجاورين والمستوطنين[١] مما أمنت قدراً من الحياة الهادئة لهؤلاء فكانوا سبباً من أسباب إزدهار الحركة العلمية[٢] .

كما اسهموا في بناء المدارس العثمانية على المذاهب الأربعة وصرف المبالغ الباهظة في إنشائها وصرف مستحقات العاملين بها[٣] .

أما ملوك الهند وأمراؤها، فإن دورهم في الاهتمام بالحركة العلمية في الحجاز لم يقل عن اهتمام سلاطين المماليك، والعثمانيين على الرغم مما كان يربط الأخيرين بالحجاز من علاقات سياسية واقتصادية واجتماعية مما لانجده مع سلاطين الهند فقد اهتم ملوك الهند وأمراؤها بإنشاء المدارس، والأربطة[٤] وكذلك إقامة الدروس المقررة بالحرمين الشريفين، فرغم إنتماءاتهم العرقية، إلا أنهم ظلوا يشعرون دائماً بإنتمائهم إلى رابطة واحدة، هي رابطة الدين الإسلامي الحنيف وكانوا غيورين على الإهتمام بهذا الدين، وعلى الرغم من بعد مكة من بلادهم، فقد كان لهم دور بارز في المساهمة في نشر التعليم بالحجاز، وكانت المدارس والأربطة جزءاً من هذه المساهمة[٥] .

---

(١) **نيل المنى**- ص١٨-٢٩-٣٦-٧٨-٩٦-١١٢-١٥٦.

(٢) **المصدر السابق**- ص ٣٧-٥٦-٧٥-٧٨-٨٩.

(٣) النهروالي-**الاعلام**- ص٧٨- القطبي-**اعلام**- ص٢٩٥.

(٤) **نيل المنى**- ص٦٣-١٢٩-١٣٦-١٣٧.

(٥) **المصدر السابق**- ص٨٧-٣٥٩-٣٨٣.

كذلك أنشأ السلطان أبو الفتح محمود شاه[1] بن محمد بن احمد (ت٩١٦هـ/١٥١٠م)[2] صاحب كجرات[3] من بلاد الهند رباطاً بمكة مجاوراً بباب الدريبه وعرف بالكنبائية وقرر به جماعة ودروساً وغير ذلك وكان يرسل لهم مع أهل الحرمين عدة صدقات، ثم قطعها لما بلغه استيلاء النظار عليها[4] .

كما استمرت الصدقات والهبات من بلاد الهند تصل في مواسم الحج وتوزع في أغلب المجتمع المكي[5] ، ولم يقتصر دورهم على رعايا مكة بل شمل كذلك شريف مكة وأعيانها وقضاتها وعلمائها.

ويذكر جار الله بن فهد أن سلطان الهند مظفر شاه في عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م أرسل ستة آلاف اشرفي وهدية معها تساوي أربعة آلاف أشرفي لشريف مكة بركات[6] .

كما أمر السلطان مظفر شاه عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م وكيله بدر الدين حسن بن حسين قاوان بشراء دور في مكة وبناء مدرسة له بجوار بيت الله الحرام، ومده بأموال عظيمة[7] .

---

(١) ذكره ابن العماد- **شذرات الذهب**- ج٨- ص٧٣.

(٢) ولد عام ٨٤٨هـ/١٤٤٤م وتولى الحكم عام ٨٦٣هـ/١٤٥٨م، وعمره خمسة عشر عاماً- ترجم له: العيدروسي- **النور السافر**- ص٨٧- ابن العماد- **شذرات الذهب**- ج٨- ص٧٣- ص٧٤.

(٣) ولاية من ولايات الهند، انقسمت من مملكة دلهي، وكانت مدينة كنباية إحدى ممالكها- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج١٠- ص١٤٤.

(٤) العيدروسي- **النور السافر**- ص٨٧- ابن العماد- **شذرات الذهب**- ج٨- ص٧٤.

(٥) **نيل المنى**- ص٧٨-٦٣٦-١٣٨.

(٦) **المصدر السابق**- ص٦٣.

(٧) **المصدر السابق**- ص٦٥.

ومما يستدعي الانتباه أن السلطان مظفر شاه أرسل الى مكة المصحف الشريف الذي قام هو بخطه وعندما وصل المصحف الى مكة عمل له زفة عظيمة وقرر له أناس يقومون بخدمة المصحف الشريف ومن ضمنهم جار الله بن فهد وجعل له في كل عام ستين ديناراً(١) .

وبالإضافة إلى إنشاءات السلاطين التعليمية في الحجاز فقد كانوا يرحبون بعلماء الحجاز ويلقون كل رعاية وتكريم حينما يقومون بزيارة بلدانهم.

ونخلص مما تقدم الى القول بأن عناية وإهتمام السلاطين والملوك والأمراء بالعلماء قد وفّرت جواً علمياً مبدعاً ساهم في إثراء الحركة العلمية، فتكونت نهضة علمية ضاهت المراكز العلمية الأخرى في العالم الإسلامي.

وخير دليل على ذلك آلاف المصنفات التي تزخر بها مكتبات العالم مطبوعة كانت أم مخطوطة عدا الكثير من التآليف التي فُقدت أو لم يُكشف عنها حتى الآن.

كما تنافس العلماء والأدباء في تأليف الكتب التي تمجد الدولة العثمانية المتسلمة زمام السلطة المسيطرة على العالم الإسلامي في القرن العاشر الهجري ومن أهم المؤلفات التي سطرت لهذه الدولة ما ألفه جار الله بن فهد، فقد ألف عدة من الكتب وقام بإهدائها إلى السلطان العثماني أهمها "بلوغ الأرب في تملك السلطان سليم خان لأرض العجم والعرب" يقع في عشرة كراريس(٢) .

---

(١) **نيل المنى**- ص٦٢.

(٢) الشلي- **السنا الباهر**- ورقة١٠٤ب-١٠٥أ.

والمؤلف الآخر "الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان" ويقع في ١٢٨ ورقة[١]، وكذلك مؤلفه "بهجة الزمان بعمارة الحرمين لملوك آل عثمان"[٢] .

كما سجل لنا جار الله بن فهد أن المحدث والمؤرخ نور الدين علي بن محمد الكناني ألف كتاباً في الموضوعات من الأحاديث وأهداه للسلطان سليمان القانوني وكتاب في معاني البسملة ترجم الى اللغة التركية[١] .

نتيجة لاهتمام السلاطين واغداقهم بالأموال والعطايا للعلماء أن خلق التنافس بينهم وقيامهم بتآليف الكتب وإهدائها لسلاطين العالم الإسلامي فيسجل لنا جار الله بن فهد في ثنايا كتابه قائلاً: ((...وارسلت مع بعض المسافرين الى الهند مؤلفين عملتهما في الشهر الماضي أحدهما للسلطان الأعظم مظفر شاه سميته "حسن السلوك في فضل الملوك" وهو مشتمل على أحاديث شريفة وآثار منيفة مرتب على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة. وثانيهما لوزيره المسند العالي خداوندخان سميته "تحفة المسند العالي بنخبة الأسانيد العوالي لشيخنا الحافظ السخاوي" صنعته له بسؤال بعض أصدقائه من الهند... وأرسل كثير من أهل الحرمين الشريفين جملة من القصص، وقصائد للسلطان مظفر شاه))[٢] .

---

[١] السنجاري- **منائح الكرم**- ج٢- ورقة٨٨ب- البغدادي-**إيضاح المكنون**- ج١- ص٤٤٠.

[٢] السنجاري- **مصدر سبق ذكره**- ورقة٩٤ب- البغدادي- **مصدر سبق ذكره**- ص٢٠١.

(١) **نيل المنى**- ص٤١٠- حاجي خليفه- **كشف الظنون**- ص٤٩٤.

(٢) **نيل المنى**- ص٧٣.

رابعاً: اهتمام المجتمع المكي بالعلم:

كان جار الله بن فهد من مؤرخي مكة وعلمائها في الفترة التي نؤرخ لها ولقد عايش المجتمع المكي العلمي وأسهم في نشاطاته وله بين علمائه وطلابه كثير من الاصدقاء والمريدين وسنراه في هذا المبحث يحدثنا عن اهتمام مجتمع مكة بالعلماء وأشهر علمائه وفقهائه ومحدثيه.

لما كان المجتمع المكي يدين بالإسلام ويتخذه منهاجاً لحياته، فقد ارتكزت حضارته على دعائم من هذا الدين القويم، ومن هنا فقد نبع اهتمام المجتمع المكي بالعلم -كأهم معطيات هذه الحضارة- من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، باعتبارهما الأصلين اللذين قامت عليهما الحضارة الإسلامية، فمنذ فجر الدعوة الإسلامية جاءت الآيات والأحاديث حاثة على العلم، رافعة من شأنه وداعية الى الأخذ بأسبابه، وناعية على الجاهلين جهلهم، يقول الله عز وجل: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا

يعلمون﴾[1]، ويقول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة﴾[2].

كما ساعدت القدوة الحسنة والتي يمثلها الرعيل الأول من سلفنا الصالح- الذين حملوا أمانه تلقي العلم ونشره- في ترسيخ هذا الاهتمام في نفوس المكيين حتى أصبحت محبتهم للعلم والرغبة في نشره وكأنها استعداد فطري، وطبيعة جبلوا عليها، فالواحد منهم يطلب العلم، لا لكي يحصل على عائد مادي أو جاه اجتماعي، بل بباعث من نفسه يدفعه إلى التفرغ له، وبذل الغالي في سبيله[1].

وهكذا فقد كان العلماء المكيون -كطبيعة العلماء المخلصين لعلمهم في كل زمان- يتواضعون في طلبهم للعلم وفي تعليمه لطلابهم ويطبقون توجيهات الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ﴿الحكمة ضالة المؤمن، فحيث وجدها فهو أحق بها﴾[2] و ﴿افضل الصدقة أن يتعلم المرء المسلم علماً ثم يعلمه أخاه المسلم﴾[3].

لاشك أن اهتمام المكي بتلقي العلم والرغبة في تحصيله يشكل أهم عامل ساعد على رقي الحياة العلمية في مكة المكرمة، إذ أن توفر هذا الاهتمام وتلك الرغبة كفيل بتذليل كل صعوبة تعترض سبيل طالب العلم، وكتب

---

(١) سورة الزمر، آية ٩.

(٢) ابن ماجه- **سنن ابن ماجه**- رقم الحديث ٢٢٤.

(١) **نيل المنى**- ص١٨-٤١-٩٦-١٨١-٢٦٣.

(٢) الترمذي- **سنن الترمذي**- ج٧- كتاب العلم- رقم ٢٦٨٨.

(٣) ابن ماجه-**سنن ابن ماجه**- باب فضل العلماء والحث على طلب العلم، رقم الحديث ٢٤٣.

التراجم تروي الكثير من القصص التي تبين أن الدافع الذاتي للتعلم يدفع المتعلم الى التفاني في الطلب والاستزادة من العلم... من ذلك ماروواه جار الله بن فهد عندما يتحدث عن عبد الوهاب النقشبندي وحرصه على طلب العلم أو عندما يذكر لنا التنافس المحمود بين أبناء الأئمة والقضاة في التسابق على ختم القرآن وهم دون سن الخامسة عشرة سنة والصلاة بالناس في أيام رمضان وشدة إهتمامهم بالسماع للأئمة والعلماء داخل الحرم الشريف عند قيامهم بقراءة كتب الحديث[٤] وكان طلاب العلم يتحملون المشاق في تلقي العلم، ويحاولون التغلب على الظروف التي قد تواجههم، فقد كان جمال الدين محمد بن احمد الصوفي المتوفي سنة ٩٢٨هـ/١٥٢١م من طلاب العلم المميزين في الإستزادة من منهل العلم والمعرفة رغم فقره ومعاناته[١] وممن بذلوا جهوداً في تلقي العلم، والحرص على لقاء العلماء عائلة بن فهد وألمعهم جار الله بن فهد[٢].

ورغبة المكي بالعلم جعلته يتتبع أخبار العلماء ويسأل عن أكثرهم علماً وأعلاهم رواية فيمضي إليه لينال من علمه يقول جار الله بن فهد ((في ظهر يوم الثلاثاء سابع عشري الشهر اجتمعت بالشيخ العلامة المفتي شهاب الدين احمد بن علي بن قاسم التجيبي الشهير بالزقاق، نفع الله به ورده لبلده وذلك

(٤) **نيل المنى**- ص٥٦-٧٨-٩٩-١٢٠-٢١٥-٢٨٣-٣١٠.

(١) **نيل المنى**- ص٥٣.

(٢) **المصدر السابق**- ص١٨-٥٣.

في خلوة سكنه بالمدرسة الزمامية... فأنشدني[٣] من لفظه متشوقاً الى بلده))[٤].

كما اشتهر المؤرخ والفقيه عبد القادر بن احمد الفاكهي المكي (ت٩٨٩هـ/١٥٨١م) الذي جمع ثقافة دينية واسعة وألف في الفقه والتفسير والتاريخ وآداب السلوك تآليفه كثيرة حتى أن العيدروس مؤرخ في القرن العاشر شبهة بالجلال السيوطي في كثرة التآليف وقال ((رأيت منها جملة عديدة في فنون شتى... بحيث أنه يكتب على كل مسألة رسالة))[١].

تلك كانت أساليب المكيين في تحصيل العلم، وهي كما رأينا تنم عن محبة للعلم تلك المحبة التي تدفع إلى بذل كل جهد ومال وصحة في سبيله، ولذا فلا نجد غرابة عندما نقرأ في كتاب نيل المنى... جار الله بن فهد قائلاً: ((في مغرب ليلة الأربعاء ثامن عشر الشهر مات شيخنا العلامة شهاب الدين احمد بن محمد الحرفوشي المكي بعد توعكه نحو سنة بمطلوع تحت خاصرته اليمنى انفجر عليه ولزم منزله لأجله، وكان يتحدث الى وقت طلوع روحه وهو متوضيء للصلاة))[٢] وهذا يدل على أن هذا الرجل -كغيره من العلماء- كان يشعر بلذة في تدارس العلم تسهل عليه الصعاب وتجعله لا يبالي

---

(٣) **ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بفاس وحولي أهلها وخيارها**
وهل أردِنْ يوماً عُذيب مياهها ... وهل يبدون لي سورها وديارها

(٤) **نيل المنى**- ص٣٤-٣٥.

(١) العيدروسي-**النور السافر**- ص٣٥٣.

(٢) **نيل المنى**- ص١٠٥-١٠٦.

بالوقت، وإذا كان الأمر كذلك فإن للعلماء أيضاً أساليب لنشر علمهم وافادة مجتمعهم به.

والعلماء المسلمون في مختلف العصور -ومنها هذا العصر الذي نحن بصدد دراسته- قد جعلوا هذه الحقيقة نصب أعينهم، والواقع أنني دهشت من تلك الصور التي تبين الرغبة الحقيقية لنشر العلم، والتي كان عليها العلماء في هذه الفترة فهذا شيخ مقعد لايستطيع الخروج من داره، ولديه علم يريد أن يبذله لمن يحتاجه، فكان يستقبل طلاب العلم في داره، ويهيىء لهم الأسباب من أجل أن يستفيدوا من علمه[1] فيذكر جاره ا لله بن فهد ... ((أن الفقيه العالم العفيف عبد ا لله بن احمد الفاكهي كانت داره مفتوحة لطلاب العلم والفقراء وقراءة كتب الحديث وبعض التفاسير ومناقشة الآراء حولها))[2] .

ولقد كان التعليم بالمجان، هو المبدأ الذي اتبعه معظم علماء مكة المكرمة ولا شك أن ذلك من اهم العوامل التي ساعدت الكثير من طلاب العلم على الاستفادة من هؤلاء العلماء دون حرج، فليس كل طالب علم قادراً على دفع المال ليتعلم[3] .

ولهذا فإن كثيراً من العلماء يعزى الى عمله الذي يزاوله ويتكسب من ورائه كالقضاة فهم لايعتبرون التعليم مصدراً للرزق بل يمارسونه احتساباً وشعوراً

---

(١) **نيل المنى**- ص١٠٥.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٧.

(٣) **المصدر السابق**- ص١٨-٢٧-٤٩-٦٨-١١١-١٦١-١٩٢-٢٥٤-٣١٦.

منهم بحق مجتمعهم عليهم[٤] وفوق ذلك فانك تجد الواحد منهم لا يقتصر على تعليم ابناء بلده فقط، بل يتنقل في العديد من البلدان يقريء القرآن هنا، ويسمع الحديث هناك، من ذلك ماذكرناه لمؤرخنا جار الله بن فهد فقد درس في مكة ثم جال في بلاد الحجاز كالمدينة المنورة والطائف يقيم في كل منها فترة محدودة يتعلم من علمائها ويعلم طلبتها مالديه من علم[٥].

وكذلك الشيخ العلامة القاضي شمس الدين محمد ابن العز حجازي المتوفي عام ٩٣٥هـ/١٥٢٨م ويعد من أكابر العلماء والفقهاء وكان يمارس التدريس وجند نفسه لخدمة العلم فنرى أنه بث ما تميز به من علوم ومعارف الى طلابه أو مؤلفاته التي بلغت العشرات ومن أشهرها مؤلفه "شرح لطيف على صحيح البخاري" وكتاب آخر سماه "المعلوم"[١].

وأخيراً فقد كان العلماء يقضون أعمارهم في تعليم العلم، ويخرجون أجيالاً من المتعلمين.

(٤) هذا وان عدم أخذ بعض العلماء الأجرة لقاء التعليم من الورع والزهد، وإلا فإن أخذ الاجرة على التعليم جائز على الرأي الراجح: انظر محمد ابن سحنون -**آداب المعلمين**- تحقيق حسن حسني عبد الوهاب- تونس ١٣٩٢هـ- ص١١٩ ومابعدها.

(٥) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة ١١٥أ- **نيل المنى**- ص٤٦.

(١) **نيل المنى**- ص٢٤٣.

خامساً: شيوع الرحلة لطلب العلم:

الرحلة في طلب العلم تقليد درج عليه المسلمون منذ فجر الاسلام، فقد كان أهل البوادي وغيرهم من خارج المدينة يفدون على النبي صلى الله عليه وسلم لسؤاله عما يجهلونه من أمور دينهم[1].

ومع استقرار المسلمين في البلاد المفتوحة، وإنتشار المراكز العلمية زاد الاهتمام بالرحلة لطلب العلم، حتى أنها أصبحت لازمة من لوازم التحصيل العلمي، وقد كان السلف من العلماء المسلمين لايعدون طالب العلم رشيداً إذا هو اقتصر على طلبه في بلده فقط[2].

وكانت الرحلة في طلب العلم أو الإكتساب به سمة من السمات وركناً أساسياً من أركان الحياة العلمية في ذلك العصر، فكان العلماء وطلبة العلم ينتقلون من الحجاز الى مصر والشام والعراق وشيراز وبلاد الروم والمغرب واليمن لأخذ العلم ولقاء العلماء وحيثما حلوا أفادوا واستفادوا وأقبلوا على التدريس والإفتاء والتأليف وإمعان النظر والفكر في كتب الرجال والتراجم[3].

---

(١) الخطيب البغدادي- **الرحلة الحجازية في طلب العلم**- تحقيق نور الدين عتر- الطبعة الاولى ١٣٩٥هـ- ص٣١.

(٢) ابن الصلاح- ابو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري - **علوم الحديث** -مقدمة بن الصلاح- تحقيق نور الدين عتر- الطبعة الثانية- المدينة المنورة- المكتبة العلمية ١٩٧٢م- ص٢٢٣.

(٣) **نيل المنى**- ص١٧-٣٨-٤٦-٩٨-١٢٦.

وهكذا فإن هذا التقليد العلمي سرى إلى الحجازيين كغيرهم في أقطـار العـالم الإسلامي بل إن المكي كـان أحوج مايكون الى الرحـلة لاستكمال تحصيلـه العلمي وعلى أية حالة فقد عرف المكيون نوعين من الرحـلات العلميـة همـا الرحلات الداخلية والرحلات الخارجية.

الرحلات الداخلية:

وكان هذا النوع من الرحلات يتم بين المراكز العلمية المنتشرة في اقليم الحجاز فلا يكاد طالب العلم ينتهي من تلقي العلم في مكة حتى يشد الرحال الى البلدان المختلفة كالمدينة المنورة والطائف وجدة تحدوه الرغبة في التزود من العلم في شتى فروعه التي اشتهرت بعلوم الحديث والعربية وخاصة النحو في هذا الفرع من العلم، والرحلة لطلب العلم[١].

وكان طلبة العلم في مختلف المدن الحجازية يحرصون على الأخذ عمن رحل الى بلاد الشام ومصر والمغرب العربي والتقى بأكبر عدد من علمائه... فمن ذلك حرص جار الله بن فهد بالإلتقاء بالعالم المغربي شهاب الدين بن احمد الفاسي والأخذ عنه والسماع له[٢].

وكذلك الشيخ الفقيه أبو الفاضل قاسم الأندلسي المغربي والإستفادة من علمه وفقهه[٣].

كما يحدثنا بلقاء آخر مع أحد قضاة الشرق ((واجتمعت بمنى في عصر يوم الأحد بقاضي الشرق "البصره والاحساء والقطيف" الشيخ محمد بن رقرق وسمعت عليه الحديث الشريف كثلاثيات ابن ماجه، وأنشدني من لفظه جملة أبيات))[٤].

---

(١) **نيل المنى**- ص٣٦-٥٨-٩٧-٢١١-٢٨٥-٣١٦-٣٩٨-٤١٠.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٤.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣٥.

(٤) **المصدر السابق**- ص٢٣٠.

كما كان أغلب الحجاج والمجاورين مـن تجـار وعلمـاء وطلبـة العلـم في مكـة المكرمة بعد موسم الحج يشدون الرجال الى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسـول صلى الله عليه وسلم والإجتماع بعلماء وقضـاة المدينـة المنـورة وأخـذ العلـم وإعطائهم مالديهم[1].

(١) **نيل المنى**- ص٧٦-٩٨-١٤٥-٢١٦-٢٨٩-٣٦٠-٤١٠.

الرحلات الخارجية:

لم يقتصر المكي في طلبه للعلم على التنقل بين المراكز العلمية في الحجاز بل رنا ببصره إلى أماكن بعيدة وخاصة بلاد الشام ومصر وبغداد واسطنبول، ناشداً الكمال العلمي، ومحاولاً التتلمذ على أكبر عدد من العلماء، ثم ليكون بعد ذلك وسيلة لنقل العلم إلى أناس لم يجدوا الوقت والامكانات ليفعلوا مثل فعله، ونحن إذا استعرضنا كتب المصادر التاريخية والتراجم التي تناولت سير العلماء في هذا العصر -القرن العاشر- نجد الكثير ممن رحلوا برسم العلم إلى مراكز العلم وتكبدوا المشاق في هذا السبيل وما ذلك إلا استمرار للتواصل العلمي والفكري بين المدن الاسلامية، والرحلة تكاد تكون الوسيلة الوحيدة لنقل العلم الى الحجاز.

ولهذا فلا غرابة أن يحرص المكي على الرحلة خارج الحجاز في مصر والشام وورد أكثر مراكزه العلمية شهرة وخير مثال على ذلك ما أورده مؤرخنا جار الله بن فهد الذي اشتهر بلقب الرحالة حيث رحل الى اليمن طلباً للعلم، فدخل زبيد وأخذ عن علمائها بعدها ذهب إلى دمشق، وفي طريق عودته عرج على مصر ثم كرر رحلاته حول العالم الإسلامي ففي عام ٩٢٨هـ/١٥٢١م رحل الى بلاد الروم وألف فيها كتابه "الجواهر الحسان" ثم عاد اليها عام ٩٣٤هـ/١٥٢٧م والتقى بالعديد من العلماء والأدباء وقد استمرت رحلته هذه حوالي عدة سنوات(١).

---

(١) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة٢١٥أ-٢٥٠أ- **نيل المنى**- ص٦١.

كما اشتهر بالرحلات الخارجية المحدث علي بن محمد بن الكناني الذي طلب العلم وشد الرحال الى بلاد الشام والروم مدة من الزمن[1] .

وهكذا أسهمت الرحلات العلمية في ازدهار الحيـاة العلميـة في مكـة المكرمـة فالرحلات الداخلية، أوجدت نوعاً من التكامل العلمـي بـين المراكـز العلميـة المختلفة في الحجاز، أما الرحلات الخارجية فقد جعلت المكيين يطلعـون علـى ما أنتجه إخوانهم العلماء خارج الحجاز في مختلف أفرع العلم.

---

(١) نيل المنى– ص٢٠٦.

مظاهر النشاط العلمي

أولاً: المجاورون:

على الرغم من الاحوال السياسية المضطربة في كثير من الأحيان في الحجاز فقد كانت هناك حياة علمية مزدهرة التقت فيها جهود المكيين والمدنيين والمجاورين بجهود القادمين للحج والزيارة فتكونت نهضة علمية ضاهت المراكز العلمية الأخرى في العالم الإسلامي.

فقد كان للمجاورين دور كبير في الحركة العلمية بالحجاز، وهؤلاء المجاورون هم الذين أرادوا البقاء في مكة أو المدينة النبوية بجوار الحرمين الشريفين، وكان بقاؤهم إما لدوافع دينية أو علمية أو اقتصادية أو سياسية. ولقد نشطت حركة المجاورة في الحرمين الشريفين نشاطاً ملحوظاً في العصر المملوكي ويتضح ذلك من خلال كتب التراجم التي زخرت بها كتب الطبقات والتراجم وكذلك المصادر التاريخية المكية التي ألفت في ذلك العصر، والتي حرص مؤلفوها على الإشارة لمن جاور في هذه الفترة[(١)].

وكان أكثر المجاورين بالحرمين الشريفين من مصر وبلاد الشام ويعود ذلك الى إشراف المماليك السياسي على الحجاز من جهة، وإلى قرب الديار المصرية من الحجاز وسهولة الوصول اليها من جهة اخرى[(٢)] كما كان

---

(١) انظر امثلة على ذلك: ابن حجر-**الدرر الكامنة**- الفاسي-**العقد الثمين**- السخاوي-**الضوء اللامع**- **التحفة اللطيفة**- العيدروسي-**النور السافر**- جمال الدين الشلي- **السنا الباهر**- **نيل المنى**- ص٢٨-٣٣-٤٦-٥١-٧٨-١١٥-٢١١-٢٤٨-٢٩٦-٣٤٠.

(٢) السليمان-**العلاقات الحجازية المصرية**- ص٢٣٠- ص٢٣١.

هناك مجاورونَ من العراق[1] والمغرب[2] ، وكان اكثر المجاورين من العلماء والزهاد، أما القلة الباقية الذين نفاهم السلطان بمصر فجاؤا سراً أو من كبار الدولة الذين جاؤا يقضون ما تبقى من حياتهم بجوار البيت الحرام والمسجد النبوي، لذا فقد كان هؤلاء المجاورون خيراً على مكة والمدينة سواء كانوا علماء أوتجاراً بعلمهم الذي حرم الله أن يكتم[3] .

وكان المجاورون يبتغون الراحة النفسية في ظلال البيت الحرام والإقامة وهذه الراحة النفسية جعلت الكثير منهم يصنفون تصانيف كثيرة ويؤلفون مؤلفات ضخمة أثروا بها المكتبات الاسلامية، وساعد على حركة المجاورة ما قام به السلاطين من إنشاء المدارس، والأربطة والمقامات، وإقامة الدروس في الحرمين الشريفين[4].

لذلك فقد حرص كثير من علماء المسلمين على المجاورة في الحرمين الشريفين لتوفر الجو العلمي بهما، حيث يتم الإلتقاء بين علماء المسلمين من المشرق والمغرب المتعددي الثقافات والمذاهب، وكان هذا اللقاء بمثابة فرصة جيدة لنشر علومهم، وابراز معارفهم عند بعضهم البعض، وكذلك فقد كانت تمنح الإجازات لطلاب العلم، وكانت نتيجة ذلك وحدة ثقافية ومعرفية بين

---

(١) **نيل المنى**- ص٨٦-ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٦- ص١٧- ص١٩.

(٢) ابن حجر-**الدرر الكامنه**- ج٤- ص٨٣- **نيل المنى**- ص٤٨-٦٩- ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٦- ص٣٢- السليمان- **العلاقات الحجازية المصرية**- ص٢٣٠.

(٣) عز الدين بن فهد-**غاية المرام**- ج١- ص١٢٦-١٢٧-١٤٨-١٦٩.

(٤) **نيل المنى**- ص١٦-٣٨-٥١-٨٦-٩٧-١٩١-٢٥٠-٣١٠.

أطراف العالم الإسلامي، لأن بعض هؤلاء المجاورين يعودون إلى بلدانهم مزودين بالعلم والمعرفة، فقدموا لنا إنتاجاً فكرياً عالياً تجلى في أمهات الكتب العظيمة التي أثروا بها المكتبة الاسلامية.

كما أن بعض هؤلاء العلماء المجاورين كانوا يصطحبون معهم جلّ كتبهم إلى الحرمين الشريفين مما ساعد على تنشيط الحركة العلمية في الحجاز[١].

هذا وقد اهتم العلماء المجاورون بتدريس العلوم الشرعية خاصة علم الحديث وعلم القراءات، والفقه والتفسير وغيرها من العلوم الشرعية والعلوم الأخرى، ويطالعنا في هذه الفترة أعداد هائلة من العلماء المجاورين بالحرمين الشريفين ومن أبرزهم الشيخ العلامة زين الدين أيوب الأزهري الأصل المتوفى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م[٢] وكذلك الفقيه العلامة شهاب الدين احمد بن محمد بن مخراق الذي اشتهر كذلك بإبداعه الشعري حيث كان شعره يعتني به في المناسبات التي يقيمها أعيان المجتمع المكي[٣].

كما حدث بها الفقيه المحدث العالم أبو الفضل قاسم بن الخطيب أبي الحسن السبتي الأندلسي المغربي المتوفى عام ٩٢٤هـ/١٥١٨م[٤] ويعد الشيخ المبارك ابو الخير محمد الحريري المتوفى عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م التالي لكتاب الله وشيخ القراءات السبع بالمسجد الحرام من أفضل من أفاد واستفاد مما أدى الى اثراء

(١) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة ١٢٥أ- ١٣٧ب- **نيل المنى**- ص٤٧-٨٦-١٢٧.

(٢) **نيل المنى**- ص٦.

(٣) **المصدر السابق**- ص٢٠.

(٤) **المصدر السابق**- ص٣٥.

الحركة الدينية[1] ، ومن العلماء المجاورين الشيخ العلامة شهاب الدين احمد بن يوسف الزيدي نزيل رباط ابن الزمن الذي امتاز بنشاطه العلمي والديني[2] .

ومن أشهر المؤرخين الذين جاوروا بالحرمين الشريفين عبد القادر بن محمد الانصاري الجزيري (٩٧٧هـ/١٥٧٠م) الذي تولى إمرة الحاج، كان فاضلاً أديباً لبيباً مؤرخاً وكانت لعبد القادر الجزيري علاقات وطيدة ببعض مؤرخي عصره، فقد كان يسمى جار الله بن فهد "صاحبنا الشيخ جار الله"، كما كانت بينه وبين قطب الدين النهروالي علاقات ومراسلات[3] .

كما كان لنزيل مكة محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عراق (ت ٩٣٣هـ/١٥٢٧م) المعروف بشمس الدين نشاطاً ملموساً في تاريخ مكة في هذه الفترة حيث تلقى العلم على أيدي شيوخ الشام، واشتهر بالفروسية والرمي، وعند قدومه إلى مكة قام بإصلاحات إجتماعية ومعمارية عظيمة أخذ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحارب كثيراً من البدع والخرافات التي شاعت في المجتمع المكي وكانت له مواقف شجاعة في حماية مكة المكرمة والدفاع عن أهلها والمستضعفين فيها من تعديات الجيش العثماني القادم من مصر لغزو اليمن، وقد أورد جار الله بن فهد الكثير من أخباره وإصلاحاته في كتابه نيل المنى من اشهر مؤلفاته "السفينة العراقية" و "هداية الثقلين في فضل الحرمين" أصيب برياح القولنج والحمى الشديدة ومات وهو يتلو آيات

---

(١) **نيل المنى**- ص١٠٦.

(٢) **المصدر السابق**- ص١٣٦.

(٣) **المصدر السابق**- ص٢٨- النهروالي- **البرق اليماني**- ص٤٠٠.

من القرآن عديدة ودفن في الشعب الأعلى يقول جار الله بن فهد عند وفاته ((فكانت ساعة مهولة ذرفت لها العيون ووجلت لها القلوب... ولم يفجع الخلق بأعظم منها... وهرع الناس صباحاً ومساء للقراءة عليه خمسة أيام، وأنشدت عنده مرثيتان[1] يوم الختم))[2].

وفي الحقيقة فإن المجاورين كان لهم دور كبير سواء في الحياة العلمية، ويكاد يكون تأثيرهم العلمي في مكة المكرمة اقوى من تأثير العلماء المكيين أنفسهم، ولولا كثرة المجاورين لما احتاج الأمر إلى شيخ ينظم أمورهم من خلال الأربطة التي تولوا مشيختها[3] .

---

(١) من المراثي قصيدة للأديب بدر الدين حسن الحلبي يقول فيها:

فرق المــوت بيننا بالفراق ... ما أمرّ المنــون عنـد المذاق

هكذا تفعل المنــايا دواماً ... وطؤها بالمنـاسم والأعنــاق

والمرثية الثانية للعلامة زين الدين عبد اللطيف بن علي الأزهري مطلعها:

أسهد النــاس يــوم التلاقي ... مشهد القطب سيدي إبن عراق

حين قد مات أظلم الجو حتى ... أفجع النـــاس ظلمة الآفاق

فُجِع الناس فــي إمام وليّ ... حجة اللـــه صنــوه الخلاق

(٢) **نيل المنى**- ص١٠٨-٢٠٩-٢١٠- النهروالي- **البرق اليماني**- ص٤٨- العيدروسي- **النور السافر**- ص١٩٢-١٩٨.

(٣) **نيل المنى**- ص٩-١٦-٩١-١١٨-١٣٦-١٣٧-٢١٠-٢١٥-٣٠٦.

ثانياً: دور المكتبات في التعليم:

من المعروف أن الكتب والمكتبات قد أدت دوراً مهماً في حياة المسلمين وشكلت صرحاً بارزاً من صروح الحضارة الإسلامية لدرجة أن هذة الحضارة أصبح يطلق عليها "حضارة الكتاب"، وذلك منذ أن كان المسلمون يعتبرون كل كتاب إبتداء من القرآن الكريم يمثل عالماً كاملاً بنفسه فهو بالنسبة لهم يمثل مالم يمثله أي شيء لأي شعب من شعوب العالم القديم فهو المصدر الوحيد الذي لاينضب للحياة الروحية[1].

لم يكن اقتناء الكتب وانشاء المكتبات إرضاءً لهواية، أو للحصول على الجاه الاجتماعي، أو ترفاً فكرياً بل كانت المكتبة تمارس فيه الأنشطة العلمية المختلفة، وما المؤلفات التي خلفها علماؤنا إلا ثمرات استفادتهم من المواد التي توفرت لديهم في مكتباتهم، وكثيراً ما يتعرض العلماء أثناء تدريسهم في حلقاتهم إلى قضايا أو أسئلة لايتمكنون من إجابتها في وقتها، فيلجأون بعد انتهاء الحلقة الى مكتباتهم باحثين ممحصين لهذه القضية أو السؤال.

وحين يتحدث المسلمون عن الكتب فإنهم يتحدثون عنها دائماً بالكثير من الحب وكأنهم يتحدثون عن أشياء عزيزة على نفوسهم أو يتحدثون عن أصدقاء مخلصين فهم يقولون عن الكتاب:

نعم الأنيس إذا خلوت كتاب   تلهو به إن خانك الأحباب

---

(١) الجميل، محمد بن فارس-**المكتبات العربية في العصر العباسي- مجلة العصور**- المجلد الرابع- ذو القعدة- ١٩٨٩م- ص٢٥٧- ص٢٦١.

لا مفشياً سراً إذا إستودعته   وتفاد منه حكمه وكتاب[1]

وتغنى كثير من الشعراء بأهمية الكتاب ودوره في تثقيف المجتمع، حتى أنه يعتبر عندهم في بعض الأحيان مساوياً لقيمة السلاح، فهذا المهلبي ينصح أولاده بقوله: "يابني إذا وقفتم في الأسواق، فلا تقفوا إلا على من يبيع السلاح أو يبيع الكتب"[2].

و لم يقتصر دور المكتبات على البحث والتأليف بل كانت مكاناً لعقد الحلقات العلمية، فمن العلماء من يبيت في مكتبته بصحبة بعض طلابه الملازمين له ويجد طلابه في ذلك فرصة لعرض بعض المسائل على الشيخ وتلقي إجاباته عليها، وقد يكون احد الكتب موضوعاً لحلقة علمية يعقدها الشيخ لتلاميذه[3]

ولأهمية هذه الكتب في تثقيف المجتمع فقد درج الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء وأهل الخير أن يوقفوا الكثير من الأوقاف على المساجد والمدارس والأربطة وغيرها، إبتغاء ثواب الله. فأصبح وقف الكتب وحبسها على المكتبات مصدراً رئيسياً من مصادر تزويد المكتبات بالكتب.

ويعتبر القرن التاسع والعاشر الهجري برعاية المماليك ثم العثمانيين وماقدموه من عناية وإهتمام بالكتب والمكتبات أن أصبح عصر النهضة المكتبية في التاريخ العربي.

---

(١) ابن عبد ربه، احمد بن محمد- **العقد الفريد**- ج١- القاهرة- بولاق- ١٢٨٣م- ص١٩٩.

(٢) ابن طباطبا- **الآداب السلطانية**- ص٣.

(٣) **نيل المنى**- ص٧٢-١٠٥-٢٩٠- النهروالي- **الاعلام**- ص٢١٣- القطبي-**اعلام**- ص٩٨.

وكانت المكتبات في مكة المكرمة تشمل نوعين:

١- المكتبات الخاصة:

وهي التي يمتلكها الأفراد من العلماء وطلاب العلم، والخصوصية لهذه المكتبات تتعلق بملكيتها، وإلا فإن دورها العلمي كان إلى العموم أقرب منه إلى الخصوص، إذ المعروف أن كل مكتبة من هذه المكتبات تجاوزت في فائدتها العلمية صاحبها إلى من حوله من طلاب العلم.

ومن المتوقع أن يكون لكل عالم مكتبته الخاصة، ولذلك فمن الطبيعي أن يكون هذا النوع من المكتبات أكثر عدداً وأوسع انتشاراً من النوع السابق. وسيطول بنا الحديث لو ذهبنا نتتبع كل هذه المكتبات، ولكن يكفينا أن نشير في عجالة إلى ما اجتمع للتقي إبن فهد وأبنائه من الكتب ما لم يكن في وقته عند غيره من أهل مكة وكثر إنتفاع المقيمين والغرباء بها فكان ذلك أعظم قربة، خصوصاً وقد كان سمحاً في إعارتها لمن يعرف ومن لا يعرف وحبسها بعد موته[(١)].

ويبدو أن الإعارة من المكتبات الخاصة ممنوعة منعاً باتاً وأن برزت مكتبة بنو فهد حين سهلت الإعارة للمكيين وغيرهم[(٢)] من الغرباء، وهذا شيء لايعرف لأهل مكة غيرهم على أن أعظم مأثرة للطبقة المثقفة في مكة هي ظاهرة وقف كتبهم على طلبة العلم بمراكز مكة التعليمية ومؤسساتها[(٣)].

---

(١) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة١٣٨أ.

(٢) **نيل المنى**- ص٣٣.

(٣) **المصدر السابق**- ص ٦٨.

ولم يقتصر جار الله بن فهد عن الإعارة رغم إتلاف بعض الكتب التي كان يعيرها لطلاب العلم والعلماء خاصة القاطنين في الأربطة ولقد إحترق رباط زين الدين إبن مزهر عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م واستمرت النيران الى الصباح وعجز الناس عن إطفائها ويذكر قائلاً: ((وحصل لنا إصابة فيه بحرق بعض كتبنا المعارة على بعض الساكنين))[١].

ويبدو لي أن تحريم الإعارة يعود لصعوبة نسخ الكتب والحصول عليها في ذلك العصر[٢].

ويذكر العز بن فهد أن شهاب الدين الأسطي (ت٩٠٢هـ/١٤٩٦م) كتب وصية بخطه يوصي فيها بأنه لا يملك إلا ثلاثين ديناراً، وأنه أوقف كتبه بمكة والمدينة، وأمر في وصيته هذه أن يباع من كتبه ماقيمته مائة دينار لتفريقها على الفقراء، ولكن ورثته قاموا ببيع هذه الكتب جميعها وأخذوا ثمنها[٣].

ويسجل لنا جار الله بن فهد أن الشيخ الصوفي عفيف الدين عبد الله احمد الخفاشي اليمني المتوفي عام ٩٣٦هـ/١٥٢٩م امتلك مكتبة كانت تضم أعداداً كبيرة من الكتب وكان حريصاً على تحصيلها ضنيناً بإعارتها متمثلاً بقول الشاعر:

ألا يا مستعير الكتب أقصر ... فإن إعارتي للكتب عار

فمحبوبي من الدنيا كتاب ... وهل أبصرت محبوباً يعار[٤]

---

(١) **نيل المنى**- ص٢٢٥- ٢٢٦.

(٢) **المصدر السابق**- ص ٦٣-٢٣٠.

(٣) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة ٩٧ب- ورقة٩٨أ.

(٤) **نيل المنى**- ص٢٩١.

٢- المكتبات العامة:

وكانت تتوزع في أكثر من مركز علمي فهي كما يلي:

أ- خزائن الكتب في المساجد:

كان المسجد الحرام هو المكان الأول الذي احتضن هذا النوع من المكتبات في مكة المكرمة على اعتبار أن المسجد اضطلع بأهم الأدوار في النشاط العلمي ولكون الكتاب عنصراً رئيسياً في هذا النشاط فمن الضروري أن يكون في متناول طلاب العلم وقريباً منهم.

زودت هذه المكتبات بالكتب من مصادر عدة، فمن المتوقع أن يكون العلماء هم أكثر من يزود هذه المكتبات بالكتب، وهناك أمثلة كثيرة تبين حرصهم على نشر العلم والمعرفة، هذا الحرص جعلهم يبعثون بنسخ من كتبهم لطلابهم مهما بعدت بهم الدار، ولا شك أن هذا الشعور سيدفعهم أكثر إلى وقف الكتب على مكتبات المسجد، الحرام ليعم نفعها أكبر عدد من طلاب العلم وليتواصل عملهم الخيّر بعد وفاتهم مصداقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث﴾[1] وذكرها منها علم ينتفع به.

فالمسجد الحرام كان يضم كثيراً من نسخ القرآن الكريم والكتب الإسلامية، لأنه ملتقى المسلمين لأداء مناسكهم التعبدية من ناحية، والتعلم من ناحية أخرى، كما يحصل التبادل العلمي بين علماء المسلمين سواء بعقد حلقات

---

(١) البخاري- **صحيح البخاري**- ج٣- ص١٦٢.

الدرس في المسجد أو بتبادل الكتب العلمية، أو إهداء إنتاجهم العلمي إلى هذه الأماكن المقدسة[1] .

ولقد تعرضت خزائن الكتب في الحرم الشريف لكوارث عدة منها التلف والضياع والحرث والسرقة، وذلك لعدم وجود مكان مخصص لها يحميها من عبث العابثين ويحفظها من عوارض الزمان، كالسيول وغيرها، لوقوعها في وادي ابراهيم، حيث أوردت لنا بعض المصادر إشارات واضحة لهذه السيول، التي كانت سبباً في تدمير وجرف وإضاعة الكثير من الكتب بخزائن الحرم المكي، وراح ضحيتها أعداد كبيرة منها.

وذكر العز بن فهد في حوادث عام ٩٠٢هـ/١٤٩٦م، أن مكة تعرضت لسيل دخل المسجد الحرام ودخل القبب وأتلف بعض المصاحف وبعض "صحيح البخاري" الذي كان في ثلاثين جزءاً[2] .

إن إستمرار هذه الكوارث التي بليت بها خزائن الكتب بالحرم المكي الشريف والتي أفقدت منها العدد الكبير. الأمر الذي جعل القائمين على الحرمين الشريفين في مكة يفكرون في جميع شتات مابقي من تلك الخزائن من كتب، ولايعرف تأريخ معين جمع فيه شتات هذه الكتب، ويبدو أنها نقلت من الخزائن المنتشرة في أنحاء متفرقة من الحرم المكي الشريف إلى خزائن مخصصة مثل القبب التي كانت بالقرب من بئر زمزم كقبة الفراشين التي أعدت لمصالح

---

(١) **نيل المنى**- ص٨-٣٥-٩٧-١٢٢-١٤٣-١٧٨-٢٢٥-٢٨٠-٢٨٣-٣٤٤.

(٢) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٨٧ب.

المسجد الحرام لحفظ الشمع والشمعدانات والمصاحف التي أوقفت على المسجد الحرام[1].

وكان من الإهتمام بها أن عين عليها خازن بمرتب ثابت مهمته الاشراف على الناحيتين العلمية والإدارية في المكتبة وملاحظة دقة الفهارس وحسن تصنيفها وتيسير القراءة للقراء، والمحافظة على الكتب من الضياع وحبكها وترقيمها بين حين وآخر وتنظيم الإعارة منها[2].

ب- خزائن الكتب في الأربطة:

كثرت الأربطة في الحجاز خلال فترة البحث لاسيما في الحرمين الشريفين. والتي كان يقوم بإنشائها سلاطين وأمراء الأطراف، وغيرهم من محبي الخير، وقد إشتهر بعض الأربطة بنشاطه التعليمي ووجود العديد من الكتب المهمة فيه، وقد كثرت هذه الكتب في بعض الأربطة إلى أن أصبح بعضها تضم مكتبات ضخمة فيها جميع فنون العلم. ولقد ذكرنا سلفاً حريق رباط إبن الزمن وما أحدثه من إتلاف جميع الكتب الموجودة في مكتبة الرباط[3].

---

(١) النهروالي- **الاعلام**- ص٢١٥- القطبي- اعلام- ص١٢٨- الطبري-**الأرج المسكي**- ورقة٧٩.

(٢) النهروالي-**المصدر السابق**- ص٢٢٥-٢٢٦.

(٣) **نيل المنى**- ص٢٩١.

والجدير بالذكر أن معظم هؤلاء الواقفين لهذه الكتب في الأربطة كانوا من سكانها[1] فعرفنا منهم لما تقدمه هذه الأربطة لهم من خدمات ولمعرفتهم بأن هذه الأربطة تأوي كثيراً من طلبة العلم الفقراء، والذين لايملكون أموالاً لشراء الكتب، فكانوا يحسون ويشعرون بمعاناتهم، خاصة وأنهم كانوا يقيمون معهم ومعايشين لواقعهم، لذلك أوقفوا كتبهم في هذه الأربطة خدمة لهم ولطلبة العلم الآخرين.

جـ- خزائن الكتب في المدارس:

كما قامت المكتبات المدرسية التي أنشأها السلاطين والأمراء والقضاء، والعلماء بدور كبير في توفير الكتب لطلاب العلم وهذه المكتبات وإن كانت أقل عمومية من مكتبات المساجد إلا أنها ساعدت في تنشيط الحركة العلمية في الحجاز، وعين لبعض هذه المدارس أمناء لمكتباتها من أجل المحافظة على الكتب، وتقديم العون لطلاب العلم في جلب ما يطلبونه من منها.

ويكاد يكون السلطان قايتباي، هو الوحيد من سلاطين المماليك الذي إهتم بإيجاد خزائن الكتب في المنشآت العلمية بالحرمين، ففي مكة انشأ مدرسته وأرسل إليها خزانة كتب وقفها على طلبة العلم[2]، وكان من جملة هذه

(١) **نيل المنى**- ص٨٧.

(٢) النهروالي-**الاعلام**- ص٣٢٥- السنجاري-**منائح الكرم**- ج٢- ورقة١٣- ١٤.

الكتب ربعة مُكتوبة بالذهب الخالص، مـن أولها إلى آخرها بقلم الشعر في صورة قلم الثلث[1] . وعين لهذه المكتبة خادماً جعل له معلوماً لذاته[2] .

وقد اختلف العناية بالمكتبات باختلاف أمانة الخازن، وحرصه وسعة إطلاعه فمنهم من حفظها، ونمى عدد كتبها بإمدادها بما يستجد من مخطوطات ومنهم من أهمل الاشراف عليها فامتدت اليها الأيدي بالسرقة ونحوها وتبددت محتوياتها مع الأيام.

ويذكر النهروالي أن أيدي المستعيرين استولت على هذه الكتب، وضيعوا أكثرها و لم يبق منها سوى ثلاثمائة مجلد، ثم يذكر أنه كان مشرفاً على المكتبة عام ٩٨٠هـ/١٥٧٢م وأنه أجرى إصلاحات فيها كما قام بصيانتها وتجليد بعضها[3] أو كما فعل القطبي حين تسلم أمانة مكتبة مدرسة قايتباي و لم تكن محتوياتها لتزيد على عدة آلاف، وحين اسلم الروح كان عدد مافيها أربعة عشر الف مجلد[4] .

ولاشك أن هذه المؤلفات والكتب التي شكلت حيزاً كبيراً في إنشاء المكتبات كانت تمثل مظهراً من مظاهر النشاط العلمي بالحجاز، وربما قام مؤلفوها بتدريسها، إما في الحرمين الشريفين، أو في المدارس التي كانوا يقومون بالتدريس فيها، او في الأربطة التي كانوا مشايخها[5] .

---

(١) السنجاري- **المصدر السابق**- ج٢- ورقة١٣-١٤.

(٢) النهروالي-**الاعلام**- ص٣٢٥- السنجاري-**منائح الكرم**- ج٢- ورقة١٣.

(٣) النهروالي- **الاعلام**- ص٣٢٥.

(٤) القطبي- **اعلام**- ص١١٨.

(٥) **نيل المنى**- ص٩-٤٨-٢٨-٤٠٢.

٣- الوراقة والوراقون:

كان من نتائج صناعة الورق في العالم الإسلامي، وانتشار استعماله أن ظهر في المجتمع الاسلامي طائفة من المشتغلين بشئون الكتاب. من نسخ وتجليد وتجارة وهؤلاء هم الوراقون الذين كانوا عاملاً حاسماً في نشر العلوم والمعارف وفي توفير الكتب والمكتبات في العالم الإسلامي.

وكان الوراقون يحتلون مكانة علمية ولأن معظمهم من العلماء وطلبة العلم، فقد اتخذ البعض منهم هذه المهنة مصدراً للرزق لما تدره من مال حلال لاشبهة فيه(١).

ويعد جار الله بن فهد من أبرز الوراقين حيث كان ينسخ الكثير من المؤلفات بخطه(٢).

والحجاز شأنها شأن المدن الإسلامية الأخرى، فقد ظهرت بها أعداد لا بأس بها من النساخين يمتازون بجودة الخط وحسنه، وكان أكثر هؤلاء النساخين من الذين قدموا إلى الحرمين الشريفين للمجاورة.

ويبدو أن هذه المهنة كانت تدر مردوداً مالياً طيباً على صاحبها، لذا فقد كان الكثير منهم يتكسبون منها، ويجعلونها عملاً دائماً لهم.

والقائمة طويلة لحصر اسمائهم، ومما تذكره مصادر البحث من العلماء النساخ والمتكسبين منهم:

---

(١) كحالة: **مقدمات ومباحث في حضارة العرب والإسلام**، دمشق- مطبعة الحجاز- ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م- ص٢١٥.

(٢) **نيل المنى**- ص٩٧-٢١٣.

احمد بن الحُسين المعروف بابن العليف (ت ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) الناسخ المشهور كان شاعراً مبدعاً وصفه جار الله بن فهد فقال: ((كان يتكسب بالنساخة، وصار متنبي زمانه))[١] نسخ كتباً كثيرة بخطه للناس بالأجرة، ولقد أوصى أن يجهزه بعد وفاته جار الله بن فهد فجهزه ودفنه بالمعلاة.

تأتي بعد النسخ عملية أخرى وهي التسفير أو التجليد وهو بمثابة الإخراج النهائي للكتاب والغرض منه حفظ الكتاب، وصيانته ضد عوامل التلف، كما أن من شأن التجليد أن يضفي جمالاً على الكتاب حيث لايقتصر عمل المجلد على مجرد كسوة الكتاب بالجلد لحفظه، كما أن التجليد يسهل عملية نقله واستعماله ونال التجليد للكتب عناية خاصة من المكيين[٢].

ومن أشهر من تكسب بصناعة التجليد محمد بن عمر بن عزم التميمي التونسي الشهير بابن عزم[٣] وكانت له علاقة حميمة بالعز بن فهد ولقد ترجم له إبن فهد في كتابه بقوله: ((مات في ليلة الجمعة تاسع عشر ربيع الآخر سنة ٨٩١هـ/١٥٨٣م ودفن بالمعلاة وخلّف أولاداً وكتباً))[٤].

---

(١) **نيل المنى**- ص٥٦.

(٢) **المصدر السابق**- ص٤٧-٦٨-٨٢-١٨٥-٣٩٦-٤١٠.

(٣) النجم بن فهد- **الدر الكمين**- ورقة٤١أ- ٤١ب- العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة٩٦أ- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٨- ص٢٥٥-٢٥٦- الزركلي- **الاعلام**- ج٦- ص٣١٥.

(٤) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة٩٦أ.

٤- تعليم المرأة ودورها في الحركة التعليمية:

أوجب الإسلام طلب العلم على كل مسلم سواء أكان ذكراً أم أنثى فالرسول صلى ا لله عليه وسلم يقول: ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾[١] و لم يفرق الإسلام بين الرجل والمرأة في التعليم، بل جعل تعلم المرأة أمور دينها، وما تستقيم به حياتها فرضاً يجب عليها أن تتعلمه، وكل مايحصل عليه الرجل من الثواب عن العمل الذي يعمله، تحصل عليه المرأة من غير تفريق بينهما، قال تعالى: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً﴾[٢] ، ويقول سبحانه: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾[٣] ، وحديث الرسول صلى اليه عليه وسلم: ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾[٤] . يشمل الرجال والنساء على حد سواء، فكما أن هذا القدر من العلم يجب على الرجل أن يتعلمه، كذلك يجب على المرأة أن تتعلمه، والتقصير فيه خطيئة لا يكفرها إلا الخروج من الجهل به.

التزمت المرأة في مكة المكرمة أثناء تعليمها بما يفرضه عليها دينها،وليس المراد بالتعليم، تعليم المرأة العلوم الشرعية فقط، حيث لا مانع أن تتعلم الطب

(١) رواه ابن ماجه في سننه- المقدمة -**باب فضل العلم والحث على طلب العلم**- رقم الحديث ٢٢٤.

(٢) سورة النساء- آية١٢٤.

(٣) سورة النحل- آية٩٧.

(٤) إبن ماجه- **سننه**- رقم الحديث٢١٥.

لتعالج الإناث، وتتعلم المفيد من العلوم لتعلم النساء، إلى غير ذلك من العلوم التي تفيد بها بني جنسها، وستجد من الإسلام كل عون في ذلك.

فتجنبت الاختلاط بالرجال الأجانب عنها، و لم تكن تسافر إلا مع زوج أو محرم ولايشترط عليها الإسلام إلا شرطين: **الأول**: أن تطلب العلم بحشمة ووقار فلا تخالط الأجانب ولا تزاحم الرجال في مجالسهم، **والثاني**: أن يكون ماتتعلمه مما يعود عليها بالنفع والخير[1].

و لم يقف الإسلام عند تعليم الحرائر والإهتمام بهن، بل تجاوز ذلك على الحث على تعليم الإماء، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد -صلى الله عليه وسلم- والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أَمَةٌ فأدبها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران﴾[2]، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج الى النساء فيعظهن ويعلمهن، لأن ترك النساء بغير تعليم يؤدي إلى جهلهن بما يجب عليهن من امور دينهن، وحقوق أزواجهن، وتربية أولادهن. عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أن رسول الله صلى الله عليه وسلم -خرج- أي إلى النساء ومعه بلال فظن أنه لم يسمع، فوعظهن وأمرهن بالصدقة﴾[3].

---

(١) الوكيل، محمد السيد-**الحركة العلمية في عصر الرسول وخلفائه**- الطبعة الاولى- جدة- دار المجتمع للنشر والتوزيع- ١٩٨٦م- ص٣٧.

(٢) البخاري-**صحيح البخاري**- ج١- ص١٩٠.

(٣) البخاري-**المصدر السابق**- ج١ ص١٩٢.

ولذلك فقد سار تعليم المرأة جنباً إلى جنب مع تعليم الرجل في كل بلاد الإسلام ومنها. مكة المكرمة فالمرأة المسلمة مأمورة بأن تتعلم أمور دينها، لأنها مكلفة بفرائض الإسلام كالرجل.

و لم يختلف وضع المرأة ومكانتها العلمية بعد هذا العصر بل استمر على ما هو عليه في العصر المملوكي، حتى أن كثيراً من مؤرخي مكة كانوا يفردون فصولاً[١] في مؤلفاتهم للحديث عنهن وعن دورهن العلمي.

ولذلك فإننا نجد تعليم المرأة في مكة كان يتم من خلال ثلاث طرق:

١- أن تتعلم على يد امرأة مثلها، المعلمات[٢].

٢- أن تأخذ المرأة العلم عن رجل أو رجال من ذوي محارمها وهذه الطريقة هي أشهر الطرق وأوسعها انتشاراً، إذ أن تلك الأعداد الكبيرة من العلماء الذين حفلت بهم كتب التراجم سوف يعلمون أضعاف عددهم من النساء[٣].

٣- عند الضرورة قد تأخذ عن الرجال من غير ذوي المحارم أما خلف ستر أو أن يكون الرجل ضريراً معروفاً بالعفة[٤].

ولقد ذكرت لنا كتب التراجم أسماء كثيرة من عالمات العصر ونشاطهن العلمي، ويلاحظ أن معظمهن كان لهن إهتمام بعلم الحديث، كما أن معظم النساء في الحجاز نشأن في منازل الأسر العلمية التي سأفرد لها مبحثاً خاصاً.

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٨- النجم بن فهد- **معجم الشيوخ**- **الدر الكمين**.

(٢) النجم بن فهد- **الدر الكمين**- ورقة١٩٨- عز الدين بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٩٨أ.

(٣) **نيل المنى**- ص٧٨.

(٤) **المصدر السابق**- ص٧٨-١١٨-٤١٣.

ويلاحظ أن إجازتهن وأخذهن للعلم كان على أيدي آبائهن أو أجدادهن، أو أزواجهن، أو أبنائهن، أو غيرهم من المحارم كعائلة بني فهد[1] وإذا كان هناك بعض النساء أجاز لهن بعض العلماء من غير هؤلاء المحارم فإن هذه الإجازات طلبها لهن أباؤهن في صغرهن[2] وكان لهن دور في الحركة العلمية من خلال الأسر الحجازية ومنهن زينب بنت الرضي محمد بن المحب محمد (ت٨٦٢هـ/١٤٥٧م)[3] ، اقتصر نشاطهن أيضاً على الإجازة، فقد أجازت للسخاوي، والنجم بن فهد وغيرهما[4] .وأم كلثوم ابنة محمد بن ابي الفتح محمد بن احمد الفاسي (ت٨٧٢هـ/١٤٦٧م)[5] روى عنها النجم بن فهد حديثاً.

ومن أبرز نساء اسرة ابن فهد اللاتي شاركن في النهضة العلمية بالحجاز: أم الحسن بنت محمد (ت٨٢٧هـ/١٤٢٣م)[6] ، عمة التقي، فقد أجيزت، وحدثت وسمع منها النجم بن فهد[7] ووالدة التقي بن فهد -فاطمة- المدعوة حليمة بنت أحمد بن محمد الأصفوني (ت٨٣٧هـ/١٤٣٣م)، التي سمع منها ولدها التقي وبنوه[8] ، وست قريش فاطمة بنت التقي

(١) عز الدين بن فهد-**غاية المرام**- ج١- ص١٧.

(٢) **نيل المنى**- ص٤٣.

(٣) النجم بن فهد- **الدر الكمين**- ورقة٢٠٦أ- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص٤٣.

(٤) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٣١٧- السخاوي- **المصدر السابق**- ج١٢- ص٤٨.

(٥) النجم بن فهد-**الدر الكمين**- ورقة ٢٢٩أ.

(٦) الفاسي-**العقد الثمين**- ج٨- ص٢٣٠- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص١٣٧.

(٧) السخاوي- **المصدر السابق**- ج١٢- ص١٣٧.

(٨) **المصدر السابق**- ص٨٨.

(ت٨٧٩هـ/١٤٧٤م)[1]، أجاز لها علماء من الحرمين، وبيت المقدس، والخليل، ومصر، ودمشق، وحلب، وحماه وحمص، وبعلبك، وطرابلس، وغزة، والرملة، والإسكندرية، وسمعت بنفسها، وأجازت لأخيها النجم[2] وكذلك أم هانيء -زينب ابنة التقي (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م)[3] عالمة ورحّالة، أجازت لأخيها النجم بن فهد والسخاوي[4] وكمالية ابنة نجم الدين محمد بن أبي الخير (ت٨٦٦هـ/١٤٦١م)[5].

وست الأهل بنت تقي الدين ابن فهد (ت٨٩١هـ/١٤٨٦م)[6] حضر بها النجم بن فهد على عدد من العلماء، وسمعت الكثير عليهم، ورحلت إلى عدد من المدن الإسلامية، أجاز لها ابن حجر، وعائشة بنت علي الكناني[7] وعائشة بنت ابراهيم الشرائحي[8].

---

(١) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٤٠٤- **الدر الكمين**- ورقة ١٠٨- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج١٢- ص١٠٤.

(٢) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٤٠٤- **الدر الكمين**- ورقة ٢٠٨أ.

(٣) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٣٩٧- **الدر الكمين**- ورقة ٢٣١أ- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص١٥٩.

(٤) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٣٩٧- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص١٥٩.

(٥) النجم بن فهد-**الدر الكمين**- ورقة ٢١٨أ- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص١٢١-١٢٢.

(٦) السخاوي-**المصدر السابق**- ج١٢- ص١٤٦-١٤٧.

(٧) هي عائشة بنت علي بن محمد بن علي الكناني القاهرية الحنبلية، ولدت عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م بالقاهرة، وسمعت الكثير على علماء عصرها، وأثنى عليها كثير من العلماء ومنهم المقريزي، وحجت وحدثت بمكة، توفيت عام ٨٤٠هـ/١٤٣٦م، ترجم لها:السخاوي- **نفس المصدر السابق**-ج١٢- ص٧٨- ص٧٩.

(٨) هي عائشة ابنة الصارم ابراهيم خليل بن عبد الله بن محمود بن يوسف الزبيدية السنجارية الاصل ثم الدمشقية، وتعرف بابنة الشرائحي. ولدت عام ٧٦٠هـ/١٣٥٨م، وسمعت وأسمعت الكثير من مروياتها، وأخذ عنها السخاوي، توفيت عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م- ترجم لها: السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص٧٣.

وكانت النساء في الحرمين الشريفين يأتين إلى المساجد إما للعبادة أو لسماع الخطب والمواعظ، كما كن يلقين المواعظ والدروس من خلال منازلهن والأربطة، وكن يحضرن المواعيد بها، وقد أجازت بعض العالمات في الحرمين الشريفين لكثير من الرجال والنساء.

وحرصت المرأة في الحرمين الشريفين على تحصيل الإجازات من العلماء والشيوخ.

ولقد حصل جار الله بن فهد لإبنته آسية التي كان يصطحبها وهي في سن الصغر إلى حلقات العلماء في المسجد الحرام أن جعلها تنبغ في تسجيل العلوم والمعرفة في ذاكرتها مما جعل بعض الفقهاء أن يمنحها الإجازة ويرصد قائلاً: ((وفي يوم تاريخه... وابنتي بالقراءة على قاضي القضاة شيخ الإسلام الجلالي أبي السعادات المالكي ثلاثيات صحيح البخاري وبعض الموطأ رواية يحيى بن يحيى))(١).

ولعل دور المرأة العلمي يظهر لنا من خلال العلماء المحدثين الكبار في الحرمين الشريفين حيث أن كثيراً منهم أخذ عن نساء الحرمين الشريفين، مما يدل على علو شأنهن خاصة أسرة ابن فهد(٢).

كما عرف عن المرأة المكية الرحلة في طلب العلم، فإذا أكملت تعليمها في بلدها ووجدت أن الظروف مهيأة لها لتلقي العلم خارج بلدها سارعت إلى شد الرحال بصحبة ذي محرم من أب أو أخ أو غيره، فقد رحلت أم هاني

---

(١) نيل المنى- ص١٦٠.

(٢) المصدر السابق- ص١٨.

زينب بنت فهد الى بلاد الشام وأجازت لعدد من العلماء[1] ، وكذلك أم ريم تقيه ابنة تقي الدين بن محمد إبن فهد التي رحلت لطلب العلم الى عدد من المدن الإسلامية صحبة شقيقها العز بن فهد في بداية القرن العاشر الهجري[2] وإذا كانت المرأة المكية قد حرصت على أخذ العلم، فقد جندت نفسها أيضاً على نشر ماتعلمته، وكان الأقربون لها رجالا ونساءً هم أول من يستفيد من علمها ثم هي لاتبخل بعلمها على طلبة العلم، فتمارس التعليم بمختلف الوسائل التي لاتتعارض والتزامها بأوامر دينها، فتدرس خلف الستر وتجيز لمن أخذ عنها وقد تجيب كتابة عما تسأل عنه، كما كانت تفعل وهكذا فقد شاركت المرأة المكية في الحياة العلمية، فتعلمت ما تحتاج إليه في حياتها بل واستزادت من العلم ونشرت ماتعلمته بين بنات جنسها كما نالت المرأة حظها في مجال الإبداع الأدبي.

وخير مثال على بنوغهن في العلم وإجازتهم للعلماء ماروواه لنا جار الله بن فهد أنه درس الحديث وبرع فيه على يدي راويات وامتدح شيخاته في الحديث وأبرزهن ام سلمة بنت محمد الطبريه المكية (ت٩١٣هـ/١٥٠٧م)[3] وفاطمة بنت الكمال بن سيرين (ت٩٤١هـ/١٥٣٤م)[4] .

---

(١) النجم بن فهد-**الدر الكمين**- ورقة٢٣١أ- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١٢- ص١٥٩.

(٢) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة١٨٨أ- ١٨٨ب- **نيل المنى**- ص٢٦٧.

(٣) **نيل المنى**- ص٢٢.

(٤) **المصدر السابق**- ص٤١٩.

بذلك يكون الهدف من تعليم المرأة هو رغبة ولي أمرها في إنارة عقلها، وترقية تفكيرها وتهيئتها لتمارس دورها في حياتها المستقبلية، و لم يك ينظر لتعليم المرأة على أنه إعداد لها لتعمل، أو أن يكون وسيلتها لتحصيل لقمة العيش، فإذا كان الرجل المكي يتعلم من أجل العلم لا لكي يحصل على عائد مادي، فإن المرأة –وقد كفاها الرجل النفقة– من باب اولى تتعلم لكي تنفع نفسها ومجتمعها.

٥- المناظرات العلمية:

لعل من نافلة القول الإشارة إلى أهمية المناظرات والردود بين العلماء في إثـراء الحياة العلمية، ذلك أنها تشحذ الأفكـار نحـو انتـاج فكـري وعلمـي رصـين، وتتم المناظرات بين العلماء بأن تطرح إحدى المسائل العلمية فيأخذ كل عـالم يدلي بدلوه في المسألة وقد تحتد المناقشة بـين المتنـاظرين ويبـدو للوهلـة الأولى أنهم على عداء بينهما، ولكن حقيقة الأمر أنهما أصفى من الماء الـزلال، وأن الهدف هو إشاعة الفائدة لكل واحد منهما وللحضور أيضاً.

مارس المكيون كغيرهم في أقطار العالم الإسلامي -التعلم والتعليم في اكثر من مكان، وأصبح التقـاء العـالم بطـالب العلـم فرصـة للإفـادة والاستفادة، دون اعتبار لمكان هذا اللقاء أو زمانه[1]، فقد حرص العلماء علـى إلقـاء دروسـهم حيثمـا اتفـق في المسـجد، أو في السـوق، أو في الحوانيـت، أو في البسـاتين والمتنزهات، وسواء أكـان الوقـت ليـلاً أم نهـاراً، وكثـيراً مـا نجـد في تراجـم العلماء، أن هذا العالم صـابر علـى التعليـم، دائـب عليـه نهـاره وليلـه[2]، وفي المقابل فإن طالب العلم كان يحرص على الاستفادة من العالم في جميع الأزمان وكل الأمكنة، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى ملازمة شيخة سنين طويلة، وأن يبيت معه في منزله ليظفـر منـه إمـا بشـرح مسـألة، أو بمطالعـة موضـوع مـن كتاب[3] .

---

(١) نيل المنى- ص١٦-٥٨-٧٢-١٥١-٢١٣.

(٢) المصدر السابق- ص٤٧-٥٨-٦٩-٨٧-١٥١.

(٣) المصدر السابق- ص١٢-٤٤-٩٨.

ومن المناظرات بين العلماء في هذا العصر ماجرى بين الأئمة الأربعة عندما قرر الأمير العثماني مصلح الدين هدم مقام الحنفية بالمسجد الحرام واعادة بنائه فاجتمع القضاة وقالوا له فعل هذا منكر وشدد في ذلك القاضي الحنبلي عبد القادر بن نجم بن ظهيره وحصلت مشاداة ومناظرات وطلب الأمير مصلح الدين بعض علماء الحنفية الذين بمكة منهم قاضي القضاة الحنفي بديع الزمان إبن الضياء وتناظر الجميع وأفتى القاضي الحنفي أن جده قاضي القضاة ابا البقاء ابن الضياء جوز ذلك في منسكه المسمى "البحر العميق" وأقنع الحاضرين بحجته وأعجب الأمير مصلح وكان السبب في تصميمه على البناء[1].

وحصلت مناظرة بين الشيخ محمد بن عراق والقاضي محب الدين بن ظهيره حول زفة المولد وما يصاحبها من إختلاط، وركز إبن عراق أن المولد بدعة يجب تبطيلها، حيث يختلط الرجال بالنساء وطلب شريف مكة من العلماء والقضاة البت في هذا الموضوع فحصلت مناظرات انتهت أن أهل الإسلام يحتفلون بشهر مولده عليه السلام ويعملون الولائم ويظهرون السرور ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة مولده الكريم وألف بذلك الحافظ المقريء شمس الدين محمد ابن الجذري كتاباً سماه "التعريف بالمولد الشريف" وألف كذلك ابو شامه كتاباً سماه "الباعث على إنكار البدع والحوادث"[2].

---

(١) **نيل المنى**- ص٥-٦.

(٢) **المصدر السابق**- ص٢١٤.

وكذلك كانت هناك مناظرة بين العلماء عندما وقع الطاعون في بلاد بجيلة ووصل الى العقيق وما حول الطائف وتوفي من ذلك مئات من الأنفس والمواشي عام ٩٤٣هـ/١٥٣٦م وخشي أهل مكة من دخول الطاعون وقصد الناس العلماء والفقهاء يستفتونهم في أمر هذا الوباء الأسود فحصلت المناظرة بين العلماء وكان هناك الجدل الصاعد وألفت بذلك المؤلفات ويسرد لنا جار الله بن فهد قائلاً: ((... وقد سئلت عن صحة الحديث فجمعته في مؤلف فوجدت صاحبنا العلامة الأوحد مفتي المسلمين جمال الدين محمد بن الخطاب في مناظرته يقول "بأن الطاعون لا يدخل البلد الأمين، والقول الصادق المأمون في أن مكة والمدينة لايدخلهما الطاعون وأجاد في وقعة وحصلت نسخة من خطه و لله الحمد ثم اختصره في مؤلف سماه "الشاره المبينة أن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة))[1].

ومما يلفت الانتباه عندما يشتد الصراع بين القضاة والخطباء أن يعلن عن الاسراع في إنعقاد مجلس يضم القضاة والعلماء للبت في الأمر الجلل والصلح فيما بينهم ويرصد لنا جار الله بن فهد عندما استفحلت قضية الخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري بشأن الخطبة مع خصمه محي الدين العراقي ((فحس الخطيب عبد الرحمن بالقضية فتحير في أمره... واجتمع بشيخ الشيوخ محمد بن عراق وشكا إليه أمره فتظاهر له التألم وأشار عليه بعقد مجلس عند القضاة والعلماء... فاجتمع المجلس... وأمرهم برؤية أحكام الخصمين... وتم الفصل بينهما))[2].

---

(١) **نيل المنى**- ص٣٨٢.

(٢) **المصدر السابق**- ص٢٠٥-٢٠٦.

٦- أهم الأسر العلمية بمكة المكرمة:

يواصل جار الله بن فهد وصفه للحياة العلمية في مكة وكان وصفه مرآة صادقة لهذا المجتمع وعاداته وتقاليده، وهو هنا يتحدث عن الاسر العلمية التي عاصرها بمكة ورسم معالم واضحة لتلك الأسر العلمية ولا غرو في ذلك فهو سليل أسرة ثرية بالعلم مشهورة بالمعرفة وهذا مجتمعه ومحيطه الذي اختلط به ويوضح لنا شدة اعجابه بهذا العدد الغفير من العلماء والأعلام الذين عاصرهم بمكة وسنحاول في هذا المبحث كما ذكرت آنفاً استكمال الصورة التاريخية والحضارية بالتحدث عن بعض الأسر التي لم يعاصرها جار الله على اعتبار أن علماء هذه الأسر كان النواة الاولى والقاعدة الأساسية التي كونت هذا المجتمع العلمي المتميز.

فالمتتبع لمسيرة الحركة العلمية في التاريخ الاسلامي، يلحظ ظاهرة تستحق الوقوف عندها للدراسة والتأمل، هذه الظاهرة هي وجود أسر إهتم أفرادها بالعلم، وربت أبناءها على حبه والإهتمام به ولست أعني هنا تلك الأسرة المكونة من ثلاثة أشخاص، الأب والإبن والجد فقط، ثم تنقطع السلسلة بعد ذلك، فإن هذا كثير جداً في مرحلة الدراسة، وإنما عنيت هنا بالأسرة العلمية التي امتد أثرها ونشاطها العلمي على مدى قرن من الزمان فأكثر، وانتسب افرادها إلى أصل واحد ذوي فروع متعددة.

وتعد الأسر المكية مظهراً من المظاهر التي ساعدت في إثراء الحركة العلمية، وتنشيطها، فقد تخصصت بعض البيوت المشهورة في مكة في طلب العلم

والتأليف، وحظيت بنصيب وافر من المعرفة، وعدد أكـبر مـن العلمـاء عرفـوا بحبهم للعلم وعند تتبع تلك الأسر العلمية التي تتابعت حلقاتها قرناً بعـد قـرن نجد أن البعض منها نشأت منـذ قـرون عديـدة وامتـدت حتـى القـرن التاسـع والعاشر الهجري والبعض الآخر استمر حتى القرن الثالث عشر الهجري ومـن أهم هذه الأسر:

اسرة الطبريون:

هي من أكبر الأسر العلمية العريقة المجاورة في مكة المكرمة، من حيث عددهـا من حيث امتدادها ستة قرون فقال التقي الفاسي في ترجمة أبي بكر بن محمـد بـن ابراهيـم الطـبري (ت٦١٣هـ/١٢١٦م)[١]، جـاور بمكـة مستوطناً بهـا، ورزق بها أولاداً نجباء، وأنجب من ذريته جماعة صاروا علمـاء مكـة ورواتهـا وقضاتها وخطباءها وأئمتها[٢] وأكد ذلك علـي بـن عبـد القـادر الطـبري في كتابه "الأرج المسكي في التـاريخ المكـي" حيـث قـال: "وأقـدم البيـوت بمكـة جماعتنا الطبريون، فإن الشيخ نجم الدين عمر بن فهد ذكـر في كتابـه "التبيـين في تراجم الطبريين.

ويبدو لنا من خلال كتب التراجم التي ترجمت للأسرة الطبرية بمكـة المكرمـة، أن الطبريين ليسوا كلهم من أصل واحد وإنما هم طبريون ينتسبون إلى عمـرو بن العلاء الشيباني فهم شيبانيون، وطبريون ينتسبون إلى الحسين بن علـي بـن ابي طالب –رضي الله عنهما–ومما ساعد على معرفـة اصـل هـذه الأسـر مـا

---

(١) الفاسي–**العقد الثمين**– ج٨– ص٢٠.

(٢) **المصدر السابق**– ج٨–ص٢٠.

ذكره الفاسي في "العقد الثمين" حين الترجمة لأحد الأعلام، فيذكر في ترجمة الطبري، إما الحسين أو الطبري الشيباني[1] .

والأسرة الطبرية كان لها نشاط ملموس في العلوم الشرعية، خاصة علم الحديث، وقاموا بالتدريس في الحرمين الشريفين والمدارس، والأربطة[2] .

ومن أشهر علماء هذه الأسرة في القرن العاشر الهجري احمد بن عبد الله بن محمد الطبري الحسيني المكي الشافعي ولد عام ٩٢٧هـ/١٥٢١م[3] ، سمع بمكة على كثير من العلماء وقرأ على العلامة احمد بن حجر الهيتمي ولازم درسه وأجاز له خلق من بغداد والشام ومصر، وتفقه وحدّث ودرّس، وأفتى إلى أن صار شيخ الحجاز في عصره بلا منازع، كما كان له حظوة عند أمراء مكة وسلاطين اليمن[4] .

ويذكر جار الله بن فهد أن الإمام خير الدين محمد إبن الامام أبي السعادات الطبري الشافعي يمتاز بصوت جميل في قراءة القرآن والمامه بعلوم الدين ماهراً في التدريس أصيب بمرض بعد وفاة زوجته ويقول أيضاً جار الله بن فهد ((...ماتت رودفان الجاركسية زوجة الامام جمال الدين... وشيعها جماعة من الفقهاء، وحزن عليها زوجها فإنه يشكر فيها لموافقتها له وصبرها وعقلها وعلمها))[5] .

---

(١) انظر فهارس أجزاء العقد الثمين.

(٢) **نيل المنى**- ص٣٨-٨٧-٩٩-١١٥-٢٢٨-٤٢٣.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣٤٦.

(٤) ابن كثير- **البداية والنهاية**- ج١٣- ص٣٦١- الفاسي-**العقد الثمين**- ج٣- ص٦٥.

(٥) **المصدر السابق**- ص١٠٦.

ويعد إمام مقام الشافعية خير الدين محمد الطبري الذي كان يقوم بالأعمال الجليلة محباً للخير للمجتمع المكي ويحدثنا جار الله بن فهد قائلاً: ((كان لقلة الأمطار أن ألهم الله تعالى إمام مقام الشافعية العلامة المدرس خير الدين محمد الطبري في جمع جماعة من الرجال والصغار أولاد الكتاب ودخل بهم المطاف الشريف ضحوة نهار الأحد... ووقف بهم أمام البيت الشريف والتجوؤا الى الله تعالى والمصاحف الشريفة على رؤوس أولاد الكتاب بالدعاء والبكاء والنحيب وكانت ساعة مقبولة... واستمر خير الدين يقنت بالناس في الصلوات الخمس ثم في أثناء الجمعة الثانية منَّ الله تعالى على العباد والبلاد بمطر قوي بمكة وغالب نواحيها))[1] .

واعتنى بالعلم كثيرا، ولم يشغل نفسه في صغائر الأمور وحقيرها، وكان لأيُرى إلا في علم أو عبادة.

و لم يقتصرالعلم في اسرة الطبريين على الرجال بل شمل كذلك النساء وتعد أم سلمه ابنة المحب محمد بن الرضي محمد الحسينية المكية من ألمع النساء المتبحرات في شتى العلوم والمعرفة وهي شيخة جار الله بن فهد ولقد ذكرها في ثنايا كتابه[2] ولقد ساهمت في إثراء الحركة العلمية لدى النساء المكيات واستمرت في عطائها حتى حانت وفاتها عام ٩١٣هـ/١٥٠٧م ودفنت بالمعلاة[3] .

وظلت هذه الأسرة بعد ذلك تؤدي دورها العلمي إلى بداية القرن الثالث عشر الهجري.

---

(١) **نيل المنى**- ص٣٣٤.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٨.

(٣) العيدروسي- **النور السافر**- ص٨٦.

أسرة القسطَلاني:

تنسب الى الحسن بن عبد الله بن احمد بن ميمون بن راشد القيسي القسطلاني، ومن ذريته توالت أسرته إلى مابعد عصر المماليك، وممن كان لهم نشاط في الحركة العلمية.

ومن أشهر علماء هذه الأسرة محمد بن احمد بن علي بن محمد القيسي القسطلاني المكي الشافعي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)[(١)] ولقبه قطب الدين، سمع على كثير من العلماء وقد اعتنى به والده كثيراً وشجعه فدرس في مدرسة دار زبيده (مدرسة طاب الزمان الحبشية) بالحرم الشريف بحضرة والده، وبدأ بالإفتاء سنة ٦٢٣هـ/١٢٢٦م، إلى أن مات، وحدّث بكثير من مسموعاته، وبعض تصانيفه، وسمع منه كثير من طلاب العلم، وأجاز لهم[(٢)].

كما عرف من علماء هذه الأسرة، محمد الأمين ابن القطب القسطلاني (ت٧٠٤هـ/١٣٠٤م)[(٣)] الذي سمع الحديث بمكة، وانتهت اليه مشيخة

---

(١) انظر ترجمته في الصفدي، صلاح الدين خليل أيبك-**الوافي بالوفيات**- ج٢- تحقيق بمجموعة من المحققين- بون- جمعية المستشرقين- ١٣٨١هـ- ص١٣٢- الكتبي، صلاح الدين محمد بن شاكر-**فوات الوفيات**- ج٣- تحقيق احسان عباس- بيروت- دار صادر- ١٩٧٣م- ص٣١٠- اليافعي-**مرآة الجنان**-ج٢- ص٢٠٢- السبكي، عبد الوهاب بن علي-**طبقات الشافعية**- ج٨- تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو- ط١- القاهرة- مطبعة الحلبي- ١٩٦٥م- ص٤٣- ابن كثير-**البداية والنهاية**- ج١٣- ص٣٢٨- الفاسي-**العقد الثمين**- ج١- ص٣٢١- **ذيل التقييد**- ج١- ص٩٩- ص١٠٠- التقي بن فهد-**لحظ الألحاظ**- ص٧٦- ابن تغري بردي-**النجوم الزاهرة**- ج٧- ص٣٧٣- **الدليل الشافي**- ج٢- ص٥٨٨- السخاوي-**التحفة اللطيفة**- ج٣- ص٤٨٥- السيوطي-**حسن المحاضرة**- ج١- ص٤١٩- ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٥- ص٣٩٧- البغدادي-**هدية العارفين**- ج٢- ص١٣٥.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص٣٢١- **ذيل التقييد**- ج١- ص٩٩- ص١٠٠.

(٣) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٢- ص٢٧٧- **ذيل التقييد**- ج١- ص٣٦١- ص٣٦٢- ابن حجر-**الدرر الكامنة**- ج٤- ص١٦٩.

الحديث بها وحدّث ودرّس بالحرم المكي وبعض المدارس في مكة[١].

وكذلك الكمال بن محمد بن محمد بن احمد بن حسن الزين (ت٨٦٤هـ/١٤٥٩م)[٢] قاضي المالكية بمكة سمع من ابن حجر وغيره، وحدّث وحمل عنه السخاوي[٣]، وقريبه محمد بن احمد بن محمد بن حسين بن الزين (ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م)[٤]، الذي درّس مدة بالحرم الشريف، وأجاز للنجم ابن فهد والسخاوي[٥]، وهناك الكثير من رجال هذه الأسرة ولكنهم ليسو كسابقيهم في العلم والمعرفة[٦].

كما برز من هذه الاسرة في القرن العاشر الهجري أبو السعود الزيني إبن علي المالكي المعروف بالقسطلاني، ولد بمكة ونشأ وحفظ القرآن الكريم، وأخذ من علماء مكة في عصره، جمع من علوم الشريعة واللغة والأدب وسرعة الفهم، وتصدّى للتدريس، وقد تعدد شيوخه وتنوعت إختصاصاتهم وبلادهم لم نجد له ذكراً في كتاب نيل المنى، ولكن وجدنا له ذكر لدى المؤرخ النهروالي وأضاف أنه من المعمرين حيث جاوز الثمانين عاماً وكانت منيته عام ١٠٢٢هـ/١٦١٣م[٧].

---

(١) الفاسي-**ذيل التقييد**- ج١- ص٣٦١- ص٣٦٢.

(٢) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٢٥٦- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٩- ص٤.

(٣) السخاوي-**المصدر السابق**- ج٩- ص٤.

(٤) النجم بن فهد- **المصدر السابق**- ص٢١٠- السخاوي-**المصدر السابق**- ج٧- ص٦١.

(٥) النجم بن فهد-**المصدر السابق**- ص٢١٠- السخاوي-**المصدر السابق**- ج٧- ص٦١.

(٦) انظر الفاسي-**العقد الثمين**- ج٢- ص٣٣٨- ج٣- ص١٢٦- ج٣- ص١٧٢- ج٦- ص٢٣٥- ابن حجر- **الدرر الكامنة**-ج١-ص٢٤٤- ص٣٠٠- ج٤-ص٢٢٩- **انباء الغمر**- ج٢- ص٤٤.

(٧) **الاعلام**- ص١٦٥- عبد الله مرداد- **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص٦٩.

أسرة العسقلاني:

لم يذكر المؤرخون أول جد رحل إلى مكة واستوطنها من هذه الأسرة، وقد ألف النجم بن فهد لكل أسرة من الاسر العلمية المشهورة بمكة كتاباً، لم يصلنا منها شيء ولو وصلت إلينا لحلت كثيراً من المشاكل المتعلقة بنسب هذه الأسرة وأفرادها، وقد نسب إلى عسقلان خلق كثير من أهل العلم، وعلى الرغم من قلة أفراد هذه الأسرة إلا أنه كان لها نشاط لا بأس به في العلوم الشرعية، ومن أهمهم:عبد الله بن محمد بن عبد الله بن خليل (ت٧٧٧هـ/١٣٧٥م)[١]، الذي سمع بمكة وحلب ومصر كثيراً من الأجزاء والكتب، وكان محدثاً حافظاً فقيهاً، حدّث بكثير من مسموعاته وولي التدريس في بعض مدارس مكة[٢].

كما برع في العلم وبلغ شأناً كبيراً الفقيه احمد بن محمد بن احمد صدقه الصيرفي العسقلاني الشهير بشهاب الدين، (ت٩٢٥هـ/١٥١٩م) الذي روى "جامع الترمذي كان إماماً ذكياً دقيق النظر حسن البحث ممتع المحاضرة ولكن في أواخر عمره كما يذكر جار الله بن فهد ((فإنه كان ساكناً منجمعاً عن الناس مع الحشمة والمودة وملازمة المسجد للصلاة والشهادة))[٣].

---

(١) الذهبي-**تذكرة الحفاظ**-ج٤- ص١٥٠٨- الفاسي-**العقد الثمين**- ج٥- ص٦٢٣- ابن الجزري-**غاية النهاية**- ج١- ص٤٥١- ابن حجر-**الدرر الكامنة**- ج٢- ص٢٩١- **انباء الغمر**- ج١- ص١١٤.

(٢) الفاسي-**العقد الثمين**- ج٥- ص٢٦٢-**الدرر الكامنة**- ج٢- ص٢٩١.

(٣) **نيل المنى**- ص١٠٧.

أسرة بني ظهيرة:

وتعد من أكبر الأسر المكية عدداً في العصر المملوكي، وهي قرشية الأصل مخزومية يرجع نسبها إلى الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي، ومن أبناء هذه الأسرة، عطية بن ظهير بن مرزوق القرشي المخزومي (ت٦٤٧هـ/١٢٤٩م)[١].

ومن أشهر علماء هذه الأسرة قاضي مكة وخطيبها، ابو العباس احمد بن ظهيره بن احمد بن عطيه (ت٧٩٢هـ/١٣٨٩م)[٢] الذي سمع كثيراً من كتب الحديث بمكة ثم بالقاهرة كما أجاز له علماؤها، وقد أقرأ ودرّس، وأفتى وحدّث، وانتفع به الناس، كما كان أخوه عبد الله بن ظهيره (ت٧٩٤هـ/١٣٩١م)[٣] مشاركاً له أيضاً في بذل أوقاته لنشر العلم، وحدّث ببعض كتب السنن[٤].أما أشهر علماء أسرة بني ظهيره فهو: قاضي القضاة الصلاحي ابي السعود بن ظهيره المكي الشافعي(ت٩٢٧هـ/١٥٢١م)[٥]،

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٦- ص١٠٧.

(٢) **المصدر السابق**- ج٣- ص٥٢- ابن حجر-**الدرر الكامنة**- ج١- ص١٤٣- ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٦- ص٣٢٢.

(٣) الفاسي-**المصدر السابق**- ج٥- ص١٨٣- ابن حجر-**المصدر السابق**- ج٢- ص٢٦٤- ابن العماد-**المصدر السابق**- ج٦-ص٣٣٣.

(٤) الفاسي-**المصدر السابق**- ج٥- ص١٨٤.

(٥) ترجم له: الفاسي-**العقد الثمين**- ج٢- ص٥٣- **ذيل التقييد**- ج١- ص٣٣٣- ص٢٣٦- ابن حجر- **انباء الغمر**- ج٣- ص١٤٥- ابن قاضي شهبه- **طبقات الشافعية**- ج٤- ص٣٨٣- ابن تغري بردي- **الدليل الشافي**- ج٢- ص٦٤٥- التقي بن فهد-**لحظ الألحاظ**- ص٢٥٣- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٨- ص٩٢- ابن العماد-**المصدر السابق**- ج٧- ص١٢٥.

قاضي مكة الشافعي وخطيبها ومفتيها وناظر المسجد الحرام سمع على كثير من العلماء من أهل مكة والقادمين اليها، ورحل في طلب الحديث والعلم، فسمع بمصر، ودمشق، والاسكندرية، وغيرها من البلدان الاسلامية، كما اجتهد في علوم اخرى وحصل فيها، كعلم القراءات والعربية، والفقه، وأصوله، وله مشاركة حسنة في غير ذلك من العلوم العلمية(1).

كما تولى التدريس في المسجد الحرام وبعض المدارس بمكة، وتولى من المناصب، قضاء مكة، ونظر الحرم، والأوقاف والربط، والحسبة، والإشراف على الأيتام، وعليه بمكة دارات الفتوى فإنه كان فقيهاً شافعياً إلى جانب كونه محدِّثاً(2)ومن كبار علماء بني ظهيره، بل شيخ بلاد الحجاز قاطبة، والمنفرد بمكة في زمنه بمعرفة العلوم الشرعية، انتفع به الطلبة كثيراً لا سيما في الفقه الشافعي، وكذلك الحديث والتفسير، وأثنى عليه جمع من العلماء(3).

كما علا نجم المؤرخ والفقيه والعالم محمد بن أبي السعود بن ظهيره القرشي المكي صلاح الدين المشهور بأبو المحاسن (ت ٩٤٠هـ/١٥٣٤م) أخذ العلم عن شيوخ مكة ثم رحل مرات كثيرة الى القاهرة لطلب العلم، اشتغل في فنون العلم وألف كثيراً من مؤلفاته التاريخية "الأخبار المستفادة فيمن ولي مكة من آل قتادة" وكتاب آخر يسمى "تاريخ جدة"(4) .

---

(١) **نيل المنى**- ص٢٨-٣٦- العيدروسي- **النور السافر**- ص١٣٨.

(٢) العيدروسي- **المصدر السابق**- ص٩٨-١٨٧.

(٣) **المصدر السابق**- ص٢٤٣.

(٤) **المصدر السابق**- ص٧٨-٨٩- العصامي-**سمط النجوم**- ج١- ص١٦.

ويعتبر العلامة القاضي عز الدين فائز بن أبي بكر بن ظهيره القرشي، وخطيب المسجد الحرام من المساهمين من آل بني ظهيره في دفع عجلة الحركة العلمية بعلمه وسعة إطلاعه ولقب بالحكيم الصابر لحادثة وقعت لأبنائه يرويها لنا جار الله بن فهد ((وجد عيال سيدي العلامة القاضي عز الدين... أموات تحت سقف بيتهم بالفلق، وكانوا تخلفوا عن الحج وسقط عليهم السقف يوم عرفة وما علم بهم أحد إلا بطلوع رائحتهم فكشف عنهم فوجد ثلاثة أنفس أموات منهم ولده محمد ووالدته ووالدتها))[(١)] .

كما اشتهر قاضي القضاة الحنبلي نور الدين عبد القادر بن ظهيره فقال عنه أما جار الله بن فهد ((أنه باشر إمامة مقام الحنابلة، وبرع في الفقه ودرس وأفتى، وتولى المناصب وعزل))[(٢)] .

ويعتبر من المع بني ظهيره العلامة القاضي شرف الدين أبي القاسم عبد الكريم محمد بن ظهيره، اشتهر بالعلم والصلاح ويعد شيخاً للعديد من المكيين وغير المكيين، تتلمذ على يديه جار الله بن فهد وأخذ عنه علم الحديث الذي برع فيه، له مكانه مرموقة بين العلماء والأعيان كان صاحب عفاف ودين[(٣)] .

ولاننسى أن نشيد بأجرهم حيث برز وفاق أقرانه من بني ظهيره برهان الدين ابراهيم بن ظهيره الشافعي قاضي القضاة وناظر المسجد الحرام وصاحب الحل والربط في شؤون مكة الدينية، أخذ العلم عن جماعة من أجلاء أدركهم

---

(١) **نيل المنى**- ص٣.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٥.

(٣) **المصدر السابق**- ص١٦٠.

وكانت له علاقات طيبة مع أمراء مكة حيث يذكر جار الله بن فهد أن برهان الدين عين قريبه القاضي الشرفي محي الدين قاضياً بجدة وذلك بأمر من صاحب مكة، امتاز بسعة علمه وإطلاعه على شتى العلوم والمعارف[١].

وقد استمر نشاط هذه الأسرة في كافة فنون العلم من القرن التاسع الهجري الى الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري. فقد ترجم صاحب "المختصر من نشر النور والزهر" لمحمد بن يحيى بن ظهيره المكي القرشي مفتي الحنابلة بها (ت١٢٧١هـ/١٨٥٥م)[٢] وقال: "هو آخر بني ظهيره مفتي مكة وقضاتها"[٣] وبذلك تكون هذه الأسرة قد خدمت العلم بمكة لمدة ستة قرون.

---

(١) نيل المنى- ص٢٥٠-٣٢٢-٣٢٧.

(٢) مرداد-المختصر من كتاب نشر النور والزهر- ص٤٦٠.

(٣) المصدر السابق- ص٤٦٠.

أسرة النُّويُري:

يرجع نسب هذه الأسرة إلى عقيل بن أبي طالب(1) وأول من قدم منها مكة هو احمد بن عبد العزيز بن القاسم بن عبد الرحمن العقيلي الجزولي (ت٧٣٧هـ/١٣٣٦م(2) ومن ولديه محمد، وعلي تعاقبت هذه الأسرة لخدمة العلم.

أما محمد بن احمد كمال الدين ابو الفضل، قاضي مكة وخطيبها وعالمها، فقد سمع بمكة والمدينة، ورحل في طلب الحديث، فسمع بدمشق على حافظ وقته ابو الحجاج المزي (ت٧٤٢هـ/١٣٤١م)(3)، وقد نال الكمال نصيباً وافراً من العلم اشتهر به، وذاع صيته، وصار المنظور إليه بالحجاز كله، وقد درّس وأفتى وحدّث، وناظر، وتولى عدة وظائف بمكة لم تجتمع لأحد قبله. فقد ولي قضاء مكة، وخطابة الحرم ونظره، وحسبة مكة، وتولى التدريس في مدارسة الى أن مات.ومن المشاركين أيضاً في النهضة العلمية بالحجاز من أبرز هذه الأسرة الشيخ الفقيه المعمّر محي الدين عبد القادر بن ابي بركات النويري، اشتهر بعلمه وورعه له مؤلفات عدة وشروح منها شرح "عمدة

---

(1) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص٢٣١.

(2) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٣- ص٧٨- ابن حجر-**الدرر الكامنة**- ج١- ص١٧٣- السخاوي-**التحفة اللطيفة**- ج١- ص١٨٦.

(3) هو العالم الحافظ محدث الشام جمال الدين ابو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي، ونشأ بالمزة ورحل وسمع الكثير، وصنف "تهذيب الكمال" "الأطراف". ترجم له: الذهبي-**طبقات الحفاظ**- ج٤- ص١٤٩٨- ابن تغري بردي- **النجوم الزاهرة**- ج١٠- ص٧٦- السيوطي- **طبقات الحفاظ**- ص٥٢١- ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٦- ص١٣٦.

الأحكام" لابن سرور ويذكر جار الله بن فهد أنه بلغ من العمر ستة وتسعون سنة ويعد أكبر أهل مكة سناً وعند وفاته عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م شيعه جماعة من العلماء والفقهاء وترك مكتبة تضم مؤلفات نفيسه[1] .

وفي هذه الفترة أيضاً كان من هذه الأسرة عبد الرحمن بن ابي بكر بن أبي الفضل النويري المشهور بوجيه الدين (ت ٩٣٨هـ/١٥٣١م) من عائلة مكية قديمة أخذ العلم عن والده الخطيب وعمه الأديب، درس خلف المقام الحنفي وأجيز من خلق من علماء الدين يذكر جار الله بن فهد أن الإخبار بولايته للخطبة في المسجد الحرام وصلت من القاهرة عام (٩٢٤هـ/١٥١٨م) عوضاً عن الجلالي ابي السعادات ووصل المرسوم وهو في رحلة لبلاد الشام طلباً للعلم والمعرفة وافته المنية بسبب ريح القولنج ودفن في المعلاه[2] .

كما برع في الفقه المالكي القاضي الزيني عبد الحق النويري وأبدع في مجال اللغة حيث اعتبر من الأدباء اللغويين ارتفعت مكانته عندما وصل مرسوم بولايته لقضاء المالكية عام (٩٢٥هـ/١٥١٩م)[3].

والجدير بالذكر أن معظم أفراد هذه الأسرة تولوا التدريس في المدارس بمكة حتى أصبحت وراثية بينهم.

---

(١) **نيل المنى**- ص٨-٩.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٣-٢٢١.

(٣) **المصدر السابق**- ص٥٠-٥١.

أسرة ابن فهد:[1]

تنسب هذه الأسرة الى محمد بن الحنفية نجل أمير المؤمنين علي بن ابـي طـالب رضي ا لله عنه، ويتضح ذلك من خلال ماذكر في التمهيد في ترجمة جـار ا لله بن فهد وقد نبغ من هذه الأسرة المثقفة عدد من الحفاظ والمحدثين والمؤرخين، حملوا راية العلم وتواصوا على خدمـة السـنة الشريفة وهكـذا نـرى أن هـذه الأسرة، رغم عددها القليل جداً مقارنة، بالأسـر العلميـة الأخـرى، قـد أدت دوراً كبـيراً في إثـراء الحركـة العلميـة في الحجـاز في القـرن التاسـع والعاشـر الهجريين.

(١) السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٩- ص٣١- ص٣٢.

أسرة المرشدي:

أول من قدم منها إلى مكة برهان الدين ابراهيم بن احمد بن ابي بكر بن عبد الوهاب الفوي[1] المرشدي (ت٧٨٢هـ/١٣٨٠م)[2] وقد استوطن مكة نحو ثلاثين سنة وسمع بها على جماعة من شيوخها والقادمين اليها[3].واشتهرت هذه الاسرة بريادتها في علوم اللغة العربية، خاصة النحو، ويغلب على هذه الأسرة الإنتساب إلى المذهب الحنفي.

واشتهر الشيخ المحيى بن ابي الفضائل محمد بن محمد بن ابراهيم المرشدي (ت٩٢٣هـ/١٥١٧م) بمهارته في اللغة العربية، وفي الأصول، والفقه، ودرّس كثيراً من كتب النحو، وأجيز في تدريسها، ورحل إلى القاهرة فسمع من بعض شيوخها، وكان إماماً علامة في النحو، وانتهت إليه رئاسة العربية بمكة، ودرّس بمدارسها وانتفع به الطلبة، كما اهتم ابنه القاضي عبد الغني (ت٩٢٨هـ/١٥٢١م)[4] الملقب بنسيم الدين الحنفي، بعلم الحديث ورحل في طلبه وأثنى عليه علماء عصره، كما برع في علم الأدب، وله عدة تصانيف[5] ويذكر جار الله بن فهد أنه في سنة (٩٢٥هـ/١٥١٩م) تم فصله عن قضاء الحنفية.

---

(١) نسبة إلى فُوّه من مصر: بضم الفاء وتشديد الواو، بليدة على شاطيء النيل من نواحي مصر قرب رشيد ذات أسوار ونخيل- ياقوت-**معجم البلدان**- ج٤- ص٢٨٠.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٣- ص٢٠٢- ابن حجر-**انباء الغمر**- ج١- ص٢٢٠.

(٣) الفاسي- **المصدر السابق**- ج٣- ص٢٠٢.

(٤) **نيل المنى**- ص١٣٥.

(٥) **المصدر السابق**- ص٢٥-٦٧-٩٨.

ومنهم ابوبكر بن احمد بن ابراهيم، الفخر الشافعي (ت٨٧٦هـ/١٤٧١م)[١] الذي كان شاعراً وأديباً لغوياً، غزير الحفظ لايام العرب وأشعارها، مع مشاركة في الطب واللغة، وأجاز للسخاوي وللنجم بن فهد، وكتب عنه البقاعي من شعره[٢].

كما اشتهر الشيخ الفقيه علي بن أبي بكر بن عبد الغني بن عبد الواحد نور الدين المرشدي (ت ٩٣٤هـ/١٥٢٧م) برع في حفظ القرآن منذ الصغر، كما حفظ الأربعين النووية وألفية إبن مالك وألفية الحديث تتلمذ على أغلب علماء مكة وأجازه أكثرهم قام بعدة رحلات أغلبها إلى اليمن والتقى بعلمائها، كان ملازماً للطواف والعبادة وجمع كتباً كثيرة[٣].

تلك هي جهود أسرة المرشدي بمكة في نشر العلم والمعرفة، والتي جعلت الكثير من العلماء يثنون عليهم، وظلت هذه الأسرة تؤدي دورها حتى منتصف القرن الثاني عشر الهجري[٤].

---

(١) النجم بن فهد-**معجم الشيوخ**- ص١٠٠- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١١- ص١٥.

(٢) النجم بن فهد-**المصدر السابق**- ص١٠٠- السخاوي-**المصدر السابق**- ج١١-ص١٥.

(٣) **نيل المنى**- ص٢٢١-٢٢٨.

(٤) انظر تراجم لهذه الأسرة في المحبي: **خلاصة الأثر**- ج٢- ص١٢٦- ج٢- ص٣٦٩- ج١- ص٢٦٦- ج١- ص٤٢٤- وانظر كذلك ابو الخير- **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ترجمة عبد الرحمن بن عيسى المرشدي (ت١٠٣٧هـ/١٦٢٧م) ص٢٥٠، وابنه حنيف الدين (ت ١٠٦٧هـ/١٦٥٦م)، ص١٣٣، واسماعيل بن عيسى (ت١١٣٨هـ/١٧٢٥م)، ص١٣١، ومحمد بن إمام الدين (ت ١١٤٢هـ/١٧٢٩م)، ص ٤٨١- ص٤٨٢- ولعله آخر اسرة المرشدي بمكة.

المراكز العلمية:

إن تعدد مراكز التعلم والتعليم في مكة المكرمة في القرن العاشر الهجري قد أسهم بدوره في الحركة العلمية فتعلم الصبيان في المكاتب وعقدت الحلقات في المساجد، وقامت المدارس بدورها في نشر العلم، وكانت المكتبات من الأماكن التي شهدت نشاطاً علمياً شمل حلقات العلم المعتادة، والمناظرات العلمية.

وسنتحدث عن هذه الأماكن، وسنبرز -من خلال حديث المصادر عنها- الدور الذي قامت به، والأثر الذي تركته على الحياة العلمية، ولاشك أن انتشار دور العلم والمعرفة، وقيام العلماء بدورهم في التعليم والتثقيف، أسهم في إتاحة الفرصة لكل الناس...، من كل الفئات، ومن مختلف الأعمار، لكي ينهلوا من العلم دون مقابل في معظم الأحيان.

واسترعت ظاهرة مراكز العلم -من كتاتيب ومساجد ومدارس وأربطة ومكتبات -مؤرخ مكة جار الله بن فهد صاحب نيل المنى وأعجب بها أيما اعجاب لإسهامها في تقديم الخدمات العلمية والثقافية لأبناء مكة وللوافدين عليها والمجاورين بها، وما كان يقدم في تلك المنشآت من خدمات علمية واجتماعية على مختلف انواعها من توفير العلماء والمدرسين والقراء والفقهاء للتدريس لطلابه وامدادها بالمكتبات اللازمة.

كما يحدثنا عن توفير الغذاء المناسب والاضاءة والماء العذب والقومه من الطباخين والفراشين الذين يقومون بأعمال النظافة وتجهيز الطبخ، كما يحدثنا

مسهباً عن اهم المدارس التي عاصرها ونشاطها الثقافي والدور الذي قام به منشؤوها وابرز العلماء الذين عملوا بها والطلاب الذين تخرجو منها، كما سيتضح لنا في الصفحات التالية.

أولاً: دور المكتبَ "الكُتّاب" "الكتاتيب" في التعليم:

اختلف اللغويون في اشتقاقات هذه الكلمة ودلالة كل اشتقاق، فعند ابن منظور "المكتب أو الكُتّاب" موضع تعليم الكتّاب (أي الصبيان) والجمع الكتاتيب والمكاتب، وعلى هذا فهو يرى جواز إطلاق لفظة (الكُتّاب) على موضع التعليم وعلى الصبيان الذين يتعلمون في هذا الموضع[1].

بينما يفصل المبرد -كما يقول ابن منظور- في معنى كل اشتقاق لهذه الكلمة، فيجعل المكتب موضع التعليم، والمُكْتب المعلم، والكُتّاب الصبيان، ويُخَطِّيء من يطلق على الموضع لفظ الكُتّاب.

وكما نرى فإن الاسم من الفعل كتب، مع أن التعليم في المكتب يشمل القراءة والكتابة، بل وتدرس فيه مباديء بعض العلوم كالحساب والأدب واللغة ويبدو أن السبب في ذلك يعود إلى أن الكتاب هي الأساس لكل تعليم بالمكتب.

عرفت كتاتيب تعليم الأطفال قبل ظهور الإسلام، يقول البلاذري: "كان الكتاب بالعربية في الأوس والخزرج قليلاً وكان بعض اليهود قد علم كتاب العربية وكان تعلمه الصبيان في الزمن الأول فجاء الإسلام وفي الأوس والخزرج عدة يكتبون"[2].

واستمر في الإسلام هذا النوع من التعليم منذ فجر الإسلام، غير أنه لم يكن منتشراً بالشكل الذي تطور فيما بعد، ولعل الحاجة إليه قد ظهرت -بدرجة

(١) ابن منظور- **لسان العرب**- ج١- ص٦٩٩.

(٢) **فتوح البلدان**- ص٤٥٩.

أكبر- بعد هجرة المسلمين الى المدينة، إذ في هذه الفترة -العهد المدني- نزلت الآيات الخاصة بالعبادات والأحكام والمعاملات والآداب الاجتماعية العامة، التي يحتاج النشء المسلم إلى تعليمها، والتمثل بها في حياته داخل المجتمع المسلم(1) .

فيذكر المقريزي ((أن عبد الله ابن ام مكتوم قدم مهاجراً إلى المدينة مع مصعب بن عمير (رضي الله عنهما) وقيل قدم بعد بدر بيسير فنزل دار القراء))(2) .

وازداد اهتمام المسلمين بتأسيس المكاتب وإنتشارها في عهد الخلفاء الراشدين وذلك لاتساع الفتوحات الاسلامية، وزيادة الداخلين في الاسلام فقد امر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ببناء بيوت المكاتب ونصب الرجال لتعليم أبناء المسلمين وتأديبهم، وجعل لهم رزقاً من بيت المال، وأمر أن يكون التعليم على فترتين أثناء النهار، من بعد صلاة الصبح إلى الضحى، ومن صلاة الظهر الى العصر(3) ، وأصبحت هذه الكتاتيب من أهم مراكز تعليم الصغار على مستوى العامة.

وفي العصور التالية استمر اهتمام المسلمين بهذا التعليم الأولي إذ هو في الحقيقة الأساس لكل تعليم لمن أراد أن يسير في درب التحصيل والتعليم، أما

---

(1) ابن منظور- **لسان العرب**- ج1- ص699.

(2) **الخطط المقريزية**- ج2- ص362.

(3) المغراوي- **جامع جوامع الاختصار والتبيان**- ج2- تحقيق احمد البدوي- ورابح بونار- الجزائر- ص51- عبد الحي الكتاني-**نظام الحكومة النبويه المسمى التراتيب الادارية**- بيروت- ص294.

من تجبره ظروفه المعيشية -كأبناء الحرفيين مثلاً- على الانقطاع، فإنه يكون قد أصاب من التعليم ما يخرجه من دائرة الأميين.

وكانت الغاية من إقامة هذه الكتاتيب هي تحفيظ وعرض وكتابة السور القصار من القرآن الكريم، فضلاً عن معرفة الخط[1]، والاستخراج، والضبط، والفهم للمسائل، وبعض متون الأحاديث، وعقائد السنن، وأصول الحساب، وما يستحسن من المراسلات، والأشعار[2].

هذا وقد انتشرت الكتاتيب في الحرمين الشريفين على نطاق واسع في القرن التاسع والعاشر الهجري وعرف منها نوعان يؤديان إلى هدف واحد.

---

(١) يشير ابن خلدون إلى المكتب كان يتعلم فيه الصبيان الخط دون تجويد، لأن تلك وظيفة مفردة في غيره قائلاً: "وأهل المشرق... لايخلطون بتعليم الخط، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له عن انفراد، كما تتعلم سائر الصنائع، ولايتداولونها في مكاتب الصبيان، وإذا كتبوا لهم الألواح فبخط قاصر عن الإجادة، ومن أراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من الهمة في طلبه ويتغيه من أهل صنعته- **نفس المصدر السابق**- ص٨٣٩.

(٢) ابن مسكويه، ابو علي احمد بن محمد-**تهذيب الأخلاق**- بيروت- دار الكتب العلمية-١٩٨١م- ص٥١-ص٥٥/ الشيزري- عبد الرحمن بن نصر-**نهاية الرتبة في طلب الحسبة**- تحقيق السيد الباز العريني- الطبعة الثانية- بيروت- دار الثقافة-١٩٨١م- ص١٠٣- ابن الاخوه- ضياء الدين محمد- **معالم القربة في أحكام الحسبة**- نشر روبن ليفي-كمبردج-١٩٣٨م- ص١٧٠.

١- المكاتب الخاصة:

وهي مكاتب كانت يقيمها من وجدوا في أنفسهم القدرة على اتخاذ التعليم حرفة يتقوتون منها، ويتعلم فيها الصبيان بأجر معلوم يدفع لأصحابها، ونلاحظ أن هذا النوع من الكتاتيب لايتقيد بعدد معين من الطلاب فمنها: مكتب الشيخ محمد بن عمر بن علي السحولي (ت٨٠٧/١٤٠٤م)، الذي كان من البارزين في علم الفقه، وكان حسن الخط جيد الشعر(١)، والظاهر أنه كان يعلّم التلاميذ في المكتب القرآن الكريم والكتابة(٢).

ومكتب محمد بن احمد بن علي ناصر الدين القدسي نزيل مكة (ت٨٤٠هـ/١٤٣٦م)(٣)، ويعرف بالسخاوي، الذي كان يعلم الأطفال بالمسجد الحرام(٤).

وهناك كثير من المعلمين كانت لهم أماكن خاصة في المسجد الحرام ولكنها لم تكتسب الصفة الرسمية كمكاتب لتعليم الأطفال، بل إن المعلم كان يجلس في مكان معين ويحضر إليه الأطفال ليقرأوا عليه ويعلمهم القرآن والخط، ويبدو أن عدد هؤلاء الأطفال كان أقل من عدد الأطفال في الكتاتيب الرسمية، ومن المؤذنين بالمسجد الحرام الذين لم تعين أماكنهم.

---

(١) الفاسي-**العقد الثمين**- ج٢- ص٢٢٨- ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٧- ص٧٢.

(٢) النجم بن فهد- **الدر الكمين**- ورقة ٩٧أ.

(٣) النجم بن فهد-**المصدر السابق**- ورقة ٥أ- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج٧- ص٢٣.

(٤) النجم بن فهد-**المصدر السابق**- ورقة ٩٦ب.

ونلاحظ أن جار الله بن فهد عندما يذكر هؤلاء المؤدبين فإنه يطلق كلمة مؤدب الأطفال على المعلم في المكاتب الخاصة.

ويؤكد ذلك نصاً أورده جار الله بن فهد ((في يوم السبت مات الفقيه المبارك احمد بن علي المكي مؤدب الاطفال بالمسجد الحرام بعد توعكه أزيد من نصف سنة))[1]. كما اختص كثير من هؤلاء المؤدبين بأبناء العلماء والأعيان، وبلا شك فإنهم كانوا يتقاضون عطاءً جيداً مقابل عملهم هذا ويشير بذلك جار الله بن فهد في عام (٩٤٦هـ/١٥٣٩م) قائلاً: ((عمل الوزير عز الدين عبد العزيز المدعو أصف خان... سماطاً فيه أطعمة مفتخرة حضره القضاة والفقهاء والتجار والأولاد الصغار... فحصل لهم الخير... ثم بعد فراغهم قرأ الأولاد درجاً من النظم لأجل ختم القرآن لولده النجيب... قطب خان... وخلع الوزير على الفقيه محمد ابن المقري مؤدب الطفل خلعة صوف عودى وأنعم عليه بمبلغ يقال خمسون سلطانياً منها مائتي أشرفي ورسم للأولاد الحاضرين لكل واحد بأشرفي فضة... وابتهج الحاضرون))[2] .

ومن الأسماء البارزة التي وردت في نيل المنى سير كل من الفقيه المؤدب شهاب الدين احمد بن علي بن عبد الله الشفتي[3] وكذلك المؤدب ملا حاجي العجمي[4] والمؤدب الفقيه نور الدين جمال الدين محمد الظاهري[5] .

---

(١) نيل المنى- ص١٢٨.

(٢) المصدر السابق- ص٤٤٩.

(٣) المصدر السابق- ص١١٧.

(٤) المصدر السابق- ص١٩١.

(٥) المصدر السابق- ص٢٣٢.

٢- مكاتب الأيتام:

وهـي الـتي ينشئها المحسنون مـن السـلاطين، والأمـراء، والأعيـان والعلمـاء، والأغنيـاء، والإقبـال علـى صـرف المبـالغ وحبـس الأوقـاف عليهـا رغبـة في الثواب والتقرب الى ا الله المولى عز وجـل قبـل أي اعتبـار، ويبـدو أن الهـدف الأساسي من إنشاء معظم مكاتبها كـان تعليـم أيتـام المسـلمين منـذ دخولهـم المكتب إلى أن يتخرجوا بحفظ القرآن الكريم، وكانت مكـاتب الأيتـام أكـثر دقـة في اختيار أفضل المؤدبين العاملين بها، وتنفيذ النظام والإنضباط[١].

بالإضافة إلى الكتاتيب الملحقة بالمدارس، مثل الكتاتيب التي أنشـأها السـلطان قايتباي بمدرستيه في مكـة والمدينـة، وأوقـف علـى مـآثره بـالحرمين الشـريفين أوقافاً ضخمة، من ضمنها أوقافه على تلك الكتاتيب[٢].

ومن أشهر المؤدبين الذين جنـدوا أنفسـهم لتـأديب هـؤلاء الأيتـام وتعليمهـم وزرع وغرس حب العلم والتعلم ليكونوا في مستقبلهم علماء أفذاذ ويقومـون بخدمة العلم وكذلك خدمة أنفسهم وإنتشالهم من الفقر والظلم والألم ماذكره جار ا الله بن فهد عنه قائلاً: ((ومؤدب الأيتـام الفقيـه جمـال الديـن محمـد بـن موسى الظاهري الذي أوقف كتبه للأيتام))[٣].

---

(١) الهيثمي- ابن حجر- **تحرير المقال في آداب وأحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال**- تحقيق سليمان إسحاق عطيه، القاهرة- ١٩٧٨م- ص٦٠-ص٦٢.

(٢) السخاوي-**التحفة اللطيفة**- ج٣- ص٤١٠- السنجاري-**منائح الكرم**- ورقة١٣.

(٣) **نيل المنى**- ص٢٣٢.

السن التعليمية وطريقة التدريس للكتاب:

ولم تكن هناك سن معينة يبدأ عندها الطفل في تلقي العلم، وإنما كان ذلك متروكاً لتقدير آباء الصبيان وبالتالي فإن السن المثلى لبدء التعليم في المكتب هي مابين الخامسة والسابعة، وذلك لأن الصبي في هذه السن يكون قد تخطى ماعرف لدى علماء التربية بالطفولة المبكرة، والتي غالباً ماتكون فرصة للهو ولعب الطفل، الذي يفيده في تنمية مداركه وتقوية بنيته[١]، كما أن الطفل في سن ما قبل الخامسة يميل الى الانطلاق، وأجباره على القعود في مكان ما لتلقي العلم تعب لا فائدة منه[٢].

ولعل علماء المسلمين استفادوا في تحديدهم لهذه السن من بعض النصوص التربوية التي وردت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع﴾[٣].

لما كان هذا النوع من التعليم يختص بصغار السن غالباً، فإن بعض العلماء نهوا عن اتخاذ المساجد مكاناً له، واعتمدوا في ذلك على حديث روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم ﴿جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم...الخ الحديث﴾[٤].

---

(١) عبد الحي الكتاني-**مصدر سبق ذكره**- ج٢- ص٢٩٦.

(٢) نحن نتحدث هنا بصفة العموم وإلا فإن هناك من الأطفال من يكون لديه الاستعداد للتعلم قبل هذه السن.

(٣) ابو داود- **السنن**- كتاب الصلاة- باب الصلاة- رقم الحديث- ٤٩٥.

(٤) ابن ماجه- **سنن ابن ماجه** - باب المساجد رقم الحديث ٧٥٠.

والعلة في ذلك هي وجوب مراعاة حرمة المساجد أن تمتهن بنجاسة، أو ما يحصل من الأطفال من الكتابة على حيطانها، بالإضافة الى أنهم مظنة التشويش على المصلين فمن المعلوم أن الصبي يبدأ تعلمه في المكتب -بصفة عامة- بعد سن السادسة، أي تقريباً في السن التي يؤمر فيها بالصلاة، ﴿مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، وأضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين﴾(١).

وأمر الصبي في هذا العمر بالصلاة كما في حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق ذكره يتطلب دخوله المسجد وبقاءه فيه فترات خاصة إذا علمنا أن الصبي في هذه السن يتطلب التحرز من النجاسة إذا وُجه إلى ذلك، وهذا يقودنا إلى تأكيد حقيقة هامة، وهي أنه إذا كان الهدف من تعليم الصبي في المكتب حصوله على العلوم والمعارف، فإن وجود المكتب في المسجد يساهم في تحقيق هدف تربوي، وهو تعويد النشء على احترام المساجد والمحافظة على طهارتها وعدم العبث بها، بل وتوجيههم إلى القيام بتنظيفها وصيانتها.

إذا فتعليم القرآن الكريم هو أو مايبدأ به قراءة وكتابة وهو المحور الذي يدور عليه التعليم في المكتب، وكما تشير المصادر أن التعليم يتم بالتدريج، من السهل إلى الصعب حيث يبدأ الصبي أولاً بتهجي كلمات الآية، وضبط حروفها، وكتابتها باللوح على هيئة كلمات مقطعة، ثم جمعها لتكون آية يقرؤها المعلم بجودة فيرددها الصبيان خلفه، حتى يقوِّموا قراءتهم ثم يطلب

(١) عبد الحي الكتاني-**مصدر سبق ذكره**- ص١١٧.

المعلم منهم واحداً واحداً قراءتها حتى يطمئن إلى قراءتهم لها بطريقة صحيحة، ويتم حفظها بعد ذلك.

ونستشف من نصوص جار الله بن فهد أن أغلب الصبيان يختم القرآن الكريم كاملاً في سن الثالثة عشر سنة ويحتفل به إحتفالاً كبيرة(١).

ونلاحظ أن الصبيان يستفيدون من هذه الطريقة بأنهم يتعلمون القراءة والكتابة وتحسين الخط ويحفظون القرآن ويتعلمون قواعد التجويد وتطبيقاتها.

بقي أن نشير إلى أن التعليم في المكتب لايقتصر على تزويد الصبيان بالمعلومات فقط، بل للمكتب أهداف تربوية، إذ أن الصبي في هذه المرحلة في حاجة إلى غرس المباديء والأخلاق والمثل الاسلامية، والتي يمكن إجمالها في النقاط التالية:

١- القدوة الحسنة التي يجب أن يكون عليها معلم المكتب، لأن الصبيان بطبيعتهم سريعو التأثر بمن حولهم، والمعلم من اوائل من يتأثر بهم النشء، لذلك فقد اهتم المسلمون باختيار معلمي أبنائهم، وقد روى الجاحظ(٢) مايؤكد هذا المعنى، فقد نقل عن عتبة بن ابي سفيان أنه وجه معلم ولده بقوله: "ليكن أول ماتبدأ من إصلاح بنيِّ إصلاح نفسك، فإن أعينهم معقودة بعينك فالحسن ما استحسنت، والقبيح عندهم ما استقبحت".

---

(١) نيل المنى- ص٣٧-٦٨-٩٥-٩٦-١٠٥.

(٢) الجاحظ- ابو عمر عثمان- **البيان والتبيين**- ج٢- بتحقيق عبد السلام هارون- الطبعة الثالثة- القاهرة- مكتبة الخانجي- ١٩٦٨م- ص٧٣.

٢- لما كان تلاميذ المكتب يمتازون -لصغر سنهم- برهافة الحس فإن على معلم المكتب أن يراعى جانب العدل في معاملتهم، سواء فيما يتعلق بالثواب أو العقاب، أو في التعليم والتفهيم، بل وحتى في مجالسهم وقربهم أو بعدهم منه[1] حتى وإن تفاضلوا في مقدار الاجرة، أو اختلفوا في المستوى الاجتماعي أو المعيشي[2] .

٣- ينبغي للمعلم أن يراعي حاجات الصبي الضرورية، وذلك بأن يسمح له بالانصراف إلى بيت أهله للغداء والراحة، ولايمنعه من الخروج لقضاء حاجته لما في منعه من المضار الجسمية والنفسية[3] .

وكان الذين يتولون تعليم الأطفال فيها يسمون بالمعلمين أو المؤدبين أو يطلق عليه أحياناً اسم الفقيه[4] .

---

(١) المغراوي- **مصدر سبق ذكره**- ص٤٦- محمد عبد الحميد عيسى-**مرجع سبق ذكره**- ص٢٤٩.

(٢) القابسي- **مصدر سبق ذكره**- ص٢٨٧.

(٣) المغراوي- **مصدر سبق ذكره**- ص٤٠- محمد عبد الحميد عيسى-**مرجع سبق ذكره**- ص٢٤٨.

(٤) ابن خلدون-**المقدمة**- ص٥٣٧.

صفات اختيار المؤدب:

أما قواعد اختيار المؤدب فلابد أن يكون ممن اشتهروا بسعة العلم، والخبرة الطويلة في ميدان التعليم ولما كان التأديب لايقتصر على التعليم فقط، بل أريد منه أن يكون تعليماً وتربية في آن واحد، فقد كان يُختار له من عرف بالخلق الفاضل، والخصال الحميدة وأن يكون معروفاً بالجد والعفاف والورع وذلك لكي يكون القدوة لهؤلاء النشء والتزكية من عالم أو مؤدب آخر[١] ، ولم نجد في المصادر التي بين أيدينا تفصيلات عن أجر التأديب لا من حيث مقدار الأجر، ولا من حيث كيفية دفع ذلك.

يخبرنا العز ابن فهد بحادثة تتعلق بهذه الكتاتيب، فيها شيء من الطرافة، فيذكر "أن الأمير المحتسب سودون الفقيه قام بضرب مؤدب الأيتام بمدرسة السلطان قايتباي محمد بن موسى الظاهري، ضرباً خفيفاً تحت رجليه، وسبب ذلك أن بعض الأيتام قد شكى إلى المحتسب أن المؤدب قام بضربهم ضرباً مؤلماً، فلما فرغ المحتسب من ضربه: صاح الظاهري: يامسليمن اشهدوا أنني ماضربت في حرام أو غيره، فتخوف المحتسب وقال: تشتكي عليَّ، فأمر به فضرب على مقاعده، وحبس فخلع باب الحبس وتوجه إلى كاتب السر وشكى إليه، فأعطى كل واحد من الأيتام أربعة محلق، وقام المحتسب بمنع المؤدب من مباشرة عمله في المكتب، إلا أنه أعيد لأن الواقف اشترط أن يكون من المدرسين))[٢] .

---

(١) ابن الاخوه-**معالم القربة**- ص١٧٠.

(٢) **بلوغ القرى**- ورقة١٠٤أ.

وتبين لنا هذه الحادثة الطريفة أن الأيتام كانوا يتمتعون بعطف ومتابعة المسؤولين عن الحرمين الشريفين، ولكن يؤخذ على الواقف اشتراطه مؤدب معين من قبله، مما يجعل المسؤول مجبراً على رده مرة أخرى إلى عمله حتى ولو كان هذا المؤدب صاحب سيرة سيئة.

وهكذا نرى أن الكتاتيب أدت دوراً علمياً كبيراً ومهماً في الحياة الثقافية في مكة المكرمة، كما أن التشجيع الذي لاقاه الطلاب من آبائهم وإقامتهم الإحتفالات والأعياد بمناسبة ختمهم للقرآن الكريم.

ويذكر لنا جار الله بن فهد التنافس بين الأبناء في هذا الشأن وكيف يحتفلون أهل الابن وقيامهم بعمل زفة لمن يختم القرآن تجول في أزقة مكة حتى تدخل الحرم الشريف[1] وتوقد الشموع والثريات ونستشهد بهذا النص ((وكان في بعض الليالي عُمل ختم لبعض صغار الكتاتيب في صلاة التراويح فحضر القضاة الأربعة والفقهاء وأوقدت المفرعات والثريات))[2] كل هذا الإهتمام والحرص الشديد والعناية الفائقة جعل أهل الحجاز يحرصون على التحاق أبنائهم بهذه الكتاتيب.

(١) **نيل المنى**- ص ٧-٤٨-٦٩-٧٨-١١٩-٢٥٠-٢١٠-٤٥٣-٤٢٥.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٤٦.

ثانياً: دور المَسجد في التعليم:

أعطى الإسلام مكانة كبرى للمسجد لما له من دور في بناء الأمة المسلمة، وقد طبق الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك عملياً فكان أول عمل قام به بعد وصوله إلى المدينة مهاجرا أن أمر ببناء مسجده، الذي أريد له أن يكون رمزاً لما يتسم به الإسلام من شمولية وتكامل، فقد اضطلع بوظائف عديدة فكان مكاناً لأداء العبادات، وداراً للحكومة النبوية، تناقش فيها علاقات الدولة بغيرها، وتعقد فيها الرايات العسكرية، والحلقات الفقهية ومؤسسة اجتماعية يجتمع فيها المسلمون على مدار اليوم، لينشئوا علاقات مودة وإخاء شاعرين بالمساواة، مطرحين عنهم مشاعر البغض والحزازات[1] كما كان المسجد أيضاً مركزاً علمياً يجمع المسلمين أمام معلمهم الأول صلى الله عليه وسلم يلقي عليهم ما جاءه من وحي السماء[2]، حيث كان الرسول ﷺ يقيم حلقات العلم، ويشجع من يقيمها ويجلس إليهم فيها، ورغب في تعهدها والحضور إليها وحذر من التقصير فيها، وما ذلك إلا لما لهذه الحلقات من مكانة، ولما لها من أهمية وضرورة للأمة والمجتمع[3].

ولا شك أن حلقات العلم في المسجد قد لعبت دوراً في الحياة الثقافية العلمية وأوردت كتب السنة الكثير من الأحاديث تؤكد ذلك منها ما رواه

---

(١) **نيل المنى**- ص١٦-١٧-٤٣- عماد الدين خليل- **دراسات في السيرة**- ص١٤٧-١٤٨.

(٢) عماد الدين خليل-**المصدر السابق**- ص١٤٩.

(٣) الوشلي، عبد الله قاسم-**المسجد ونشاطه الإجتماعي على مدار التاريخ**- الطبعة الأولى- بيروت- مؤسسة الكتب الثقافية- ١٩٩٠م- ص٤٨.

البخاري ومسلم بسندهما، عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل إثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد فوقفا على رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها. وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ قال: ألا أخبرتكم عن النفر الثلاثة: أما أحدهم فآوى إلى الله عز وجل فآواه الله، وأما الآخر فاستحى، فاستحيا الله منه. وأما الآخر -يعني الثالث- فأعرض فأعرض الله عنه[1] .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ مر بمجلسين في مسجده، أحد المجلسين يدعون الله ويرغبون إليه، والآخر يتعلمون الفقه ويعلمونه فقال صلى الله عليه وسلم: ﴿كلا المجلسين خير وإحداهما أفضل من الآخر صاحبه أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون إليه فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم. وأما هؤلاء فيتعلمون ويعلمون الجاهل وإنما بعثت معلماً ثم أقبل يجلس معهم﴾[2] اقتدى المسلمون بعد عصر النبوة بنبيهم في اعطاء المسجد هذه المكانة فنجدهم في عصر الفتوحات إذا فتحوا بلداً اتخذوا فيه مسجداً، وكذلك إذا اختطوا مدينة جديدة كان المسجد أول ما يُبدأ به، ويكون هو المركز الذي تصب فيه

(١) صحيح البخاري- ج١- **باب العلم**- ص٦٨.

(٢) **المصدر السابق**- ص٦٩.

طرقات المدينة وذلك حتى يتسنى لجميع الناس الوصول اليه دون عناء فالمجتمع الإسلامي بكل فئاته في حاجة إلى هذا المكان[1] .

يعتبر التعليم في المسجد المرحلة الثانية من التعليم حيث يعقب المرحلة الأولية أو مرحلة المكتب، وإذا كنا قد أشرنا عند حديثنا عن المكتب إلى أن بعض معلميه قد اتخذوا من المسجد مكاناً لتعليم صبيانهم، فلا يعني ذلك أن هاتين المرحلتين متداخلتان، ذلك أن سن المتعلم والمنهج الذي يدرس فيه هما اللذان يحددان مرحلة المسجد التعليمية.

ولعل أكبر حدث علمي مر به المسجد الحرام هو تلك الحلقة التي كونها حبر الأمة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (ت٦٨هـ/٦٨٧م) في المسجد الحرام حيث ينسب إليه الفضل باعتباره من أوائل من عقد هذه الحلقات وأصبحت تضم بعض المئات مما أكسبها شهرة علمية، إذ كان يقوم بتفسير القرآن الكريم، ويرشد الناس إلى مكارم الأخلاق ويفقههم في أمور دينهم ودنياهم[2]

وظلت هذه الحلقة تؤدي وظيفتها، فذاع صيتها، واشتهر أمرها، ووفد عليها الكثير من طلاب العلم، وعشاق المعرفة وأصبحت تساهم مساهمة فعالة في تطوير الحركة الدينية في مكة المكرمة.

---

(١) البلاذري-**فتوح البلدان**- بيروت- دار الكتب العلمية ١٣٩٨هـ- ص٢٧٥- ابن الاثير- **الكامل في التاريخ**- ج٢- ص٥٢٩.

(٢) عبد الله الوشلي- **المسجد ونشاطه الإجتماعي**- ص٦٢- اللميلم- **رسالة المسجد في الاسلام**- ص١٦٦.

وقد استمرت حلقات العلم في المسجد الحرام، تعقد منذ ذلك الوقت إلى يومنا هذا، حيث يحفل المسجد بالعديد من الحلقات التي تتميز في غالبيتها في الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها العديد من الناس، والخاصة بالفتيا، حيث يجلس العديد من مشاهير رجال العلم في الحرم الشريف للإجابة على تلك التساؤلات الخاصة بالأمور الدينية، والردود عليها[1] وتزداد هذه الحلقات كثرة في أوقات مواسم الحج، وفي رمضان المبارك، حيث يكثر الزوار في هذه المواسم وتعقد حلقات مختلفة من جميع العلوم النقلية والعقلية ومختلف المعارف[2] .

ويشير إبن فهد قائلاً: ((وفي صبح يوم الجمعة عاشر الشهر ختم الشيخ برنجت العجمي -تلميذ والدي- قراءة تفسيره في المسجد الحرام أما الرواق الشرقي... وعنده القضاة الأربعة وكثيراً من الفقهاء وخلق كثير من العامة))[3].

و لم يكن العلماء يتقاضون راتباً من الدولة لقاء الدروس التي يقومون بتدريسها في المسجد الحرام، وكذلك فإنهم كانوا لا يأخذون من الطلبة صدقة أو زكاة، لأن تعليمهم كان لله وفي سبيل الله، ولكن لم يترددوا في قبول الصدقات التي تبعث بها الدولة العثمانية في مواسم الحج[4] .

---

(١) نيل المنى- ص٨-٢٦-٤٨-٩٧-٢٣٠-٣٩٠.

(٢) المصدر السابق- ص١٦-٣٧-٤٨-٧١-١١٨-١٣٧-٢٤٦-٤١٠.

(٣) المصدر السابق- ص٧.

(٤) المصدر السابق- ص٣٦-٥١-٨٨-١١٣.

وفي القرن العاشر الهجري كان المسجد الحرام جامعة كبيرة لنشر العلوم الإسلامية[1] وتفيض المصادر التاريخية المكية بأسماء العلماء والمجاورين الذين درسوا بهما، ويكفي مثلاً نظرة سريعة في كتابي "بلوغ القرى، وغاية المرام" للعز بن فهد وكتاب "نيل المنى" لجار الله بن فهد لتعطينا فكرة واسعة عن مئات المختصين في شتى العلوم والمعارف، والذين كان لأغلبهم حلقات علمية معروفة.

هذا ونلاحظ أن كثيراً من العلماء كان يرى أن التدريس في المسجد الحرام أفضل من التدريس في المدارس وأجزل نفعاً، وأعظم أجراً، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن التدريس في المساجد لاتحتاج إلى تكليف ولا تعيين لم يقوم أو يرغب في التدريس فيها وإنما هو عمل اختياري يقوم به من يريد الثواب الأخروي والنفع تطوعاً من ذات نفسه ومن دون أجر[2].

بينما التدريس في المدارس لا بد من تكليف، كما أن الطلبة لا يزيدون عن العدد الذي حدده بمبنى المدرسة أو موافقتها، بينما الطالب الذي يدرس في المساجد ليس عليه قيود أو شروط تحدد علاقته به كما هو الحال في المدرسة، فالمساجد مفتوحة أمام كل طالب علم يقرأ ويدرس ما يريد، وما عليه إلا أن ينضم إلى إحدى الحلقات العلمية المنتشرة في المساجد حسبما تمليه عليه رغبته حتى يستقر به الأمر في النهاية مع الاتجاه، والموضوع والشيخ الذي يلائم

---

(١) ضيف، شوقي-**تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والأمارات**- ج٥ - بيروت- دار المعارف- ص٥٢.

(٢) **نيل المنى**- ص٩٨-٢١٨-٣٦٠-٤٣٥-٤٥٢.

استعداداته وميوله. كل هذه المزايا جعلت المسجد يخرج العلماء المبدعين والقادة والعباقرة[1].

وعليه فأن حلقات العلم في المساجد كانت تيسر لطلاب العلم حرية الحضور حسب أعمالهم ومصالحهم، وليس هناك تحديد لإعداد الطلاب، ولم يكن هناك تلك المنهجية المعقدة، ولذلك فإن من ينضم إلى تلك الحلقات العلمية فإن توجهه بلا شك علمي إلى حد كبير.

والحقيقة أنه لما كان التعليم في المسجد له ارتباط بقضية يحرص العلماء على مراعاتها، ألا وهي حفظ السند وتسلسله من العالي إلى النازل، فينبغي أن يكون في سن تمكنه من ضبط ما يلقى في الحلقة، وليس هناك سن معينة تبدأ عندها هذه المرحلة فمتى ضبط ماسمعه صح سماعه، فإذا رأى الطالب أو أهله أن لديه القدرة على الالتحاق بحلقات العلم في المسجد فإنه يذهب إلى حلقة الشيخ الذي يرغب التتلمذ عليه، حيث لايتطلب الأمر أية ترتيبات مسبقة، كما أن له الحرية في أن ينتقل من حلقة إلى أخرى لأي سبب من الأسباب، فقد يكون أحد العلماء أبسط عبارة في تدريسه فيرغب الطلاب في الأخذ عنه والدراسة عليه.

ولانستطيع أن نحدد السنوات التي يقضيها الطالب في تلقي العلم في هذه المرحلة، لأن الطالب في الغالب لايقتصر على تلقي العلم في بلده، بل يرحل

---

(١) محمد المجذوب–**رسالة المسجد في المجتمع**– مجلة الحج– السنة الرابعة والعشرون– العدد ١١– ص٦٩٢.

إلى مختلف مدن الحجاز والعالم الإسلامي، ولأن طلب العلم عملياً لاينتهي عند حد أو سن معينة[1].

أما المنهج الذي كان يدرس في المسجد الحرم فهو غير محدد، ولكن إطاره العام يشمل جميع ميادين الحياة العلمية كالعلوم الشرعية وعلوم العربية... الخ ماعدا مانص العلماء على عدم جواز تعليمه في المسجد[2] وداخل هذا الاطار فإن الشيخ وحده هو الذي يختار التخصص الذي يريد تدريسه، والكتب التي يعتمدها لتدريسه، وقد تكون هذه الكتب من تأليفه وفق مايراه مناسباً لتعليم طلابه[3].

تتميز الدراسة في المسجد الحرام بالبساطة، وعدم التعقيد والتالي فليس هناك أوقات محددة للدرس فالمسجد الشريف في حركة دائبة طوال النهار، بل وأوقات من الليل، فلا يخلوا من طائف أو ساعي أو راكع وساجد وقارىء للقرآن ومعلم ومتعلم، ولكن أوقات الدراسة في المسجد الحرام تخضع في تحديدها لعدة عوامل منها:

١- ماورد عن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في الحث على البكور في جميع الأعمال الحياتية، حيث يقول عليه السلام:﴿اللهم بارك لأمتي في بكورها﴾[4].

---

(١) **نيل المنى**- ص٣٧-٤٦-٩٨.

(٢) نهى العلماء عن قراءة ومدارسة الفاحش من الكلام شعرا او نثرا في المساجد لأنها منزهة عن الابتذال - السخاوي-**التحفة اللطيفة**- ج١- ص٢٣٣-

(٣) **نيل المنى**- ص٧٨-٩٩-١٢٥-٣١٦.

(٤) ابن ماجه -باب مايرجى من البركة في البكور، كتاب التجارات، رقم الحديث ٢٢٣٦.

٢- حرص العلماء وطلبة العلم على الاستفادة من كل الأوقات المتاحة حتى أنه روي في الأثر "اذا اتى على يوم لم أزدد فيه علماً يقربني من الله عز وجل، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم"(١) ويقول احد علماء التربية الإسلامية "ينبغي أن يكون طالب العلم مستفيداً في كل وقت حتى يصل له الفضل ... فالعمر قصير والعلم كثير، فينبغي أن لايضيع الأوقات والساعات ويغتنم الليالي والخلوات(٢) .

٣- مراعاة أوقات الكسب، والصلوات الخمس واعتدال الجو.

٤- ظروف الأستاذ، فهو الذي يحدد ميعاد درسه حسب حالته(٣) .

٥- ازدحام المسجد الحرام بالحلقات، وكثرة التي تدرس في هذه الحلقات، وتقديم الأهم فالأهم من هذه العلوم.

وكما سبق أن ذكرنا، فإن معظم العلماء لايقتصرون في تدريسهم على علم واحد فقط، وبالتالي فقد كان لهؤلاء العلماء أكثر من حلقة في اليوم، وكان العلماء يفاضلون بين العلوم التي يدرسونها تقديماً وتأخيراً، فيقدمون اقراء القرآن وتفسيره ثم الحديث وعلومه... الخ، وعلى طالب العلم أن يشغل يومه كله إذا أراد التمكن من حضور أكبر عدد ممكن من الحلقات(٤) .

---

(١) يوسف القرضاوي -**مرجع سبق ذكره**- ص٩٩.

(٢) **نيل المنى**- ص١٤٥-٤١٠- محمد غنيمه-**تاريخ الجامعات الإسلامية الكبرى**- ص٢٧٤.

(٣) محمد غنيمه-**تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى**- ص٢٧٤.

(٤) **نيل المنى**- ص١٦-١٨-٤٦-٥٩-١٨٩-٢١١.

تبين لنا أن النهار بطوله وقت للدرس، ولكن العلماء يختلفون في اختيار الأوقات التي يعقدون فيها حلقاتهم، تبعاً لاختلاف ظروفهم ومشاغلهم، وقد رأينا أن مابعد صلاة الفجر وقت يحرص العلماء على التدريس فيه، اغتناماً للبركة التي دعا بها الرسول صلى الله عليه وسلم للمبكرين في أعمالهم من أمته، ولأن العلماء يتلمسون الأوقات التي تكون فيه أعداد المستفيدين من علمهم أكبر، وأخيراً فإن الأوقات الأخرى لم تكن خلو من الدرس، فربما اشغلت هذه الأوقات بأنشطة علمية في أماكن أخرى كمنازل العلماء، والمكتبات وغيرها.

ويذكر جار الله بن فهد قائلاً: ((قرأ فيه القاضي الشافعي صحيح البخاري بالمسجد الحرام في وقت واحد بعد صلاة الصبح وبعد الظهر))(١).

أما أماكن التدريس في المسجد الحرام، فقد كانت تتم في أروقته والمقامات الأربعة كذلك اتخذ بعض العلماء أماكن خاصة لإلقاء دروسهم عند باب ابراهيم وباب العمرة وباب الندوة وباب أجياد وخلف مقام الحنفية ومقام المالكية وغيرها من الأماكن في المسجد الحرام(٢).

بذلك تعتبر رسالة المسجد غنية عن البيان، فهي كضوء الشمس وتلالأ القمر، ومن الحقائق التاريخية التي لايختلف فيها إثنان أن الحرم المكي الشريف قام بدور قيادي أصيل في صناعة القاعدة الثقافية التفاعلية العالمية وإرساء دعائمها لقد كان المسجد الحرام جامعة علمية عالية المستوى حققت الأطر التعليمية

---

(١) **نيل المنى**- ص٧٥.

(٢) **المصدر السابق**- ص١٦-٤٨-٧٧-٧٩-٩١-١٢٧-١٦٨-٢١٠-٣٤٥-٤١٠-٤١٦.

التثقيفية عبر قنَوات عديدة بإشراف فقهاء وعلماء العصر ورجالات العلم من أهل مكة المكرمة والمجاورون من تصدروا للاقراء والتدريس للمواد العلمية المختلفة.

ثالثاً: دور المَدارس في التعليم:[1]

التعليم بالحجاز قديم جداً يرجع الى صدر الإسلام حيث تعتبر مكة المكرمة أول مركز علمي إسلامي لكونها مهبط الوحي، وإنبعاث نور الهداية. فأول آية نزلت على الرسول صلى الله عليه وسلم تدعو إلى العلم، إذ قال الله تعالى: ﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾[2].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم أوائل المسلمين تعاليم الدين الحنيف في دار[3] الأرقم بن الأرقم[4]، التي تعتبر أو مدرسة علمية في الإسلام، وبعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة، أصبح

---

(١) المِدْراسُ والمدرسُ: الموضع الذي يُدْرَسُ فيه، والمِدْرُسُ الكتاب، والمدارس الذي يقرأ الكتب ويُدُرسها، ودَرَس الكتاب يُدْرُسُه دَرْساً ودِراسة: إنقاد لحفظه، ومن قوله تعالى: ﴿وكذلك نصرف الآيات وليقولوا دَرَسَت﴾، سورة الأنعام- آية١٠٥- بمعنى تَعلّمت وعلمت أو أقرأت، وفي الحديث: ﴿وتدارسوا القرآن﴾، أي: إقرءوه وتهدوه لئلا تنسوه- الجوهري- **الصحاح**- ج٣- ص٩٢٧- انظر: ابن منظور- **لسان العرب**- ج٦- ص٧٩-ص٨٠- الفيروز آبادي- **القاموس**- ص٧٠٢.

(٢) سورة العلق- آية٥.

(٣) هذه الدار في مركز متوسط وهي على الصفا وكان النبي عليه السلام يجتمع فيها مع المسلمين سراً نظراً لصالحهم وصالح المسلمين وكانت بمعزل عن مجالس قريش وأصبحت مركزاً لدعوته من النبوة. انظر: دراسة في السيرة- ص٦٤.

(٤) أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزومه بن يقضه المخزومي، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم من السابقين الأولين، إسم أبيه عبد مناف، شهد بدر، وكان من عقلاء قريش، عاش إلى دولة معاوية، وتوفي بالمدينة سنة ٥٣هـ/١١٥٨م، وقيل سنة ٥٥هـ/٦٧٤م. انظر: ابن الاثير **الكامل في التاريخ**- ج٣- ص٣٤٧- الذهبي- **سير أعلام النبلاء**- ج٢- ص٤٧٩- ص٤٨٠- الزركلي- **الإعلام**- ص٢٨٨.

مسجده ثاني مدرسة لنشر العلم وقد اشتهر بالتدريس بمكة والمدينة عدد كبير من الصحابة والتابعين في الحرم المكي والحرم المدني.

وهكذا اكتسبت مكة والمدينة بجانب مكانتهما الدينية العلمية منذ صدر الإسلام، وإذا كانت المدارس الإسلامية قد بدأت في التطور في منتصف القرن الخامس الهجري فقد قامت المدارس في المجتمعات الإسلامية إلى جانب المسجد والكتاب وأسهمت في تربية وتعليم المجتمع الإسلامي، ويربط المؤرخون بين نظام الملك الوزير السلجوقي[١] وبين نشوء المدارس في الاسلام مع أن بعض المدارس وجدت قبل نظام الملك، ولعل سبب شهرة نظام الملك ومدارسه فضلاً فائقة عن كونه أول من جعل التعليم مجاناً وفرض للطلاب الأرزاق والأموال[٢].

ولقد تأخر إنشاء المدارس وظهورها بطابعها النظامي في مكة المكرمة إلى الربع الأخير من القرن السادس الهجري حيث بدأت المدارس تنمو وتتكاثر[٣].

ويلاحظ بأكبار عظيم العناية والتسابق للسلاطين والأمراء والمقتدرين وغيرهم في العالم الاسلامي في إنشاء المدارس، فقد كان جل إهتمامهم متجهاً الى تبني

---

(١) نظام الملك هو: ابو علي الحسن بن علي اسحق بن العباسي الطوسي، ولد عام ٤٠٨هـ/١٠١٨م أصبح وزير السلطان السلجوقي ملك شاه بن ألب أرسلان داود بن سلجوق، تأدب بآداب العرب وسمع الحديث واشتغل بالأعمال السلطانية اغتاله ديلمي ودفن بأصبهان عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م. ترجم له: ابن خلكان- **وفيات الاعيان**- ج١- ص١٤٣- الذهبي- **سير اعلام النبلاء**- ص١٥-٨٦.

(٢) الذهبي- **سير اعلام النبلاء**- ج٤- ص١٩٦.

(٣) النعيمي- **الدارس في تاريخ المدارس**- ج١- تحقيق جعفر الحسني- دمشق- المجمع العلمي- ١٩٤٨م- ص٤٣١- ص٥٣٥- السليمان- **العلاقات الحجازية المصرية**- ص٢٢٥.

سياسة تعليم العلوم الشرعية ونشرها نظراً لمكانتها الدينية السامية فتعددت، وزادت العناية بها. وكانت هذه المدارس تؤدي وظيفة اجتماعية إضافة إلى صفتها العلمية[1] ،حيث كانت ملجأ للمرتادين والمعوزين، فقد كان يجد بها العالم والمتعلم والعابد والمرتاد والمعوز والمنقطع الغذاء العلمي والروحي والمادي والمأوى[2] ، وذلك فيما يلقى بها[3] من دروس علمية، وما كانت تقدمه من رواتب نقدية وعينية للمدرسين والطلبة وبقية العاملين بها، وما كانت تقدمه للمعوزين والمنقطعين من مأوى وزار بفضل ما كان يخصصه لها مؤسسوها من أوقاف توقف عليها ليضمن ريعها استمرار هذه المدارس في أداء رسالتها العلمية والإجتماعية[4] .

ولا شك أن الهدف الأساسي من وراء كثرة المدارس في الحرمين الشريفين في هذا العصر هو خدمة الدين الاسلامي وما يتفرع من مختلف العلوم العقائدية والتشريعية.

وكان وجود العلماء والفقهاء والقضاة والمجاورين في الحجاز في القرن التاسع والعاشر الهجري بأعداد كبيرة مع تعمق في مختلف الدراسات العقائدية والإجتماعية عاملاً مشجعاً لأصحاب السلطة ومحبي العلم والتعليم والمقتدرين، لإنشاء المدارس.

---

(١) نيل المنى- ص٧-٩٦-٢٦٦.

(٢) المصدر السابق- ص٨١-١٢٩.

(٣) المصدر السابق- ص٦٣.

(٤) طرخان ابراهيم- **النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى**- القاهرة- ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م- ص٣٢٤-ص٣٢٥.

وكان من أسباب إنشاء المدارس تأييد المذهب الذي يتبعه السلطان أو الأمير[1] .

ويقوم نظام المدرسة على منشيء لها يسميا بإسمه ويقف عليها من الأوقاف ما يفي باحتياجاتها وعلى ناظر يتولى شئون النظر في هذه الأوقاف وقد يكون مدرسها وعلى مدرسين، ومشرف على شؤون المكتبة وإمام ومؤذنين وقيم على المدرسة وخدم[2] .

ويفضل نظام الوقف استطاعت هذه المدارس أن تؤدي وظائفها التعليمية بانتظام، وكان المدرسون يختارون بعناية كبيرة، ويتم تعيينهم من قبل الواقف. ومن المعلوم أن هذه المدارس اهتمت بدراسة العلوم الدينية وأهمها القرآن وعلومه فقد كان الشغل الشاغل للمدارس تدريس العلوم الدينية على المذاهب الإسلامية الأربعة[3] .

ويلاحظ إرتباط المدارس بالمذاهب الإسلامية الأربعة، فيختص بعضها للفقهاء الشافعية، وبعضها للفقهاء المالكية، وبعضها للحنفية، وبعضها للحنبلية[4] .

---

(١) **نيل المنى**- ص٣١٨-٣٧٦- الحجي- حياة ناصر- **السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده**- مع تحقيق ودراسة وثيقة، وقف سرياقوس، الطبعة الاولى- الكويت- مكتبة الفلاح- ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م- ص١٠٦- زيدان جرجي- **تاريخ التمدن الإسلامي**- ج٣- راجعها وعلق عليها حسين مؤنس- القاهرة- دار الفكر- ١٩٨٦م- ص٢٢٥- ص٢٢٦.

(٢) **نيل المنى**- ص٦٣.

(٣) **المصدر السابق**- ص٢١-٣٤-٦٣-٧١.

(٤) النهروالي- **الاعلام**- ص٩٨.

كما اختصت مدارس بها دروساً أربعة لطوائف الفقهاء الأربعة، واللغة العربية وعلم الحديث والرواية مثلما وجد في المدرسة الغياثية، ومدرسة الأشرف قايتباي، إلى جانب ما كانت تؤديه بعض المدارس من منافع تتفق مع كونها مكان عبادة ودروس[1] .

فمدرسة الزنجيلي اختصت بتدريس المذهب الحنفي ومدرسة إبن الحداد اعتنت بتدريس المذهب المالكي. وأما المدرسة الشرابية فقد اهتمت بتدريس المذاهب الأربعة وعلم اللغة، أما المدرسة المظفرية فقد اختصت بتدريس فقه الشافعي[2]

الى جانب ذلك كانت تضم هذه المدارس خزائن بها أمهات الكتب في مختلف العلوم، واحتوت بعض المدارس على كتب تكون من جملة الموقوف للتعليم في هذه المدارس، فالمدارس الشرابية والأشرفية والشهابية ضمت الكثير من الكتب، ساعدت على إحياء الحركة العلمية عند الدارسين والمدرسين على حد سواء[3] .

---

(١) **نيل المنى**- ص٧-٩٦-٢٦٦-٢٦٩-٤٣٠.

(٢) عز الدين بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٤٨أ- ٦٩أ.

(٣) القطبي- **أعلام**- ص١٣٢.

الطراز المعماري للمدارس:

وكان الطراز المعماري للمدارس على عدة أشكال:

يعتمد **الأول** على: استعمال الأواوين التي تطل على فناء سماوي وعلى صهريج داخلي، وعلى غرف علوية للسكنى يطلق عليها "خلوة" وفي الغالب تخصص هذه الخلوات أو الخلاوي لسكن الفقراء، عدا واحدة تكون تابعة للمدرسة. والبناء هنا يجمع بين وظيفتين فهي دار للعلم، ومكان للسكن في آن واحد[1].

أما الطراز **الثاني**: فيقوم تصميمها على قاعة عظيمة، تتبعها مرافق كثيرة ورواق كبير، وتحت جزء من القاعة مخزن أرضي كبير "قبو" به عدد من الفتحات الخارجية سماوية لسطح الأرض، وتسمى "بالشفقات" والهدف منها تخفيف ثقل القبو، ولغرض التهوية وادخال الضوء، وفي القاعة الرئيسية وما يليها نوافذ كبيرة، مطلة على الخارج[2].

وتميز الطراز **الثالث**: باختفاء الصحن المكشوف، وبروز التصميم الذي يقوم على الطوابق المتعددة الأداوار، فكانت المدرسة تتألف من أربعة أدوار أو أكثر، خُصص الدوران الأولان للدراسة، والطابق الثالث سكن للفقراء وما يعلوه من أدوار اتخذ سكنا لشيخ المدرسة، وآخر لناظرها، وصهريج خارجي[3].

---

(١) الفاسي- **الشفاء**- ص٣٢٩.

(٢) النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٤- ص٣٧٢.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣٧٤.

كما أن وجود السكن بهذه المدارس لطلاب العلم وغيرهم من الغرباء والمجاورين ساعد كثيراً على إبقائهم فترة أطول بمكة والمدينة ويؤدون به حق العلم وينالون به رفيع الثواب[1] ، بالإضافة إلى ذلك فإن هذه المدارس كانت تؤدي وظائف إجتماعية مهمة، فكانت في بعض الأحيان للقضاء يفصل فيها بين القضايا التي تحدث بين العلماء والأعيان وغيرهم[2] ، كما كانت مكاناً لإنعقاد الصلح بين الأطراف المتنازعة، خاصة أمراء مكة الأشراف. ويذكر جار الله بن فهد أن مدرسة الأشرف قايتباي كانت تقام بها حفلات الزفاف لإتساع مساحتها وروعة بنائها[3] .

أما نظام التعليم في هذه المدارس، فكان يسير على النهج الذي يراه المتبرع أو الواقف بإنشاء المدرسة، فكان يقرر ما يراه للتدريس بها، ويعين المدرسين والطلبة بها وفقاً لأحد المذاهب الأربعة، كما كان يختار العلوم التي تدرس بها[4] .

وفي عصر مؤرخنا برزت بشكل واضح وظيفة التدريس، وزودت كل مدرسة بما تحتاج اليه من الهيئة التعليمية من المدرسين والفقهاء والمعيدين والموظفين، ورُتب لهم رواتب مجزية وصُرف للطلبة مكافآت ثابتة مادية وعينية، يستعينون بها في أمور حياتهم، حتى ينصرفوا للعلم آمنين مطمئنين.

---

(١) **نيل المنى**- ص٩٦-٣٦٩.

(٢) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٧ب- ص٢٠٨-٢٥١.

(٣) **نيل المنى**- ص٣١٨.

(٤) **المصدر السابق**- ص٦٣.

ويرصد لنا جاَر الله بن فهد وصفاً دقيقاً عندما تم إنشاء مدرسة المظفر شاه عام (٩٢٥هـ/١٥١٩م) حيث ذكر المبالغ التي صرفت والأوقاف التي حبست لإستمرار المدرسة كما سجل أسماء المدرسين بها والمبالغ التي تصرف لهم كذلك الأموال التي توهب لطلاب العلم والقائمين على المدرسة ومن هو الوكيل والناظر لها[١] .

و لم تمدنا مصادر تاريخ الحرمين الشريفين بوصف عام لنظام التعليم بالمدارس، ولكن هذه المصادر، وخاصة كتاب نيل المنى، أشارت واكتفت بوصف موجز لهذه المدارس، ويعثر الباحث في ثنايا هذه الأوصاف على عبارات تدل دلالة قريبة أو بعيدة على شيء من هذا النظام، أو على شيء من مراتب العلماء.

فتذكر بعض المصادر عن أحد العلماء أنه "تولى التدريس"، بإحدى المدارس على مذاهب مالك أو الشافعي، وأن آخر "تصدر للإقراء" أي إقراء مذهب مالك، أو الشافعي، وأن ثالثاً كان يتولى الإعادة، وهكذا... وتدلنا هذه النصوص على أن وظائف التعليم التي يشغل فيها الشيخ "وظيفة الصدر" لإقراء مذهب معين من مذاهب الفقه[٢] .

ويبدو أن الصدر أمام العصر في الفقه أو الحديث أو التفسير أو هو أكبر الأئمة وأكثرهم تمكناً في مادته وعليه يتخرج الكثيرون من نوابغ المدرسين

---

(١) **نيل المنى**- ص٧٦-٧٧.

(٢) **المصدر السابق**- ص٧٨- النهروالي- **الاعلام**- ص٩٩.

وإليه يذهب كبار رجال الإمرة للإستماع اليه، والافادة منه وليس من الضروري أن يكون لكل مدرسة صدر[1].

وطبقة تأتي بعد ذلك -طبقة المدرسين- وهم الذين يعينهم الصدر في شرح مادته، ويساعدونه في تدريس العلم من تفسير وحديث وفقه ونحو وغير ذلك. وقد تستغني هذه المدارس عن مدرسيها ثم طبقة المعيدين، وهم يلون رتبة المدرس وعددهم في المدارس أكثر من عدد غيرهم في الغالب[2].

والأصل فيهم أنه إذا القى المدرس الدرس وانصرف أعادوا للطلبة ما ألقاه المدرس إليهم ليفهموه ويحسنوه. فكان عمل المعيد تبسيط العلم ومن أجل ذلك يجلس المعيد الى جانب المدرس وإذا خلت المدرسة من المدرسين تولى أمرها المعيدون.

وقد يكون العالم مدرساً بمدرسة ومعيد بأخرى وقد يتولى المدرس التدريس في أكثر من مدرسة وقد يجمع الواحد بين القضاء والتدريس والخطابة[3].

إن الاستعراض التفصيلي التي كانت تدرس في هذه المدارس خير دليل على التنوع وكانت مواد الدراسة في هذه الحقبة تختلف من مدرسة لأخرى تبعاً لاختلاف أعمار الطلاب من جهة ولإختلاف المذاهب التي أنشئت من أجلها ولكنها مع هذا كانت تتفق جميعاً في أمر واحد هو تجنب الدراسة الفلسفية والعلوم المنطقية، ولا شك أن ثقافة القائمين على هذه المدارس ثقافة إسلامية

---

(١) **نيل المنى**- ص١١٣-٢٢٦- القطبي- **اعلام**- ص١١٣.

(٢) **المصدر السابق**- ص١١٧-٣٤٨.

(٣) العز بن فهد- **غاية المرام**- ج١- ص١٤٨- **نيل المنى**- ص٤٦- ٤١٠.

خاصة وكانت أهم المواد التي لها المكانة البارزة حفظ القرآن تلقيناً صيانة له عن التحريف ثم تأتي دراسة القراءات المختلفة للقرآن واشتهار كثير من العلماء في هذا العصر بإتقانهم لها(١) .

ويجيء بعد القرآن وقراءاته علم الحديث ورجاله وقد ظفر هذا العلم بمؤسسات خاصة أخذ كل منها اسم "دار الحديث"(٢) تمييزاً لها من بقية المدارس ويلي هاتين المادتين الرئيستين في الأهمية الدراسات الفقهية بمذاهبها الأربعة الرئيسية. أما قواعد اللغة العربية والدراسات الأدبية والتاريخية فلم تكن إلا من المواد المساعدة التي تمهد للدراسات الدينية العميقة ولقد ساعد على ذلك أن كثيراً من علماء الحجاز ومجاوريه ملمين بكل المعرفة لهذه الثقافة الدينية مشهورين في مادة من موادها، أو في المواد كلها حتى ما أمكن ذلك(٣) .

وقد حفلت مصادر القرن التاسع والعاشر الهجري المؤرخة للحجاز بذكر الكثير من المدارس التي أنشئت في مكة في العصر المملوكي، ومما تجدر الإشارة إليه أن الكثير فالكثير من أفاضل علماء العصر درّس في هذه المدارس التي كانت تجذب بسمعتهم الكثير من التلامذة من الحجاز وغيره، والبعض الآخر من هذه المدارس لا تصل سمعتها وقدرتها العلمية إلى هذا المستوى.

---

(١) **نيل المنى**- ص٩٦-٢٣٢.

(٢) القطبي- **اعلام**- ص١٣٢.

(٣) عز الدين بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٩٨أ- **نيل المنى**- ص١٢٩-٤٣٠.

وعنى الفاسي ومن أتى بعده كأبناء بني فهد كالنجم والعز وجار الله بذكر المدارس الموقوفة في مكة وبيان مواقعها، وتاريخ إنشائها، ومؤسسيها ولقد بدأ إنشاء المدارس بمكة كما أسلفنا في أواخر القرن السادس الهجري.

وعلى أية حال فإن مدارس مكة المكرمة في القرنين التاسع والعاشر الهجري كانت تقف بشموخ وهي تنافس وتضاهي مدارس القاهرة واسطنبول في تلك الفترة ويعتبر النشاط الفكري فيها استمراراً وتتويجاً للجهود المتكاتفة التي يبذلها الأفذاذ من العظماء المسلمون في أطهر بقعة على وجه الأرض.

وجرت العادة عند الفراغ من إنشاء مدرسة في عصر المماليك أن يحتفل بافتتاحها احتفالاً كبيراً يحضره السلطان والأمراء والفقهاء والقضاة والأعيان، ويمد سماط فاخر في صحن المدرسة به ألوان الأطعمة والحلوى والفواكه وبعد أن يخلع السلطان على كل من أسهم في بناء المدرسة من المعلمين والبنائين والمهندسين، يعين للمدرسة موظفيها من المدرسين والفقهاء والمؤذنين والقراء[(١)].

وكان من المقرر منذ إنشاء المدرسة أن يحضر القضاة الأربعة بعد العصر اليها ويقرءون مع الطلبة القرآن حسنة للسلطان. ورتب السلطان لكل من الطلاب والصوفية بالمدرسة خلوات وجميع ما يكفيهم من القمح في كل سنة. ذلك القمح الذي كانت تصنع منه "الدشيشة"[(٢)].

(١) **نيل المنى**- ص٦٤.

(٢) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٢١٠أ- ١٩٥ب- **نيل المنى**- ص٦٤-٦٥.

ومن هذه المدارس ما أنشيء قبل القرن العاشر الهجري بعدة قرون ولكن استمر الدور الفعال المعرفي والثقافي لهذه المدارس الى فترة بحثنا هذا ومن المدارس:

مدرسة الزنجيلي:

أسسها الأمير فخر الدين عثمان بن علي الزنجيلي(1)، نائب السلطان صلاح الدين الأيوبي بعدن في عام ٥٧٩هـ/١١٨٣م(2)، وهي ثاني المدارس النظامية التي أسست في مكة. ويذكر لنا ابن ظهيره أن تاريخ تأسيس بناء هذه المدرسة كان عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م ومن المرجح أن يكون التاريخ الأول هو التاريخ الصحيح لبناء هذه المدرسة لأن الزنجيلي توفي قبل عام ٦٢٠هـ/١٢٢٣م وربما يكون تاريخ وقف الرباط الخاص بسكن الدارسين ووقفها على أتباع المذهب الحنفي، وموقعها عند باب العمرة، وأوقف للمدرسة أوقافاً كثيرة بعدن وتعرف هذه أيضاً بدار السلسلة وكانت الدراسة فيها على مذهب الإمام أبي حنيفة(3).

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٦- ص٣٤-٣٥- ج١- ص١١٧-١١٩- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٢٨-٣٣١- النعيمي- **الدارس في تاريخ المدارس**- ج٦- ص٥٢٦.

(٢) ذكر الصباغ في **تحصيل المرام**- ورقة١٨٩ب- أنها أوقفت عام ٥٩٨هـ، وهذا مناف للحقيقة لأن صاحبها توفي عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م.

(٣) ابن ظهيره- **الجامع اللطيف**- ص٦٨- الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص١١٧-١١٩- ج٦- ص٣٥- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٢٨- **الزهور المقتطفة**- ورقة٦٧- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٢- ص٥٤٩- ابو شامه- عبد الرحمن بن اسماعيل- **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية**- ج٢- تحقيق محمد حلمي- القاهرة- ١٩٥٦م- ص٢٦.

وتعد هذه المدرسة من المدارس التي أدت دورها العلمي لفترة طويلة تقترب من ثلاثة قرون.

مدرسة طاب الزمان:

سميت بهذا الاسم نسبة إلى طاب الزمان الحبشية عشيقة الخليفة المستضيء(١) العباسي، وتسمى هذه المدرسة بدار زبيدة، وقد أوقفها عام ٥٨٠هـ/١١٨٤م، على عشرة من فقهاء الشافعية(٢).

ولقد استمرت هذه المدرسة حتى عصر المؤرخ جار الله بن فهد، حيث ذكر أن موقعها بالرواق الغربي من المسجد الحرام قرب باب العمرة(٣).

واعتنت بتدريس الفقه والتاريخ، بالإضافة إلى أنها لم تتقيد بالوقف، حيث درّس بها أتباع المذهب الحنفي(٤).

---

(١) هو الحسن بن المستنجد بالله يوسف بن المقتفى العباسي الهاشمي. ابو محمد المستضيء بالله العباسي، كان جواداً حليماً محباً للعفو، توفي سنة ٥٧٥هـ/١١٧٩م. ترجم له: الكتبي- **فوات الوفيات**- ج١- ص٣٧١- ابن الاثير- **الكامل في التاريخ**- ج١٠- ص٩٧.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص١١٧-١١٨- ج٨- ص٢٦١- ص٢٦٢- وذكر أنه لا يعلم متى توفيت- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٢- ص٥٥٣.

(٣) **نيل المنى**- ص٢٩٣.

(٤) النهروالي- **الاعلام**- ص٩٨.

مدرسة الأرسوفي:

تبين لنا المصادر إنها أبرز مدرسة نظامية أنشئت في مكة المكرمة، والأرسوفي نسبة إلى عبد الله بن محمد بن عبد الله الملقب بعفيف الدين الأرسوفي[1]، وتقع هذه المدرسة بالقرب من باب العمرة بأسفل مكة إلى جهة الشبيكة. ويذكر لنا إبن ظهيره أن تاريخ تأسيسها عام ٥٩٢هـ/١١٩٥م[2]، ومن المعلوم أن هذه المدرسة كانت تدرس المذهب الشافعي[3].

مدرسة النهاوندي:

تقع هذه المدرسة بالقرب من الموضع الذي يقال له الدريبة، وقد أنشأت في أوائل القرن السابع الهجري ما بين عام ٦٠٠هـ/١٢٠٣م وعام ٦٣٢هـ/١٢٣٤م. ولم تذكر لنا المصادر لماذا سميت بهذا الاسم ومن هم فقهاؤها[4].

---

(١) التاجر العسقلاني كان مهتماً بالعلم والتعليم، وكانت له مدرسة بمصر بناها عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م، وقد توفي عام ٥٩٣هـ/١١٩٦م- المقريزي- **خطط المقريزي**- ج٣- ص٣١٦.

(٢) إبن ظهيره- **الجامع اللطيف**- ص٦٨.

(٣) الفاسي- **شفاء الغرام**- ج١- ص٢٦٢- النهروالي- **الاعلام**- ص٨٩.

(٤) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص١١٨.

مدرسة ابن أبي زكريا:

سميت بذلك نسبة إلى بن أبي زكريا ويعرف بـأبي طـاهر المؤذن، تقـع قـرب المدرسة المجاهدية، في الجانب الجنوبي من المسجد الحرام، وتاريخ وقفهـا عـام ٦٣٥هـ/١٢٣٧م[١].

مدرسة إبن الحداد المهدوي:

بناها عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الحق المهدوي المعروف بابن الحداد[٢]، وتاريخ وقفها عام ٦٣٨هـ/١٢٤٠م، وتعـرف بمدرسـة الاشـراف الأدارسـة، وتقع بالقرب من الشبيكة، وأوقفت على طلاب المذهب المالكي[٣].

المدرسة المنصورية:

قام ببنائها الملك المنصور عمر بن علي بـن رسـول[٤] سـلطان اليمـن، وكـان موقعها بالجانب الغربي من المسجد الحرام وذلك فـي عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م،

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص١١٨- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٣٠- **الزهور المقتطفة**- ورقـة٦٨- النهروالي- **الإعلام**- ص١٧٧- الصباغ- **تحصيل المرام**- ورقة١٨٩ب.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٥- ص٣٣٥.

(٣) الفاسي- **المصدر السابق**- ج١- ص١١٨- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٣٠- الصبـاغ- **تحصيـل المرام**- ورقة ١٩٠أ.

(٤) الخزرجي- **العقود اللؤلؤية**- ج١- ص٤٤- ج٦- ص٦-٣٣٩- العـز بـن فهـد- **غايـة المرام**- ج١- ص٥٩٥.

وكانت ملاصقة لمدرسة الزنجيلي[1]، مقابل مدرسة طاب الزمان الحبشية[2] وأوقفها على الفقهاء الشافعية، وتولى عمارتها الأمير فخر الدين الشلاح[3]، نائب السلطان بمكة. وتسمى أيضاً بالمدرسة النوريه نسبة إلى نور الدين الملك المنصور[4]، وتسمى أيضاً المظفرية، نسبة إلى ولده المظفر يوسف بن علي، لأنه عمل بها درس الحديث[5].

المدرسة الشرابية[6] :

أسسها الأمير شرف الدين إقبال بن عبد الله الشرابي[7] ، أحد مماليك الخليفة المستنصر العباسي[8] ، عام ٦٤١هـ/١٢٤٣م، وتقع شرق المسجد الحرام على

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص١١٧- **الزهور المقتطفة**- ورقة٦٧- العز بن فهد- **غاية المرام**- ج١- ص٦٠٥-٦٠٦- الصباغ- **تحصيل المرام**- ورقة١٨٩ب- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٣- ص٦٠.

(٢) الصباغ- **المصدر السابق**- ورقة١٨٩ب.

(٣) فخر الدين الشلاح: مملوك الملك المنصور صاحب اليمن، استنابه المنصور في مكة عندما استولى عليها سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، وعزل في سنة ٦٤٦هـ/١٢٤٨م، وله آثار في الحجاز. ترجم له: الفاسي- **العقد الثمين**- ج٨- ص١٧٥- ١٧٦- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٣٠- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج١- ص٣٣٠- وج٣- ص٦٠.

(٤) الميورقي- احمد بن علي بن ابي بكر- **بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج**- كتاب ملحق بمخطوط- **الجوهر المنظم في زيارة القبر المكرم**- لابن حجر الهيتمي- مخطوط بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة- ورقة ١٢٩- الفاسي- **العقد الثمين**- ج٢- ص٢٣١.

(٥) الفاسي- **المصدر السابق**- ج١- ص١١٧- **الزهور المقتطفة**- ورقة٦٧.

(٦) لم يذكرها الفاسي، بل ذكر أنه بنى رباطاً- **انظر: العقد الثمين**- ج٣- ص٣٢٤-٣٢٥- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٣١- وكذلك النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٣- ص٦٠.

(٧) له بمكة مآثر كثيرة، وتوفي سنة ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، ببغداد- الفاسي- **العقد الثمين**- ج٣- ص٣٢٤- ٣٢٥.

(٨) ذكر الدكتور جميل حرب محمود حسين في كتابه -**الحجاز واليمن في العصر الأيوبي**- ان واقف المدرسة هو الخليفة المستنصر العباسي وأن بانيها الامير شرف الدين الشرابي، وقد استمد معلوماته هذه من النهروالي- **الاعلام**- ص١٧٧-١٧٨- و لم أجد خلال قراءتي أن الواقف هو الخليفة، بل إن الأمير الشرابي هو الباني وهو الواقف لهذه المدرسة.

يمين الداخل الى الحرم من باب السلام[1] .

وذكر النهروالي أنه في عام ٩٨٢هـ/١٥٧٤م "أوقف بها كتباً كثيرة تفرقت شذر مذر، والمدرسة باقية إلى الآن، وقد صارت رباطاً بعد ذلك، وفيها محل للتدريس وأوقف بها أهل الخير كتباً كثيرة[2] .

المدرسة الأرغونية:

تقع هذه المدرسة بدار العجلة القديمة على يسار الداخل المسجد الحرام بالباب المعروف بباب العجلة[3] .

لذلك فإن هذه المدرسة تنسب إلى أرغون شاه بن عبد الله الناصري (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م) الذي كان من الأمراء المحبين والمحسنين لأهل العلم.

المدرسة المجاهدية:

عمّرها الملك المجاهد علي بن داود بن يوسف بن عمر صاحب اليمن في عام ٧٣٩هـ/١٣٣٨م، بالجانب الجنوبي من المسجد الحرام، وأوقفها في شهر ذي

---

(١) **نيل المنى**- ص٤١٩- النهروالي- **الاعلام**- ص١٧٧- الطبري- **الارج المسكي**- ورقة٣٣- ورقة٣٤- ابن الصباغ- **تحصيل المرام**- ورقة١٥٦أ- ورقة١٥٦ب- دحلان- **خلاصة الكلام**- ص١١٩.

(٢) الأمير بردبك التاجي الأشرفي برسباي، ولي بمكة أيام الظاهر جقمق نظر الحرم والعمارة، ثم عاد إلى القاهرة، وتوفي عام ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م. ترجم له: السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٣- ص٦.

(٣) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص١١٧- **الزهور المقتطفة**- ورقة٦٧.

القعدة من السَنة نفسها على الشافعية، وأرباب وظائفها[1]، وجعل للمدرسة أوقافاً من أملاكه الخاصة.

وأصبحت المدرسة في عصر جار الله بن فهد مسكناً للأمراء والقادمين من الشام، حيث يذكر أنه في عام ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م ((وصل الأمين على الصدقة الرومية علي بك الرومي ونزل في هذه المدرسة))[2]، كما استقر بها واتخذها مسكناً له قاضي مكة الرومي مصلح الدين مصطفى[3].

المدرسة الأفضلية:

أنشأها الملك الأفضل بن الملك المجاهد صاحب اليمن في الجانب الشرقي من المسجد الحرام.

وقد ذكر النجم بن فهد أنها أوقفت عام ٧٦٨هـ/١٣٦٦م، وابتديء التدريس فيها في ربيع الآخر في عام ٧٧٠هـ/١٣٦٨م[4].

ثم أهمل التدريس بهذه المدرسة وتحولت من مركز علمي إلى دار للسلطنة[5] ثم صارت للخواجا بدر الدين بن عباد الله الرومي وجعلها وقفاً[6].

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص١١٨- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٢٨- **الزهور المقتطفة**- ورقة٦٨- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٣- ص٢١٧- ٢١٨- بينما يذكر الخزرجي في **العقود اللؤلؤية**- ج٢- ص٦٨، وكذلك يحيى بن الحسن في **غاية الأماني**- ج١- ص٥١٩- أن إنشاؤها في عام ٧٤٠هـ/١٣٣٩م.

(٢) **نيل المنى**- ص٨١.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣٨٣.

(٤) النجم بن فهد- **إتحاف الورى**- ج٣- ص٣٠٦-٣٠٩.

(٥) العز بن فهد- **غاية المرام**- ج١- ص٥٩١- ٥٩٢.

(٦) القطبي- **الإعلام**- ص١٨٦- الصباغ- **تحصيل المرام**- ورقة١٨٩ب.

مدرسة الشريف عجلان:

أنشأها الشريف عجلان بن رميثه بن ابي نمي في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام مقابلة لمدرسة الملك المجاهد، وذلك في عام ٧٧٢هـ/١٣٧٠م وكانت مستمرة في القرن العاشر الهجري حيث وردت في ثنايا كتاب جار الله بن فهد[١].

مدرسة الشريف جار الله:

أنشأها الشريف جار الله بن حمزه ابن راجح بن أبي نمي في الدار المعروفة بدار العجلة شمال المسجد الحرام عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، وهي ملاصقة للمسجد الحرام، وقد فتح لها باباً وستة شبابيك[٢].

مدرسة الفيروز آبادي:

عندما زاد الفيروز آبادي مكة عام ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، وهو أحد المقربين من الملك الأفضل، جعل داره التي أنشأها على الصفا مدرسة للملك الأشرف، وذلك في سنة ٨٠٣هـ/١٤٠٠م[٣].

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٦- ص٧١- العز بن فهد- **غاية المرام**- ج٢- ص١٥٣- ١٥٤- معروف- **مدارس مكة**- ص١٧.

(٢) **نيل المنى**- ص٢٠١- الفاسي- **العقد الثمين**- ج٣- ص٤٠٥-٤٠٦.

(٣) عز الدين بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٢١٣أ- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٢- ص٣١٣- **التحفة اللطيفة**- ج١- ص٣٣٣.

المدرسة الغياثية البنجالية:

أنشأ هذه المدرسة سلطان بنجالة من بلاد الهند، السلطان غياث الدين أعظم شاه بن أسكندر شاه (ت ٨١٤هـ/١٤١١م)، الذي بعث إلى الحرمين الشريفين بصدقات كثيرة، وكان له حظ من العلم والدين، حنفياً محباً للفقهاء والعلماء[١]، وقد أمر خادمة ياقوت الغياثي[٢]، أن يعمر له بمكة مدرسة ويوقف على ذلك جهات يصرف ريعها على أفعال الخير كالتدريس ونحوه، وكان ذلك بإشارة وزيره خان جهان، وأرسل كتاباً إلى الشريف حسن بن عجلان أمير مكة يرجوه فيه أن يعين خادمة بالقيام والإشراف على تعمير المدرسة والرباط، حيث اشترى خادمه ياقوت دارين متلاصقين عند باب أم هانيء التي تليها ابتديء التدريس فيها للمذاهب الأربعة[٣]، وصرف عليها وعلى أوقافها اثنى عشر ألف مثقاف مصرية[٤].

ويذكر لنا العز بن فهد أن هذه المدرسة قد هدمت عام ٨٩٤هـ/١٤٨٨م،

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٣- ص٣٢٠- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٢- ص٣١٣- **التحفة اللطيفة**- ج١- ص٣٣٣.

(٢) ياقوت الغياثي الحبشي، توفي سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج١٠- ص٢١٤.

(٣) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٤- ص١٠٨- ج١- ص١١٧- **شفاء الغرام**- ج١- ص٣٢٨- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٣- ص٤٨١.

(٤) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٤- ص١٠٨- ابن تغري بردي- **المنهل الصافي**- ج٢- ص٤٥٨- ٤٥٩- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٣- ص٤٨١- ٤٨٢- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٢- ص٣١٣- الداري- **الطبقات السنية**- ج٢- ص٢١٣.

بأمر من أمير مكة محمد بركات الذي استأجرها[(١)]، أو صرفت له بمرسوم شريف، وذكر أنه كان بها مدرسون وطلبة من المذاهب الأربعة، وأعطى الشافعي ذهباً لكي يفرقه على القضاة والأعيان فأخذ كل قاض خمسين ديناراً، وخص جماعة من الطلبة من المذاهب الأربعة بشيء، وأعطى النجم بن فهد عشرة دنانير[(٢)].

المدرسة الكلبرجية:

بنى هذه المدرسة أحمد شاه بن حسن شاه شهاب الدين أبو المغازي (ت ٨٣٨هـ/١٤٣٤م)[(٣)]، سلطان كلبرجة، حيث أرسل أموالاً كثيرة ليعمّر له مدارس بمكة والمدينة، فاشتريت له من السيد بركات داره التي عند الصفا[(٤)]، وشرع الهنود في عمارة المدرسة عام ٨٣١هـ/١٤٢٧م[(٥)]، واكتملت في عام ٨٣٢هـ/١٤٢٨م[(٦)].

ومن خلال استعراض تراجم مدرس هذه المدرسة يتبين لنا أن هذه المدرسة كانت تتميز عن غيرها من المدارس في تدريس معظم العلوم الشرعية، إضافة

(١) العز بن فهد- **غاية المرام**- ج٢- ص٥٥٨- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٢- ص٣١٣- **طبقات الحنفية**- ورقة٦٧.

(٢) العز بن فهد- **غاية المرام**- ج٢- ص٥٥٨- **بلوغ القرى**- ورقة٤٤ب.

(٣) السخاوي- **المصدر السابق**- ج١- ص٢١٠- **التحفة اللطيفة**- ج١- ص٢٧٧- المقريزي- **السلوك**- ج٤- ص٢- ٧٧٥.

(٤) النجم بن فهد- **إتحاف الورى**- ج٣- ص٦٤٣- **نيل المنى**- ص٣١٨-٣٧٦.

(٥) **اتحاف الورى**- ج٤- ص٢٦.

(٦) **نيل المنى**- ص٤٢٧- النجم بن فهد- **المصدر السابق**- ج٤- ص٤٥.

إلى اللغة العربية، فهي حسب ما ذكره واقفها وناظر وقفها لم تحدد نوعية الدرس، بل تركت حرية إقرار الدرس وإختياره للمدرس أو العالم، لذا تنوعت دروسها وموادها.

ويسر لنا جار الله بن فهد حادثة وقعت في المدرسة من قبل مدرسيها من الأعاجم فيقول: ((تحادث جماعة من الأعاجم في المدرسة الكلبرجية... منهم الملا عارف والشيخ السمرقندي مع شخص يقال له حسين الاسكر ابادي في قوله تعالى: ﴿إن الله لا يحب الخائنين﴾ فقالوا نزلت في عمر بن الخطاب - رضي الله عنه- وأظهر بغضه مع الصديق- وأن الأئمة الأربعة على ضلال لإختلافهم في الفروع... وأن الشيعة هم الفرقة الناجية... وادعى عليه فأنكر... فأمر القاضي بسجنه وتعذيبه))(١) .

وذكر النهروالي أن هذه المدرسة في عهده كانت تحت يده، وعندما أراد السلطان سليمان القانوني بناء مدارسه الأربعة استبدلت برباط كان بناه الخواجا بخش القرماني(٢) .

المدرسة الباسطية:

تنسب هذه المدرسة إلى الزين عبد الباسط بن خليل بن ابراهيم الدمشقي (ت ٨٥٤هـ/١٤٥٠م)(٣) ، أحد أكابر الرؤساء وأرباب التصرف والمكانة في دولة

---

(١) **نيل المنى**- ص٢٦٥.

(٢) النهروالي- **الإعلام**- ص٣٥١.

(٣) ابن تغري بردي- **النجوم الزاهرة**- ج٦- ص٧٥٢-٧٧٤- السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٤- ص٢٤- **التحفة اللطيفة**- ج٣- ص٤٤٣- الشوكاني- **البدر الطالع**- ج١- ص٣١٥.

الأشرف برسباي، فقد بنى مدارس بكل من مكة والمدينة وبعض المدن الإسلامية وكان ناظراً للجيوش المصرية[(1)]، ومتكلماً على أوقاف كسوة الكعبة بمصر.

وفي عام ٨٣٤هـ/١٤٣٠م[(2)]، إشترى الزين عبد الباسط الدار التي على يسار الداخل من المسجد الحرام من باب العجلة، واكتمل بناؤها في عام ٨٣٦هـ/١٤٣٢م، ويوجد بها خلاوي للفقراء في غاية الإحكام والإتقان وشبابيك مشرفة على المسجد الحرام، وسبيل الى جانب المدرسة، وكانت المدرسة حتى القرن العاشر الهجري تحت إشراف آل نجار أئمة المقام الحنفي، ولها أوقاف بمصر، إلا أنها إندثرت[(3)].

ويذكر جار الله بن بن فهد أنه في عام ٩٤٢هـ/١٥٣٦م أن أمين المبرة الرومية كان يسكن ويوزع المبرات والصدقات في المدرسة الباسطية، كما

---

(١) نظر الجيش: وظيفة جليلة رفيعة المقدار وموضوعها التحدث في أمر الإقطاعات بمصر والشام، والكتابة بالكشف عنها، ومشاورة السلطان عليها وأخذ خطة، ولناظر الجيش اتباع بديوانة، وديوانها أول ديوان وضع في الإسلام في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه- القلقشندي- **صبح الأعشى**- ج٤- ص٣١- محمد دهمان- **معجم الألفاظ التاريخية**- ص١٥٠.

(٢) ذكر ناجي معروف أن هذه المدرسة بنيت في عام ٨٢٦هـ/١٤٢٢م، واعتمد في ذلك على الإعلام للنهروالي، ص٢١٢، حيث يقول: "وفي هذه السنة- أي عام ٨٢٦هـ- جدد الأشرف برسباي الكسوة الحمراء داخل الكعبة الشريفة وكساها... وجاءت الكسوة على يد الزيني عبد الباسط ناظر الجيش صاحب الباسطية..." وذكر هذه المدرسة في هذا النص لا يدل على أنها بنيت بتلك السنة، وغاية ما أراده القطبي التعريف بعبد الباسط بأنه صاحب المدرسة المعروفة باسمه- **المدارس الشرابيه ببغداد وواسط ومكة**- الطبعة الثانية- القاهرة- دار الشعب- ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م- ص٣٦٠- وانظر كذلك- **مدارس مكة**- الطبعة الاولى- ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م- ص١٩-٢٠.

(٣) القطبي- **أعلام**- ص١٨٦- السنجاري- **منائح الكرم**- ص٢٦٠.

يضيف أن وزير الهند المسمى أصف خان كان يجتمع بالعلماء والقراء ويتم التدارس بها حتى أن جار الله بن فهد قام بقراءة شمائل النبي صلى الله عليه وسلم للحافظ أبي عيسى الترمذي ثم كان يمد لهم الطعام والحلوى بعد مداولة القراءة[1] .

المدرسة الجمالية اليوسفية:

أنشأ هذه المدرسة يوسف بن عبد الكريم بن بركه الجمال السعدي (ت٨٦٢هـ/١٤٥٧م)[2] ، وذلك في عام ٨٥٧هـ/١٤٥٣م، وتقع بجوار باب الحزوره[3] .

وكان يلقى في هذه المدرسة بعض الدروس في الصوفية، إلى جانب تدريس الفقه والحديث، ولقد أصبحت في القرن العاشر الهجري مسكناً للقاضي الرومي محمد بك إبن مصطفى باشا الرومي أمير الحاج المصري وذلك في عام ٩٤٣هـ/١٥٣٧م[4] .

---

(١) **نيل المنى**- ص٣٥٩.

(٢) ولد عام ٨١٩هـ/١٤١٦م، بالقاهرة، وبرع في الكتابه والحساب، وولي الوزارة بها، وقربه السلاطين وعمل مآثر كثيرة بمصر منها مدرسة للصوفية وأوقف بها كتباً كما عمرّ المدرسة الفخرية، وكان محباً للعلماء والفقهاء. ترجم له: السخاوي- **الضوء اللامع**- ج١٠- ص٣٢٢- ٣٢٣.

(٣) **نيل المنى**- ص٣٧٦.

(٤) **المصدر السابق**- ص٣٧٦.

المدرسة الخلجية:

نسبة إلى محمود بن مغيث الخلجي (ت ٨٧٣هـ/١٤٦٨م)(١) ، صاحب مندوه من بلاد الهند ومكانها عند باب أم هانيء، وتعرف أيضاً بدار أم هانيء.
ومن المدرسين بهذه المدرسة، كما يذكر العز بن فهد في حوادث عام ٩٠١هـ/ ١٤٩٥م أنه وصل معلوم درس المدرسة الخلجية وكان المعلوم لعمل طعام لطلابه(٢) ، مما يعني إهتمام مؤسسها وأبناؤه بهذه المدرسة وطلابها حيث يذكر السخاوي كذلك أن ابن الخلجي كان يعمل دشيشه بمكة، ويهتم بهذه المدرسة، بعد وفاة والده(٣) .
كما يذكر جار الله بن فهد أنه في عام ٩٢٥هـ/ ١٥١٩م أصبح شيخ المدرسة شمس الدين محمد البخاري الحنفي(٤) .

المدرس الزمامية:

أنشأها خشقدم بن عبد الله الظاهري الزمام الطواشي عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣١م، عند دار العجلة شمال المسجد الحرام وملاصقة له، تطل على الرواق الشمالي وكان يقام فيها إلى جانب الدرس مجلس للصوفية يقرأون فيه القرآن

---

(١) السخاوي- **الضوء اللامع**- ج١٠- ص١٥٠- الحسني- عبد الحي- **نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر**- الطبعة الثانية- حيدر اباد- مطبوعات دار المعارف العثمانية- ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م- ج٣- ص١٦٩.

(٢) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٨٥ب.

(٣) السخاوي- **الضوء اللامع**- ج١٠- ص١٥٠.

(٤) **نيل المنى**- ص٧١.

بعد صلاة العَصر، وجعل بها صهريجاً يجتمع فيه الماء من سطح المسجد الحرام، وجعل بها خلاوي يسكنها الفقراء، وأوقف عليها وقفاً[١] .

وكانت هذه المدرسة من قبل للشريف جار الله بن حمزه بن راجح بن أبي نمي الذي بناها عام ٧٨٩هـ/١٣٨٧م، ثم أعطاها للدولة في عام ٧٩٤هـ/١٣٩١م[٢] .

وكانت للمدرسة خلوه سكنية للعلماء الوافدين الى مكة بقصد الزيارة أو أداء مناسك الحج والعمرة ولقد اجتمع بها جار الله بن فهد مع العالم المفتي الشيخ شهاب الدين احمد بن علي الفاسي الشهير بالزقاق[٣] .

كما كانت مسكناً في مواسم الحج لكاتب الصدقة حيث يشير جار الله بن فهد أنه سكن بها في موسم حج عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م[٤] .

المدرسة الكنبايتية:

أمر بإنشائها صاحب كنباية، غياث الدين محمد شاه بن السلطان ناصر الدين احمد شاه بن السلطان غياث الدين محمد شاه بن السلطان شمس الدين مظفر شاه[٥] ، حيث استأجر البيت المعروف بأبي شامة بين البيمارستان وباب

(١) النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٤- ص٦٤- **نيل المنى**- ص٣٤.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٣- ص٤٠٥.

(٣) **نيل المنى**- ص٣٤.

(٤) **المصدر السابق**- ص٢٠٣.

(٥) لم اعثر على ترجمته.

الدريبه الملاصق للمسجد الحرام، وبابه منه، وشـرع في بنائها عـام ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م، واكتملت في عام ٨٦٧هـ/١٤٦٢م(١).

وذكر العز بن فهد ويؤكد معه ذلك النهروالي أن صاحب كنبايـه احمـد شاه سلطان كجرات، كانت له مدرسة بمكة وكانت بيده(٢).

المدرسة العطيفية:

عمرتها زوجة السلطان إينال ووالدة السلطان المؤيد أحمد، زينب ابنة علي بن احمد بن خاص بيك، وذلـك عـام ٨٦١هـ/١٤٥٦م، بمناسـبة أدائها فريضة الحج بصحبة ولدها، وتتكون من قاعة كبيرة ومرافـق أخـرى ورواق متسع، ولها شبابيك خمسة مطلة على المسجد الحرام(٣). ويذكـر جـار الله بـن فهـد إستمرار المدرسة في عصره(٤).

---

(١) ذكر عبد الرحمن صالح في **تاريخ التعليم في مكة**- ص٧١- وآمنه جلال في رسالتها- **طرق الحج ومرافقه في العصر المملوكي**- ص٣٨٧، إن هذه المدرسة بنيت عام ٨١٣هـ/١٤١٠م وهذا يخالف مـا ذكـره النجم بن فهد في حوادث عام ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م، وهو تاريخ إنشاء المدرسة.

(٢) **بلوغ القرى**- ورقة٨٤أ- النهروالي- **الإعلام**- ص٣٥١.

(٣) النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٤- ص٣٧٢- الجزيري- **درر الفرائد المنظمة**- ج١- ص٧٤٥-٧٤٦- وقد ذكر السليمان في العلاقات الحجازية المصرية- ص٢٢٧- أنها والدة النـاصر محمد بـن السـلطان قانصوه الغوري- وهذا مخالف للواقع، فالسلطان الغوري نفسه ولد عام ٨٥٠هـ.

(٤) **نيل المنى**- ص٢١.

مدرسة قايتباي الأشرفية:

عمّرت أيام الأشرف قايتباي حيث أرسل لذلك وكيله وتاجره الخواجا[1]، شمس الدين محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن الزمن (ت ٨٩٧هـ/١٤٩١م)[2]، وشاد العمائر[3]، سنقر الجمالي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م)[4] ليبحثا عن موقع مشرف على المسجد الحرام ليبني فيه مدرسة، وكان ذلك عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م[5]، فاشترى ابن الزمن وسنقر رباطين، هما رباط السدرة، ورباط المراغي، وداراً للشريفة شمسية بنت حسن بن عجلان (ت٨٨٢هـ/١٤٧٧م)[6]، وهدم جميع ذلك كله وكملت المدرسة وغلاب الرباط في عام ٨٨٣هـ/١٤٧٨م[7].

وكانت هذه المدرسة مقابل مقام إبراهيم، وجعل فيه اثنتين وسبعين خلوة، ومكتباً للأيتام، ومأذنة، وبنى مدرسته هذه بالرخام الملوم أما سقفها فكان مذهباً وقرر بها أربعة مدرسين على المذاهب الأربعة وأربعين طالباً، وجعل

---

(١) الخواجا: لقب من ألقاب التجار الأعاجم من الفرس وغيرهم، وهو لفظ فارسي معناه السيد، أو المعلم، او المربي وكان قديماً محضياً لأنه يربي أبناء الأمراء والكلمة تطلق على الذكر والانثى. انظر: القلقشندي- **صبح الأعشى**- ج٦- ص١٣-محمد التونجي- **معجم المعربات الفارسية**- ص٧٠.

(٢) السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٨- ص٢٦٠- **التحفة اللطيفة**- ج٣- ص٦٩٦.

(٣) شد العمائر: وموضوعها أن يكون صاحبها متكلماً في العمائر السلطانية، مما يختار السلطان إحداثه أو تجديده من القصور أو المنازل والأسوار- القلشندي- **صبح الاعشى**- ج٤- ص٢٢.

(٤) السخاوي- **الضوء اللامع**- ج٣- ص٢٧٣- **التحفة اللطيفة**- ج٢- ص١٩٧.

(٥) النجم بن فهد- **إتحاف الورى**- ج٤- ص٦١٩.

(٦) السخاوي- **الضوء اللامع**- ج١٢- ص٦٩.

(٧) النجم بن فهد- **المصدر السابق**- ج٤- ص٦٣٩.

فيها خزانة كُتب وقفها على طلبة العلم، وجعل لها خازناً عين له راتباً، وكانت مرتبات الموظفين تدفع ذهباً من ربع أوقفه بزقاق العطارين بمصر[١] .
وكانت تفرق فيها الذخيرة أيام الحج من امير الحاج المصري[٢] .
وذكر جار الله بن فهد أن المدرسة في عصره أصبحت تستعمل كدار ضيافة ينزل بها أمراء الحج المصري أيام الموسم وكان المعتاد أن يطوف أمير الحاج المصري في الليل ويعود الى الدار ثم يدخل في الصباح في موكب ويلاقيه أمير مكة والقضاة والأعيان ويوصلونه الى محل سكنه المعتاد وهو مدرسة الاشرف قايتباي[٣] .
كما كانت سكناً لغيرهم من الامراء، كما كان ينزل بها كبار الوافدين الى مكة فقد نزلها وزير الهند أصف خان وأقام بها يومين عام ٩٤٥هـ/١٥٣٩م[٤] وأن أوقافها صارت مأكلة للنظار[٥] .
ولقد أصبح الجابي لوقفها الشهابي احمد بن رجب المزين عام ٩٣٦هـ/١٥٣٠م[٦] .

(١) القطبي- **اعلام**- ص٢٢٥- العصامي- **سمط النجوم العوالي**- ج٤- ص٤٤- السنجاري- **منائح الكرم**- ج٢- ص١٣-١٤- الصباغ- **تحصيل المرام**- ورقة١٩٠- الطبري- **الارج المسكي**- ورقة٣٣- ٣٤.
(٢) **نيل المنى**- ص٩٦.
(٣) **المصدر السابق**- ص٢٠٨.
(٤) **المصدر السابق**- ص٤٣٠.
(٥) النهروالي- **الإعلام**- ص٢٢٦.
(٦) **نيل المنى**- ص٦٩.

مدرسة الغوري:

ذكر ابن اياس أن باني هذه المدرسة هو السلطان قانصوه الغوري وأنه قام بإنشائها عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، كما كان يتم فيها عقد المصالحة بين القضاة[١] ولكن بعد إستقصاء هذا المصدر إتضح أن تاريخ إنشاء هذه المدرسة غير معروف، وقصد ابن اياس في هذه الحوادث التعريف، بمآثر السلطان الغوري، في مصر وغيرها من البلدان، لأن المعروف عن هؤلاء المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة أن يذكروا مآثر السلاطين والأمراء وغيرهم في نهاية حكم كل من هؤلاء أو حين وفاتهم.

وهذا ما حدث في ترجمة ابن اياس للسلطان الغوري الذي ذكر أنه بنى مدرسة ورباطاً للمجاورين والمنقطعين دون تحديد سنة إنشائها[٢] ، على أن أحداً من مؤرخي مكة والحجاز عامة لم يذكر شيئاً عن هذه المدرسة، مثل العز بن فهد وجار ا لله بن فهد والنهروالي الذين أرخو لتلك الفترة، وهما أكثر معرفة من غيرهم في تاريخ مكة المكرمة.

---

(١) **نيل المنى**- ص٦٤.

(٢)) ابن اياس، محمد بن احمد- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**- تحقيق محمد مصطفى- القاهرة- ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م- ج٥- ص٩٥.

المدرسة المظفرية:

أمر بإنشائها السلطان مظفر شاه[1] عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م وأمر وكيله محمد بن شيخ علي الكيلاني بشراء الدور القريبة من المسجد الحرام ولقد تمكن الوكيل بصعوبة من شراء دار الخواجا ابراهيم بن الزمن المجاورة للمسجد الحرام بجانب باب الصفا، كما بنى بها خلوة يسكن بها الطلاب والمدرسين واستحدث بها مكتبة ووفر لها شتى المؤلفات[2].

كما أوقف عليها بيوتاً حبسها للقراء في المدرسة في السنة التالية من إنشائها[3]، أما عن تعيين مدرسيها وما يصرف لهم من مبالغ نقدية فقد أبدع جار الله بن فهد في وصف ذلك وذكر بدقة متناهية كل ما يتعلق بأمر هذه المدرسة فيقول: ((قرر وكيل الملك محمد القيلاني يوم الجمعة الرابع عشر للمدرسة أربعة أنفس هم إماما الحنفية البخاريان والقاضي تاج الدين المالكي واعجمي، والستة الباقين فوض أمرهم الى قاضي القضاة الشافعي فقرر فيها أخوه البدري والتاجي وابن اخيه المحبي ابن البهائي وقريبه القاضي شرف الدين ابن الفائز والبرهان ابراهيم ابن عمه القاضي شهاب الدين ومحمد ابن

---

(١) مظفر شاه سلطان وكنيابة وكجرات بالهند اشتهر بالصلاح وحب الخير كان شغوفاً بالعلم محباً للعلماء له صدقات جاريه لأهل الحرمين الشريفين، استمرت في عهده حروب وفتن مع المغول مما دعاه ان يرحل اسرته ووزيره باموال طائله الى مكه المكرمه. انظر **نيل المنى**- ص٤٨-٥٣-٦١-٦٣-٦٤-٧٥ وصفحات متعدده- الشلي- **السنا الباهر**- ورقة٤.

(٢) **نيل المنى**- ص٦٣-٦٤-٦٥.

(٣) **المصدر السابق**- ص١٢٩.

الشيخ عبد الكبير الحضرمي وشيخ الفراشين النوري البيسقي في تفرقة الأجزاء، والشرفي الصلاحي في الدعاء، واستناب كل من الأخيرين في ذلك وصرف لكل منهم نصف معلوم سنة وهو ستة اشرفية وعين الحضور في كل يوم بعد صلاة العصر ويترك يوم الثلاثاء، وتكون بعد صلاة الجمعة قراءة إمام الحنفية الكبير في المصحف الشريف الذي كتبه السلطان مظفر شاه بيده))[1].

كما يضيف قائلاً: ((وقرر في طلب الدرس في المدرسة المذكورة عشرة أنفار عين ثمانية أنفار منهم قاضي القضاة الحنفي الجديد بديع الزمان القرشي وهم:

١- ولد المولود علي ٢- شقيقه ابو السرور ٣- عمه قوام الدين ٤- إمام الحنفية شهاب الدين البخاري ٥- جار الله ابن القاضي امين الدين بن ظهيره ٦- ابن عمه الشرفي يحيى السامي ٧- الشيخ ابو الفضائل ٨- الشرفي يحيى الرسولي))[2].

كما يرصد ذلك متابعاً ((وأرسل لقاضي القضاة الشافعي تعيين تكملة العشرة آخذاً من جماعته فعين الشيخ شهاب الدين الحرازي والشيخ نور الدين علي بن عبد الرحمن المرشدي، فعين لكل واحد منهم أربعة وعشرين اشرفياً ولشيخهم ثمانية وأربعين، وصرف لكل منهم نصف المعلوم، فتكلم قاضي القضاة الحنفي المعزول نسيم الدين المرشدي مع الوكيل يعين له وظيفة من

---

(١) نيل المنى- ص٧٥-٧٦.

(٢) المصدر السابق- ص٧٦.

العشرة وأسقط من معلوم كل واحد من الطلبة دينارين وجعل ذلك لكل من كان قاضياً حنفياً معزولاً))[1] .

كما أصبحت المدرسة المظفرية تستخدم كموقع لتوزيع الصدقات والمبرات على أهل الأربطة[2] .

كما أن هناك مدرستين وجدنا لها إشارة فقط في ثنايا كتاب نيل المنى هما:

الاولى: مدرسة الشيبي التي تقع في الجهة الشمالية من المسجد الحرام[3] .

الثانية: مدرسة الشريف محمد بن بركات الحسني ومن الأرجح أن إنشاءها تم خلال تولية شريف مكة (٩٣٠-٩٩٢هـ/١٥٢٨-١٥٨٤م) وتقع في الرواق اليماني من المسجد الحرام بين باب ام هاني وحزورة، ولقد ذكرها جار الله بن فهد في تسجيله لحوادث عام ٩٤٣هـ/١٥٣٧م ويرى الباحث أنه ربما تم بناءها أثناء رحلات جار الله بن فهد عن مكة حيث لم يسجل ما كان يحدث في مكة أثناء غيابه عنها وذلك في فترات متقطعة[4] .

ولقد بحثت ودققت في المصادر السابقة أو المعاصرة لعلي أجد نصاً تاريخياً يضيف شيئاً جديداً عن هاتين المدرستين و لم يوفق الباحث وربما يظهر مصدر جديد يحمل في طياته معلومة مفيدة وافية عن إنشاء ونظام هاتين المدرستين.

---

(١) نيل المنى- ص٧٧.

(٢) المصدر السابق- ص١٧٦.

(٣) المصدر السابق- ص٢٠١.

(٤) المصدر السابق- ص٢٤٥.

المدرسة العثمانية:

لقد أدت الفتوحات العثمانية وخضوع مكة لهم إلى كثرة الوافدين عليها ولقد دب النشاط في الحركة العلمية نتيجة ازدياد عدد العلماء الذين طاب لهم الجلوس في مكة ومجاروة بيت الله الحرام.

ولقد تنافس سلاطين بني عثمان في تخليد آثارهم العلمية وساهمو في تنشيط العلم ببناء عدد من المدارس وأشهر تلك المدارس مدارس السلطان سليمان القانوني (ت ٩٢٦هـ/٩٧٤م) فقد أمر بإنشاء أربع مدارس تدرس كل منها أحد المذاهب الأربعة(١).

تقع المدارس في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، وقد وضع حجر الأساس قاضي مكة احمد الشانجي وكان ذلك عام ٩٧٢هـ/١٥٦٤م(٢).

وقد أشرف على بنائها أمير جدة قاسم بك الشرواني، أما الساعي في عمارة هذه المدارس فهو ابراهيم بك الدفتردار معمر عين عرفة.

لقد أوقف السلطان لتلك المدارس أوقافاً بالشام وكان ناظر الأوقاف السليمانية بالشام يرسل سنوياً ما تنتجه الأوقاف. ويرصد لنا القطبي المعاصر لإنشاء هذه المدارس ويسجل لنا ما حدده السلطان من الرواتب التي تدفع للطلبة وللمدرسين على الشكل التالي:

---

(١) النهروالي- **الاعلام**- ص٣٥١- القطبي- **اعلام**- ص٢٩٢.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٥١.

(عين لكل مُدرسة خمسين عثمانياً في كل يوم. وعين للمعيد أربعة عثمانية في كل يوم ولكل مدرس خمسة عشر طالباً لكل عثمانين. وللفراش وكذلك للبواب نصف ذلك)[1].

ولم يكمل بناء هذه المدارس إلا في عهد السلطان سليم بن السلطان سليمان القانوني الذي اهتم بما فعله والده وقام بتعيين مدرسين أكفاء يمتازون بالثقة والمعرفة الدينية العميقة مشهورين بالورع والتواضع[2].

(١) القطبي- **اعلام**- ص٢٩٥. لعله يقصد قرشاً عثمانياً. فالدينار العثماني ذهباً يتكون من ١٠٠ قرش وقيمته تساوي هذه الأيام، حوالي ١,٧ جنيه استرليني- الكرملي- **النقود العربية وعلم النميات**- ص٣٨.

(٢) النهروالي- **الاعلام**- ص٣٥٢.

تشير المصادر التاريخية للقرن العاشر الهجري المعاصرة لمصدر نيل المنى أن الدولة العثمانية اهتمت بالحركة التعليمية وذلك بإنشاء المدارس النظامية في مكة المكرمة رغم عدم ذكرها أو الإشارة إليها في المصدر المعتمد نيل المنى ونظراً للفائدة سأورد أهم المدارس:

١- المدرسة المالكية السليمانية:

وكانت أرقى المدارس الأربع وهي رأسها عين القاضي حسين الحسني مدرساً سنوياً بخمسين عثمانياً[١] لها. وقد رقاه السلطان سليم فجعل مدرسته بمائة عثماني.

٢- المدرسة الحنفية:

وعين النهروالي مدرساً فيها عام ٩٧٥هـ/١٥٦٧م ويثني القطبي ثناءاً عطراً على قاضي العسكر بالأناضول فيقول: "فصارت مدرستي بهمته بستين عثمانياً" كل يوم بدل أن كانت بخمسين عثماني وقرأ فيها الكشاف والهداية وتفسير أبي السعود[٢].

٣- السليمانية الشافعية:

درب بها علماء الشافعية، وكانت بخمسين عثمانياً ودرس بها كتب فقه الإمام محمد بن ادريس وأحيا فقه الشافعية بها[٣].

---

(١) النهروالي- **الاعلام**- ص٣٥٢- القطبي- **اعلام**- ص٢٩٥.

(٢) النهروالي- - **المصدر السابق**- ص٣٥٣-القطبي- **المصدر السابق**- ص٢٩٦.

(٣) النهروالي- **المصدر السابق**- ص٣٥٢- القطبي- **المصدر السابق**- ص٢٩٦.

٤- دار الحَديث:

استحدثت مدرسة للمذهب الحنبلي وكان المفروض أن يدرس بها فقه الإمام احمد بن حنبل، ولم يوجد بمكة يومئذ من يكون نائباً عن مذهب الإمام احمد بن حنبل فعدل عن ذلك الى علم الحديث الشريف واصبحت المدرسة تدرس الحديث الشريف بخمسين عثمانية، يقرأ فيها الصحاح الستة[١] .

---

(١) النهروالي- **الاعلام**- ص٣٥٣-٣٥٤- القطبي- **المصدر السابق**- ص٢٩٦.

رابعاً: دور الأربطة في التعليم:

أما النوع الآخر من النظام التعليمي فهو حلقات الدرس في الأربطة: ولقد أشار الى ذلك صاحب نيل المنى في مواضع كثيرة والربط من أبرز المشاريع الثقافية والاجتماعية لأثرياء المسلمين رجالاً ونساء في كافة بقاع المعمورة وتسابقهم في انشاء ووقف الأربطة بمكة خاصة إلى حد يثير الاعجاب، فهم لا يستكثرون اقامة مثل هذه المؤسسات بجوار حرم الله وبيته ويعتبرونها من أقرب القرب.

ولهذا نلاحظ إنتشار الكثير منها في احياء مكة المختلفة[1]. كما ذكر جار الله بن فهد في نيل المنى ولقد تحدثنا عن أهميتها في الفصل الخاص بالناحية الاجتماعية، وكانت عملية تغذية الأربطة بالكتب مستمرة من قبل الساكنين بها بالإضافة إلى مجموعة الكتب التي يحبسها صاحب الرباط على خزنتها مما جعلها تسهم بشكل إيجابي ملموس مؤثر في تنشيط الحياة العلمية في مكة، لتصبح مناراً للعلم والاقراء والتثقيف والاجازة[2]. كما كان لها دور اجتماعي كمأوى للفقراء والزهاد من المجاورين وغيرهم.

---

(١) الفاسي- **شفاء الغرام**- ص٣٣٠-٣٣٦- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- ج١- ص١٥١- ١٥٢- **الدر الكمين**- ورقة١٩١ب- ٢٠٢ب-٢٠٦أ- **نيل المنى**- ص٣٨-٤٦-٩٧-١٢٥-١٨٣-١٩٧.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ج٣- ص٥٦-١٨٢- **الدر الكمين**- ورقة٧١ب- **نيل المنى**- ص٢٦-٩٧-١٢٥.

ومن المؤكد أن الأربطة كان لها دور عظيم في دفع عجلة الحركة التعليمية وتوجهاتها في تلك الفترة[(١)] .

وقد جرت العادة أن واقف الرباط كان يحرص على وقف خزانة من الكتب فيه للمطالعة والدرس والاستنتاج والمراجع والاستشهاد[(٢)] ، وفي الوقت نفسه فإن نظام التكافل الاجتماعي في الاسلام قد ضمن لساكني هذه الأربطة موارد عينية ومالية شبه ثابتة، ولا شك أن توفير السكن والغذاء والجو العلمي، قد أسهم في ارساء قاعدة ثقافية مبدعة، حيث انصرف قاطنوا هذه الأربطة للدراسة والتعليم باذلين أنفسهم في نفع الطلبة بأمورهم المعيشية الضرورية.

وكان من الطبيعي والحال كما ذكرنا أن تزدهر حركة التأليف، والتصنيف في الربط، وينكب العلماء على تدوين ملاحظتهم ومدارساتهم ومعارفهم، وأخبار الحقبة التي عاصروها[(٣)] .

ويذكر لنا جار الله بن فهد أن أغلب ساكني الأربطة من العلماء كانت تدور بينهم المناظرات الدينية ولا بد لهم بالإستعانة ببعض المؤلفات لدى العلماء والأدباء للإطلاع عليها والاستفادة منها، كما أن نظام الإعارة للمؤلفات كان متداولاً بينهم ولقد اتلفت كتب كثيرة في رباط ابن الزمن عندما أصيب

---

(١) نجم الدين بن فهد- **الدر الكين**- ورقة ١٣٣ب- **نيل المنى**- ص١٨-٤٦.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ١٣١- نجم الدين بن فهد- **اتحاف الورى**- ج٢- ص٥٦٤- **نيل المنى**- ص٩٧-١٨٣.

(٣) **الدر الكمين**- ١١٩أ.

بحريق عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م وكان من ضمنها كتب لجار الله بن فهد أعارها لأحد القاطنين بهذا الرباط[١].

بذلك أصبحت الأربطة يسودها طابع الدراسة لأن أغلب الساكنين بها هم طلبة العلم.

---

(١) نيل المنى- ص٢٢٦.

خامساً: دوُر الزوايا في التعليم:

ومن دور الثقافة في مكة الزوايا[1] التي أشار صاحب نيل المنى إلى وجودها كما ذكر بعض من الأنشطة العلمية والدينية التي كانت تتم فيها، وهي تطلق على المسجد الصغير أو المصلى أو الركن من أركان المسجد الجامع، وقد أدرك خلفاء المسلمين الأوائل حاجة المعتكفين إلى هذا الانزواء، فأنشأوا لهم مساكن ملحقة بالمسجد. ونشاهد ذلك ماثلاً حتى اليوم ببعض المساجد في مختلف بقاع العالم الاسلامي، ثم تطورت الزوايا فيما بعد إلى أبنية صغيرة منفصلة في جهات مختلفة من المدينة في شكل دور أو مساجد صغيرة تقام فيها الصلوات الخمس، وتعقد فيها الحلقات الدراسية لتحفيظ القرآن وتعليم مباديء علوم الدين والعربية والفكرية، كما يعقد فيها مشايخ الصوفية حلقات الذكر[2].

كما ذكر جار الله بن فهد أن الشيخ عبد المعطي بن محمد بن احمد الصوفي (ت ٩٤٣هـ/١٥٣٦م) نزيل مكة كان يعقد حلقة ذكر مع قلة من الطلبة في زاوية المسجد الحرام[3].

ومنذ القرن العاشر الهجري -السادس عشر الميلادي- انتشرت الزوايا وأنشئت فيها كتاتيب لتحفيظ القرآن وتعليم الدين ومباديء العلوم[4].

---

(١) مفردها زاوية وهي مأخوذة من الفعل "انزوى ينزوي" وهي في الأصل "ركن البناء" وبمعنى: اتخذ ركناً من أركان المسجد. انظر: الفيروز ابادي- **القاموس المحيط**- ص٢٦.

(٢) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة٢١١ب- **نيل المنى**- ص٨٦- ٢٤٤- ٣٨١.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣٦٦.

(٤) الشلي- **السنا الباهر**- ورقة٣٧٨- ٤٢٠.

سادساً: دوْر المنازل في التعليم:

قامت حلقات علمية في منازل بعض العلماء الحجازيين ذكر ذلك جار الله بن فهد أثناء تاريخه للفترة التي نرصدها لمكة تاريخية وحضارية استجابة لرغبة هؤلاء العلماء تبليغ ما لديهم من علم لمحتاجه، ولوجود ظروف أحوال معينة حتمت قيام العالِم بالتدريس في منزله لظروف وأحوال فمنها ما يكون مرض العالِم أو إعاقته دافعاً لتدريسه في منزله، كما حصل للشيخ العلامة المحدث شهاب الدين احمد بن محمد الحرفوش المديني الميك الشافعي (ت ٩٢٦هـ/١٥٢٠م) الذي أصيب في أواخر عمره بمرض ظهر تحت خاصرته اليمنى وانفجر عليه ممادعاه أن يلزم داره ويمنعه من الخروج إلى المسجد للتدريس، فكان طلاب العلم يفدون إليه في منزله، ويتلقون العلم عنه، يقابلهم بطيب خاطر وسعة صدر، "وكان يتحدث الى وقت طلوع روحه وهو متوضيء للصلاة"[١] وممن لزم داره فترة من الزمن فهرع العلماء وطلاب العلم وأناس كثر للسلام عليه أفواجاً فكان يخصص وقتاً لطلاب العلم يبسط لهم في المودة ويحدثهم ويقدم لهم شتى العلوم والمعارف[٢] وهكذا فإن استقبال العلماء لطلابهم في منازلهم تدل على متانة العلاقة بين الشيخ وتلميذه، كما تصور لنا مدى حرص الطرفين على بث العلم وطلبه متجاوزين كل صعوبة قد تقف أمامهم لتحقيق هذا الهدف.

(١) نيل المنى- ص١٠٦.

(٢) المصدر السابق- ص٣١٦.

كما امتاز وزراء الهند بفتح منازلهم وإستقدام العلماء والأدباء والإستفادة من علمهم وكان من ضمن العلماء الذين كان لهم دور في تحريك المعرفة الدينية والثقافية الشيخ شهاب الدين احمد بن حجر المصري وقراءة كتاب الشفاء، وكذلك المؤرخ جار الله بن فهد وقراءته صحيح البخاري في منزل الوزير آصف خان الذي أغدق عليهم بالهدايا والمبالغ المجزية مكافأة لما قدموه من علم وذلك عام ٩٤٣هـ/١٥٣٧م(١).

---

(١) **نيل المنى**- ص٣٦٩.

طرق التعليم:

تعددت طرق التعليم تبعاً لاختلاف مستويات الطلاب، وتنوع المواد التي تدرس، ولما كانت طرق التعليم هي الأساليب العملية التي تنفذ بها أهداف التعليم وغاياته، فلا بد لمن يتولى التعليم أن يختار منها ما يساعده على الوصول إلى الأهداف المتوخاة من التعليم.

ولقد ذكرت لنا المصادر المكية كثيراً من هذه الطرق ومن أبرزها كتاب (نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة اتحاف الورى) الذي كان يرصد لنا الحياة السياسية والاجتماعية بمكة ولقد كان تدريس الحديث وروايته هو الأصل الذي قامت عليه الحياة العلمية عند المسلمين في القرون الاولى فقد حرص علماء الحديث على نقل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل دقة وأمانة، وحددوا ثماني طرق لتحمل الحديث وأدائه(١).

ومع ظهور الاهتمامات العلمية في أفرع العلم المختلفة، غدت طرق المحدثين في الرواية هي المتبعة في تحصيل أغلب العلوم، وخاصة ما له اعتماد على الرواية كالعلوم الشرعية وعلوم اللغة العربية والأخبار التاريخية وتداول العلماء كتب العلم المختلفة رواية بإحدى هذه الطرق، وكثيراً ما نجد كتباً ألفت في القرن الثالث أو الرابع مثلاً يرويها العلماء في هذا العصر بسلسلة السند المتصل إلى مؤلفيها.

---

(١) هذه الطرق هي: السماع من الشيخ، القراءة عليه، المناولة، الكتابة، الاجازة، الاعلام للطالب بأن هذه الكتب من مروياته، وصية الشيخ بكتبه للطالب، الوجادة أي وقوف الطالب على خط الراوي- القاضي عياض بن موسى- **الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقليد الاسماع**- تحقيق احمد صقر- ط٢- القاهرة- مكتبة التراث- ١٣٩٨هـ- ص٦٨.

ومن طرق التعليم نذكر ما يلي:

أولاً: السماع:

وهو ان يسمع الطالب من لفظ شيخه، فالشيخ بهذه الطريقة يلقي ما لديه من علم، والطالب يستمع الى حديث شيخه، فهي بهذا المعنى القائية إذا راعينا جانب الشيخ، وسماعاً بمراعاة جانب الملتقي الذي هو الطالب.

وهذه الطريقة ظهرت نتيجة اهتمام الرعيل الأول من علماء المسلمين بالحديث النبوي وروايته وتوثيق إسناده ووجدوا فيها الطريقة المثلى لحفظ الحديث ونقله بين المسلمين، وخاصة عندما لم تكن الكتابة والتدوين قد انتشرا بين المسلمين(١).

ويعتبر السماع من الشيخ، سواء أكان الطالب يستمع دون كتابة أم كان سماعه معززاً بتدوين المادة العلمية التي يلقيها الشيخ(٢).

وإذا حاولنا تتبع المراحل التاريخية للسماع فإننا نجد أن السماع كان في البداية تحديثاً دون إملاء وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يكتب عنه شيء غير القرآن(٣)، ولكن عندما انتشر القرآن وكثر حفظته ودون في المصاحف انتفت العلة من النهي السابق، وأصبح السماع تحدثاً وإملاءً ومع

---

(١) محمد غنيمه- **المصدر السابق**- ص١٨١.

(٢) القاضي عياض- **المصدر السابق**- ص٦٩- **نيل المنى**- ص١٨-٣٦-٤٧.

(٣) روى مسلم في صحيحه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه﴾ ج٣- ص١٦٨.

توالي العصور الإسلامية، وما ترتب على ذلك من طول الأسانيد، وكثرة المؤلفات في أفرع العلم المختلفة، وجدت الحاجة إلى التدوين لأن ذلك دعاة لنشر العلم بين الناس في مختف الأمكنة والعصور(١).

وعلى كل حال فإن التحديث المصاحب بالإملاء، أعلى صور السماع منزلة وأدعى إلى الثقة في المادة العلمية المحصلة، لأن الشيخ والطالب كليهما يكونان بعيدين عن الغفلة، كما أن المقابلة التي تجرى في العادة بين أصل الشيخ وما كتبه الطالب مدعاة للاطمئنان على صحة النص ومطابقته للأصل(٢).

نال الحديث عناية خاصة من العلماء المكيين فعقدوا المجالس لاسماعه وكان بعضهم يتخذ مواسم معينة كشهر رمضان حيث يفد الطلاب من مختلف المدن الإسلامية لحضور هذه المجالس، وكانت أعداد الطلاب تزداد تبعاً لمكانة الشيخ وعلو اسناده، كما أن لأهمية الكتاب أو الكتب التي تسمع في هذه الحلقات دور في اجتذاب الطلاب إلى تلك المجالس(٣).

ويشير جار الله بن فهد إلى أهم كتب الحديث التي كانت تدرس بقوله: كان موطأ الإمام مالك وصحيحا البخاري ومسلم وجامع الترمذي من أظهر المصنفات الحديثية التي يغلب تدريسها في مجالس السماع(٤)، وكان بعض

---

(١) القاضي عياض- **الالماع**- ص١٤٩.

(٢) الخطيب البغدادي- **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**- ج١- ص٢٧٥- رفعت عبد المطلب توثيق السنة في القرن الثاني الهجري- الطبعة الاولى- القاهرة- مكتبة الخانجي- ١٤٠٠هـ- ص١٨٥.

(٣) ابن الأبار- **التكملة**- ج٢- ص٨٦٧.

(٤) **نيل المنى**- ص٨٦-٩١-١١٥.

العلماء لا يقتصر في إسماعه على مصنف واحد، بل يراوح في المجلس الواحد بين مصنفين.

فقد ذكر جار الله بن فهد قائلاً: ((في صبح الأربعاء ثاني الشهر سمعت، وإبنتي سيدة الكل حاضرة في الثالثة على الشيخ العلامة سراج الدين عمر بن ابي السعود بن ظهيره القرشي، المسلسل بالأولية))[1].

و لم يقتصر استخدام طريقة السماع على حفظ نصوص الحديث، بل كان السماع من الطرق التي اتبعت في تدريس العلوم الاخرى كعلوم القرآن والفقه وأصوله وعلوم اللغة العربية وآدابها، ولا بد لمن يتولى القراءة بين يدي الشيوخ من توفر صفات ومميزات معينة لكي يقوم بما أوكل إليه على الوجه الأكمل، ذلك أن مهمة القاريء في الحلقة هي إيصال النص- بقراءته قراءة صحيحة- إلى الشيخ والى السامعين على حد سواء، ولذلك فلا غرو أن نجد الاهتمام باختيار القاريء الذي يتميز بالنباهة والفصاحة وجهارة الصوت[2] وأن يكون على دراية بأنواع الخطوط حتى يستطيع تجنب الخطأ أو التصحيف، كما أن سعة ثقافة القاريء تبعده عن الخطأ في نطق بعض الألفاظ التي تعرض له أثناء قراءته[3].

---

(١) **نيل المنى**- ص١٧٢.

(٢) **المصدر السابق**- ص٨٦-١٤٩٧.

(٣) ابن فرحون- **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**- ج٢- تحقيق محمد الاحمدي- القاهرة- دار التراث- ١٩٧٢م- ص٢٥٧.

ثانياً: القــــراءة:

حقيقة أن هذه الطريقة مستمدة من لفظها، فهي قــراءة الطـالب علـى الشـيخ حفظاً من قلبه أو من كتاب ينظـر فيـه، أو قـراءة غـيره وهـو يسـمع، وتعتـبر القراءة- بهذا المفهـوم- سـواء أكـان الشـيخ يحفـظ مـا يقـرأ عليـه أم يمسـك أصله[1].

وعلى كل حال فإن علماء الحديث يفاضلون بين تلك الصـور فأعلاهـا تلـك التي تعتمد على الأصل المكتوب سواء من جانب الطالب القــاريء أو الشـيخ المستمع[2] فقراءة الطالب من كتاب في حين يكون الشيخ ممسك أصله أثبـت في الرواية لاعتماد الشيخ -في تقويمه لقـراءة الطـالب- علـى حاسـتي السـمع والبصر[3] كما يتم من خلال هذه الصورة مقابلة نسخة الطالب بأصل الشيخ.

ويذهب معظم علماء الحديث إلى أن القراءة دون السماع فهي تليه في المرتبـة الثانية ويرى الإمام مالك التسوية بينهما بل يروي عنه قول آخر يـرى فيـه أن القراءة أرفع من السماع، وتعليل مالك لمذهبه هذا بأنه في حال قـراءة الشـيخ وسماع الطالب ربما سها الشيخ أو غلـط فيمـا يقـرؤه فـلا يـرد علي الطـالب السامع، إما لأنه جاهل لا يتهدي للرد أو لهيبته لشيخه، أو يكون غلط الشيخ في موضع فيه خلاف فلا يرده عليه لظنه أن هذا هو مذهـب الشـيخ فيحمـل

---

(١) **نيل المنى**- ص٤٨-٢١٧- القاضي عياض- **الألماع**- ص٧٠.

(٢) جلال الدين السيوطي- **تدريب الراوي في تقريب النواوي**- ج١- القـاهرة- دار الكتـب الحديثـة- د.ت- ص١٢.

(٣) **نيل المنى**- ص٤٨-٣١١- القاضي عياض- **المصدر السابق**- ص٧٦.

الخطأ صواباً[١] ، بينما يستبعد حصول هذه الأحوال إذا كان الطالب هو الذي يقرأ لأن الشيخ سيكون فارغ الذهن ومتيقظاً لقراءة الطالب فيرد عليه الخطأ، وقد يرد عليه أيضاً غير الشيخ ممن حضر قراءته لأنه لا هيبة للطالب، كما لا يعد لطالب العلم المبتديء مذهب في المسائل الخلافية ولذلك فرد الخطأ عليه في هذه المواطن ممكن[٢] .

وإذا أراد الطالب أن يؤدي علماً أخذه عن شيوخه بهذه الطريقة فعليه أن يوضح صورة أخذه فيقول: "قرأت على الشيخ وهو يسمع" إذا كان القاريء غيره كما حدث عندما قرأ المحبي كتاب الشفاء للقاضي عياض في شهر رمضان على عمه قاضي القضاة الشافعي الصلاحي إبن ظهيره[٣] وذهب بعض العلماء الى جواز استعمال الصيغ الخاصة بالسماع كحدثنا، وأخبرنا، وسمعت، لأنهم يساوون بين القراءة والسماع، بينما منع آخرون استعمال هذه الصيغ على إطلاقها، بل لا بد من تقييدها بلفظة القراءة فيقول الراوي: حدثنا الشيخ قراءة عليه، أخبرنا قراءة عليه، أو سمعت من الشيخ قراءة عليه.

ويذكر جار الله بن فهد نصاً يدل على قراءته على شيخه: ((... قمت بالقراءة على قاضي القضاة شيخ الإسلام الجلالي أبي السعادات المالكي ثلاثيات صحيح البخاري، وبعض الموطأ رواية يحيى بن يحيى))[٤] .

---

(١) القاضي عياض- **المصدر السابق**- ص٧٤.

(٢) **المصدر السابق**- ص٧٤-٧٥.

(٣) ابن الصلاح- **مقدمة في علوم الحديث**- ص١٢٢-١٢٣- صبحي الصالح- **علوم الحديث ومصطلحه**- الطبعة الاولى- بيروت- دار العلم للملايين- ص٩٥- **نيل المنى**- ص٣٦.

(٤) **المصدر السابق**- ص١٦٠.

أساليب التقويم:

عرفت الحياة العلمية المكية أساليب متعددة لتقويم التحصيل العلمي لطالب العلم، ولا شك أن هذه الأساليب تختلف في قيمتها وأهميتها بالنسبة لتحديد مكانة العلم واتقانه لعلمه وبراعته فيه.

وتحدثنا كتب المؤرخين[1] أنه لم يكن في نظام التدريس في الحرم المكي إمتحان أو شهادات دراسية يحصل عليها طلبة العلم لمعرفة مدى تحصيلهم للعلم، وجلّ ما في الأمر "إجازة علمية" يمنحها الشيخ تلميذه، ليصبح أهلاً للتعليم، وكان علماء الحرم المكي يتبعون في منح هذه الإجازات التقاليد العلمية التي وجدت في المجتمع الإسلامي منذ القرون الأولى للهجرة، وكان هؤلاء الشيوخ في مقام رفيع من إحترام الناس وإجلالهم، وغالباً ما يحصل التلميذ على إجازات عدة من شيوخه.

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- النجم بن فهد- **اتحاف الورى**- العز بن فهد- **غاية المرام**- **بلوغ القرى**- جار الله بن فهد- **نيل المنى**- النهروالي- **الاعلام**.

الإجـــازات العلمية

الإجـازة مصـدر أجـاز، وفي القـاموس أجـاز لـه سـوغ لـه، واسـتجاز طلـب الإجازة أي الأذن[1].

والإجازة في الإصطلاح هي عبارة عن اذن الشيخ لتلميذه ليروى عنه مروياتـه أو مؤلفاتـه[2] وأركانهـا أربعـة: المجيز، والمجـاز لـه، ومـادة الاجـازة، ولفـظ الاجازة، وهذا الركن الأخير إما أن يكون مشافهة أو كتابة[3].

وعندما يرصد لنا جار الله بن فهد اشكال الحياة الثقافيـة بمكـة يحدثنـا حديثـاً شيقاً عن الاجازات الدراسية وطرقها وكيف أجيز في روايـة بعـض المؤلفـات أما أساليب كتابة الاجازات كما شاهدها.

والاجازة على أنـواع حددهـا علمـاء الحديـث، وأوردوا الآراء حـول صحـة وحجية هذه الأنواع، تبعاً لتوفر الأسس والقواعد التي وضعوها توثيقـاً للسـنة وحرصاً على نقلها بين المسلمين كما رآها وسمعها صحابة رسـول الله صلى الله عليه وسلم وسنحاول أن نستعرض من هذه الأنواع ما له أمثلة من واقـع الحياة العلمية المكية في هذا العصر[4].

---

(١) الفيروز ابادي- **القاموس المحيط**- الطبعة الثانية- القاهرة- ١٣٧١هـ- ج٢- مادة جاز- ص١٧٦.

(٢) ورد تعريف الاجازة في كتب علوم الحديث، انظر على سبيل المثال: الخطيب البغدادي: **الكفاية في علم الرواية**- الطبعة الاولى- القاهرة- دار الكتب الحديثة- د.ت- ٤٦٦- السيوطي- **التدريب**- ج٢- ص٤٢- صبحي الصالح- **علوم الحديث ومصطلحه**- ص٩٥.

(٣) **نيل المنى**- ص١٥٤.

(٤) القاضي عياض- **الالماع**- ص٨٨- عبد الله فياض- **الاجازات العلمية عند المسلمين**- الطبعة الاولى- بغداد- ١٩٦٧م- ص٢١.

إجازة معين في معين:

أي يكون المجاز له معيناً والمادة المجاز بها معينة، وهذه أعلى أنواع الاجازات، لأن أركان الإجازة الأربعة متوفرة فيها وذلك كأن يقول الشيخ لتلميذه: "أجزت لك أن تروي عني صحيح البخاري"[1]. كما ذكر جار الله بن فهد ((حدثت بمؤلف في أرض عرفات واسمه "القول المبرور في فضل عرفة والدعاء بها المأثور" سنة ٩٢٦هـ/١٥١٩م وسمعه وأجزت لهم))[2].

إجازة معين في غير معين:

وذلك مثل أن يقول الشيخ: "أجزت لك أو لفلان رواية مسموعاتي ومؤلفاتي ومالي من نظم ونثر" دون أن يحدد هذه المسموعات والمؤلفات فينقص هذا النوع من الإجازة ركن من أركانها الأربعة أو كما أجاز له قاضي الشرق الشيخ محمد بن رقرق لمن حضر مجلسه ومن ضمنهم جار الله بن فهد بالرواية كثلاثيات إبن ماجه وصحيح البخاري وما أنشده من لفظه من نظمه ونظم غيره[3].

---

(١) الحسين الطيبي- **الخلاصة في اصول الحديث**- تحقيق صبحي السامرائي-بغداد- رئاسة ديوان الأوقاف العراقية- ١٣٩١هـ- ص١٠٦- السيوطي- **التدريب**- ج٢- ص٢٩.

(٢) **نيل المنى**- ص١٥٤.

(٣) **المصدر السابق**- ص٢٣٠.

ولذلك كانَ قبول هذه الاجازة من عدمه مثار خلاف بين العلماء فمنعها قوم، وتوسع آخرون فقبلوها[1] .

الاجاة العامة:

وفي هذا النوع من الإجازة لا يحدد الشيخ المجيز لا الشخص المجاز له ولا المادة المجازة، وذلك كأن يقول: "أجزت للمسلمين أو لكل من أدرك حياتي" فهي تنقص ركنين من أركان الإجازات الأربعة، وهي في الحقيقة تمثل انحداراً في القيمة العلمية للإجازة[2] ، فأصبحت بانتشار هذا النوع منها وكأنها لا ضابط لها، وهناك أنواع أخرى ضربنا عنها صفحا لضعفها ولعدم وجود أمثلة لها في هذا العصر موضوع دراستنا.

---

(١) القاضي عياض- **الالماع**- ص٩٠- وما بعدها- ابن الصلاح- **ادب المفتي والمستفتي**- ص١٣٦- صبحي الصالح- **المرجع السابق**- ص٩٦.

(٢) **نيل المنى**- ص٨٦-٩١-٢٣١-٢٦٤-٣٩٢-٤٣٢.

أساليب كتابة الإجازات:

الأولى: الاجازة الشفهية، وهذه في الغالب تكون إيجاباً لطلب المستجيز فالمستجيز هو الذي يحدد المادة التي يطلب الإجازة لها، وما على الشيخ في حالة اقتناعه إلا أن ينطق بالاجازة، ويعتبر العلماء الاجازة بالمشافهة أوثق طرق الإجازة(١) وذلك لأنها تستلزم اللقاء المباشر بين الشيخ وتلميذه(٢).

الثانية: الإجازة التحريرية أو المكتوبة، وقد كانت طريقة كتابة الإجازة في أول الأمر لا تتعدى توقيعاً مختصراً يكتبه الشيخ يثبت أن الطالب المجاز له قد أخذ عنه المادة موضوع الإجازة، والغالب أن يكون هذا التوقيع مثبتاً على الكتب المراد اجازتها، وفي صفحة العنوان منها، وكثيراً ما نجد في المخطوطات القديمة إجازات الشيوخ لتلاميذهم(٣) وقد تتعدد الاجازات حتى تزدحم صفحة العنوان بل قد تكتب في هوامش الكتاب، ولكن هذه الطريقة المبسطة لكتابة الإجازة لم تستمر هي الغلبة في العصور المتأخرة، فقد ظهرت الاجازات المطولة المنفصلة عن الكتب، وأصبح المجال متاحاً للتفنن في اختيار المواد التي تكتب عليها، فأختير لها أفضل الروق وأغلاها كما حرص العلماء على تحسين خطها واستخدام ماء الذهب في كتابتها.

---

(١) محمد الصباغ- **الحديث النبوي ومصطلحه**- ص١٧٦.

(٢) **نيل المنى**- ص١٦٠.

(٣) صلاح الدين المنجد- **اجازات السماع في المخطوطات القديمة**- مقالة نشرت في مجلة معهد المخطوطات العربية- المجلد الاول- الجزء الثاني- لسنة ١٩٥٥م- ص٢٣٢.

أما الأساليبُ فقد أغرقوا في تزويق عباراتها وإضفاء الألقاب المتكلفة على من أعطيت له.

و لم يستطع الباحث أن يجد نصاً إجازياً في عصر المؤلف مما جعلنا نعتمد على نص آخر كتب في القرن التاسع الهجري وهي فترة قريبة في العهد بجار ا لله ويبدو لنا أن نصوص الإجازات قريبة من بعضها و لم تتغير كثيراً.

وسأورد ما يلي نصاً لإحدى الإجازات التعليمية التي أعطاها أحد علماء المدينة المنورة الشيخ الوانوغي لمؤرخ مكة الشيخ تقي الدين الفاسي.

((كان ممن اجتمعت به وذاكرته... القاضي تقي الدين محمد بن الشيخ الحسيب الأصل شهاب الدين احمد بن علي الفاسي. وقد ورد علينا بالمدينة الشريفة، وحضر معنا درس الفقه والأصول. وأبدى فيه من فؤاده ومباحثه الجليلة ما يليق بعلمه وفضله على طريقة أهل الفنون والمباحث فرأيته في ذلك كله، أهلاً للتدريس والفتوى، والحكم، وإفادة الطالبين على ما جبل عليه من حسن الفهم وحسن الإيراد وسعة البال في البحث والمراجعة فيه. فأوجب ذلك[1].

(١) تقي الدين الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص٢١٠.

الألقـــاب العلمية

ولقد رأينا فيما سبق أن الإجازة لا تتعدى أن تكون إذناً مـن الشيخ لتلميذه في الرواية عنه، وهي وإن كانت في بعض صورها تأتي بعد التلقي المباشر مـن الشيخ، إلا أنها خاصة بعد التوسع في منحها لا تبين درجـة علميـة، وليست دليلاً مؤكداً على أن من حصل عليها أتقن العلم الذي حصله، ومنحت له هذه الاجازة به، وبعبارة أخرى فإن الاجازة تعني ترخيصاً علمياً يفتح الطريق أمام طالب العلم للدخول في ميادين البحث والدرس.

عرفت الحياة العلمية الإسلامية مقـاييس أدق لبيـان درجـة العـالم ومكانتـه في علمه، ومدى إجادته له وحجته فيه، تلك هي الألقاب العلمية. وكان صاحب كتاب نيل المنى مؤرخنا لماحاً لما شاع في زمانه من ألقاب علمية تطلق على العلماء والفقهاء والمحدثين فيذكر لنا هذه الألقاب التي كانت تطلق على علماء زمانه.

والألقاب العلمية مصطلحات تداولها العلماء فيما بينهم ليعبروا بها عن تفاوت المكانة العلمية بين عالم وآخر، وهي لا تعطى بطريق الامتحان العام أو الخاص، بل إن مكانة العالم في علمه والتي يكونها لنفسه ويشتهر بها في المجتمع وبين المشتغلين بالدراسة والبحث هي التي تهيؤه لحمل اللقب العلمي الذي يناسبه ويدل على قدره.

إن الدارس لتراجم العلماء ليلاحظ أن الكثير منهم لقب بأكثر من لقب ونلاحظ أن معظم الألقاب العلمية التي عرفتها الحياة العلمية في مكة المكرمة

كغيرها من أقطار المسلمين تخص العلوم الشرعية وتفاوت مكانة العلماء في هذا الفرع أو ذاك من تلك العلوم وذلك لأن تلك الألقاب مصطلحات تعارف عليها علماء هذه العلوم وخاصة علماء الحديث فلديهم القاب تتميز بالدقة في معظم الأحيان يطلقونها على كل من وصل إلى درجة معينة في هذا العلم.

ونود أن نشير هنا إلى أننا سنأخذ في الاعتبار -عند ترتيبنا لهذه الألقاب- شرف العلم، فنقدم منها ما يخص القرآن الكريم أولاً ثم الحديث وهكذا...

١- المقريء:

هو من له الاحاطة لعلم القرآن وتجويده وذلك بأن يكون عالماً بالقراءات عارفاً بقواعدها نظرياً مستطيعاً تطبيقاً تلاوة، كما لا بد أن يكون لديه علم بتفسير القرآن ومعانيه وإعرابه[١]. ولقد ذكر لنا جار الله أخبار عدد كبير من مقريء عصره والألقاب التي اطلقت عليهم.

وُجد عدد كبير من العلماء من غلب هذا اللقب على ألقابهم الأخرى وذلك مثل المقري شهاب الدين محمد النوري الحلي قاري الحديث (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م)، ولد بمكة وأخذ عن علمائها ودرس بالحرم الشريف واشتهر امره وعلا ذكره واشتهر بالصلاح والتقوى أصيب بمرض في أواخر

(١) عثمان بن سعيد الداني- **التيسير في القراءات السبع، استانبول**- جمعية المستشرقين الألمانية- ١٩٣٠م- ص هـ من المقدمة- ص٣- انظر كذلك علي الضباع- **ارشاد المريد شرح الشاطبيه**- القاهرة- مصطفى البابي الحلبي- ١٣٤٩هـ- ص٣-٤.

عمره حيث تحركت عليه دموية فأدخل المارستان المنصوري ومات في عشية يومه فجهز ودفن في المعلاة وخلّف كتباً كثيرة[١] .

ويعتبر المقريء ابو حامد محمد بن عمر أبي بكر المرشدي (ت٩٢٦هـ/١٥٢٠م) من عائلة مكية قديمة مشهورة بالعلم لازم أباه وأتقن كثيراً من الفنون درس بالحرم الشريف وأخذ العلم عن عدد من العلماء وقد اشتهر بالفقه والعلوم الإسلامية الأخرى أصيب بالحمى في أواخر عمره وأدت إلى وفاته وشيعه خلق كثير لأعماله الخيرية وحسن خلقه وأدبه[٢] ، والمقريء الجمال محمد بن بركات (ت ٩٢٤هـ/١٥١٨م) يعتبر من القرائين الأدباء واللغوين الفصحاء واشتهر بمعرفة المعاني كان كثير الطواف والصلاة يتمتع بالمروءة وحسن الخلق ولطف المعاشرة دفن بمكة بالمعلاة وأوقف كتبه للأيتام[٣] .

٢- الحافظ:

وهو مشتق من الحفظ والمشهور أنه من ألقاب المحدثين وهو أعلى الألقاب لديهم، ولكن قد يستخدم في العلوم الأخرى بالنظر لاشتقاقه اللغوي العام[٤].

---

(١) **نيل المنى**- ص٦٨.

(٢) **المصدر السابق**- ص١٠٥.

(٣) **المصدر السابق**- ص٢٦.

(٤) عرفت العلوم الأخرى -عدا الحديث- هذا اللقب، ولكن الطريقة التي يرد فيها هذا اللقب تحدد لنا المقصود منه فإذا وصف أحد الرجال بالحفظ دون تقييد انصرف الى مفهومه عند المحدثين ولذلك فلا بد من تقييده بالعلم المراد حتى لا يفهم منه المعنى المعروف عند المحدثين- الآبار- **التكملة**- ج٢- ص٥٤٢.

اختلف المحدثون في تعريفهم للحافظ، فقد سُئل الحافظ ابو الحجاج المزي[1] عن حد الحفظ الذي اذا انتهى اليه الرجل جاز أن يطلق عليه لقب الحافظ فقال "من كان الرجال الذين يعرفهم أكثر من الذين يجهلهم"[2] .

عاش في هذا العصر عدد كبير من العلماء الحجازيين برزوا في علم الحديث وكانوا من الحفاظ، ومن أشهرهم الحافظ جار الله بن فهد الذي نؤرخ لمكة من خلال مؤلفه القيم نيل المنى فقد كان بارعاً في غريب الحديث، عارفاً بعلله واقفاً على رجاله، ولم يكن في مكة المكرمة من يجاريه فيه، ووصفه معاصروه بأنه أعلم أهل طبقته بصناعة الحديث وأبرعهم في ذلك[3] .

ومن أعلام الحفاظ بالحجاز قاضي القضاة الشافعي الجمالي أبي السعود بن ظهيره من علماء عصره الكبار فقد أخذ العلم وقرأ الكتب العديدة واصبح ناظر المسجد الحرام وظهرت له مواقف عظيمة في فعل الخير والمبرات والنهي عن المنكر فقد كان حافظاً للحديث مميزاً لصحيحه من سقيمه واقفاً على أحوال رجاله وطبقاتهم، ضابطاً لما يحدث به، عارفاً بما قيل وروي عدلاً جيد الفهم، متسع الرواية ودفن بمكة.

---

(١) هو ابو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن، ولد في حلب سنة ٦٥٤هـ مهر في الحديث ومعرفة رجاله وكان محدث الديار الشامية في عصره، له مؤلفات عدة في علوم الحديث ورجاله، توفي في دمشق سنة ٧٤٢هـ. ابن خليفة- **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**- ج٤- ص١٨٦.

(٢) الونشريشي، احمد بن يحيى- **المعيار المعرب**-ج١١- اشراف محمد حجي- بيروت- ١٤٠١هـ- ص٦.

(٣) ابن الديبع – **الفضل المزيد على بغية المستفيد**- ص٢١٥- ابن طولون- **مفاكهة الخلان**- ج٢- ص١٧.

٣- المحدث:

اختلف السلف في تعريف المحدث، فعلماء الحديث في العصور الاولى عرفوه بالحد الأعلى له، فالمحدث عندهم مرادف للحافظ، أما المتأخرون فالمحدث عندهم أقل رتبة من الحافظ فهو "من اشتغل بالحديث رواية ودراية وجمع رواته واطلع على كثير من الرواة والمرويات في عصره وتميز في ذلك حتى عرف فيه حظه واشتهر في ضبطه"(١) .

ونلاحظ أن هذا التعريف للمحدث يبعده عن مرادفته للحافظ فهو -أي المحدث- من اطلع على كثير من الرواة والمرويات في عصره، بينما لا يصل إلى درجة الحافظ إلا من عرف شيوخه وشيوخ شيوخه فمن قبلهم من طبقات المحدثين بحيث يكون ما يعرفه من كل طبقة أكثر مما يجهله(٢) .

وهكذا يتبين لنا من حد المحدث والحافظ أنهما متقاربان لا مترادفان، وأن طالب العلم يحصل على لقب محدث في مراحل طلبه للعلم، والبعض منهم يواصل تحصيله ويتوسع في الطلب حتى يصل إلى مرحلة الحفظ ويصبح في عداد الحفاظ ولذلك نستطيع القول إن كل الحفاظ كانوا في بعض مراحل طلبهم.

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي- **قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث**- تحقيق وتعليق محمد بهجة البيطار- الطبع الثانية- القاهرة- دار إحياء الكتب الحلبية- ١٣٨٠هـ- ص٧٧.

(٢) عبد الوهاب عبد اللطيف- **المختصر في علم رجال الاثر**- الطبعة الثامنة- القاهرة- دار الكتب الحديث- ١٣٨٦هـ- ص٦٩.

ومن لقب بالمحدث المشهور -وببعض الألقاب التي اشتهرت في ذلك العهد- ما سجله جار الله بن فهد في كتابه في حوادث عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م ((في مغرب ليلة الأربعاء ثامن عشر مات شيخنا العلامة المحدث المفيد بقية السلف شهاب الدين احمد بن محمد المدينين المكي الشافعي بعد موته بمكة سنة... ودفن في المعلاة))[١].

ويعتبر من المبرزين في علم الحديث إمام الحنفية المحدث شهاب الدين احمد بن محمد الحسني البخاري[٢].

ومن ألمع المحدثين الذين أوردهم جار الله بن فهد الشيخ المحدث شهاب الدين احمد بن حجر المصري الذي حظي بمكانة مرموقة لدى شريف مكة أبي نمي ولوزير الهند آصف خان حيث كان يستضيفه لقراءة صحيح البخاري والشفا بتعريف حقوق المصطفى وغيرها من كتب العلوم الدينية ويضيف جار الله بن فهد نصاً آخر يذكر فيه مرض ابن حجر وأن ((سبب وجعه كثرة اجتهاده في القاء الدروس ليلاً ونهاراً في المسجد الحرام وإجتماع العامة عليه وصار له شهرة أدى ضررها إليه))[٣].

---

(١) نيل المنى- ص١٠٦.

(٢) المصدر السابق- ص٢٩.

(٣) المصدر السابق- ص٣٧٠.

٤- المسند:

وهو اقل الألقاب عند المحدثين درجة، ويطلق على من يروي الحديث بإسناده سواء كان عنده علم به، أم ليس له إلا مجرد روايته.

وهذا اللقب يحصل عليه طالب العلم في بدايات تحصيله العلمي، إذ الغالب أن يبدأ الطالب في مراحل تحصيله الأولى في تكوين حصيلة من النصوص الحديثية تكون متعددة في دراساته المستقبلية وذلك لأن دراسة العلوم الشرعية تعتمد على نصوص الكتاب والسنة، ولهذا فإن المسند يطلق عليه في بعض الاحيان، الطالب أو المبتديء أو الراوي[1].

و لم نجد أن هذا اللقب قد أطلق على شخصية علمية من الشخصيات التي أوردها جار الله بن فهد في ثنايا كتابه نيل المنى.

٥- الإمام:

الإمام في اللغة مأخذو من أمّ القوم وأمّ بهم أي تقدمهم، فهو "مائتُم به من رئيس وغيره"[2] ومعناه القدوة ولذلك سُمي من يتقدم الناس في الصلاة إماماً لأن المأمومين يتبعونه ويقتدون به[3].

---

(١) محمد جمال الدين القاسمي- **قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث**- ص٧٦.

(٢) ابن منظور- **اللسان**- ج١- مادة: أمم.

(٣) ابن خلدون- **تاريخه**- مجلداً- ص٣٣٩- حسن الباشا- **الألقاب الاسلامية**- ص١٦٦.

كما اطلق هذا اللقب على من يلي أمور المسلمين روى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع ومسئول عن رعيته... إلى آخر الحديث﴾[1].

واستناداً إلى المعنى اللغوي للإمامة وهو القدوة، فقد استعملت لظفة (إمام) في الحياة العلمية فصارت تطلق على كل عالم برز في علم أو أكثر وكان قدوة في العلم أو العلوم التي يحملها، بحيث يصبح المرجع لعلماء عصره يرجعون إليه في حل المسائل العلمية في مجال تخصصه. وقد ذكر لنا جار الله بن فهد كثيراً من العلماء الذين اطلق عليهم هذا اللقب العلمي.

فلقد حمل هذا اللقب عدد كبير من العلماء في هذا العصر من مختلف التخصصات العلمية، فممن كانت له الامامة في علم القراءات والتجويد... الإمام الشيخ المقريء الصالح شهاب الدين احمد بن محمد الكيلاني (ت٩٣٨هـ/١٥٣٢م) اشتهر بعلمه وورعه والمامه بالقراءات على الأحرف السبع وتصدر المقرئين وإمام المجودين[2].

كما كان تلميذه الشيخ المقريء يوسف العجمي مبدعاً في علم القراءات ونهج منهج شيخه بل فاقه في حسن الصوت ورخاوته[3].

كما كان الامام خير الدين أبي السعادات الطبري المكي الشافعي المشهور بعلمه خاصة في الفقه الشافعي بالإضافة إلى أنه جمع بين الأدب واللغة

---

(١) البخاري- **صحيح البخاري**- ج٢- ص١٩٨.

(٢) **نيل المنى**- ص٩٩.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣١٠.

والتاريخ ولعُ بالعلوم الشرعية وبرع فيها وكان ذكياً وله علاقات حميمة مع الأشراف والأعيان متواضعاً مع طلبة العلم رحيماً بالفقراء(١) .

ومن الأئمة في المذاهب إمام الحنفية السيد العلامة الصالح عفيف الدين عبد الله بن حمد البخاري الحنفي وشيخ المدرسة الحلجية كانت له علاقة مع قضاة وفقهاء وعلماء مكة المكرمة اشتهر بالفقه الحنفي ودرس في المسجد الحرام وتتلمذ على يديه كثير من طلاب العلم فكان يدرس في بيته إذا دعي الأمر(٢) .

٦- الفقيه:

الفقه لغة: العلم بالشيء والفهم له(٣) وهو عند الأصوليين "العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية(٤) فالفقيه إذاً هو العالم بالأحكام الشرعية.

يطلق لقب فقيه من الناحية العلمية على فئتين من الفقهاء:

١- الفئة الاولى: وهم المجتهدون المحققون الذين يقيسون الفروع على الأصول، وينظرون إلى قوة الأدلة دون أن يقصروا أنفسهم على مذهب معين(٥) .

---

(١) **نيل المنى**- ص٦٠.

(٢) **المصدر السابق**- ص١٨٨.

(٣) ابن منظور- **لسان العرب**- ج١٠- ص٢١٣.

(٤) عمر بن عبد العزيز- **التعريف بالفقه**- بحث نشر في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة- الرياض- العدد الاول- السنة الاولى- ١٤٠٩هـ- ص١٧٣.

(٥) ابن الصلاح- **ادب المفتي والمستفتي**- تحقيق موفق بن عبد القادر- المدينة المنورة مكتبة العلوم والحكم- ١٤٠٧هـ- ص٨٦.

٢- الفئة الثانية: وهم أقل درجة من الفئة السابقة، وهم الذين يقتصرون في دراساتهم الفقهية على مذهب معين[(١)] .

ولقد استحق هذا اللقب كثير من الفقهاء الذين عاصرهم صاحب نيل المنى في الفترة التي نؤرخ فيها.

فمنحهم الفقيه الأصيل المفتي نجم الدين محمد (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م) ولقد وصفه جار الله بن فهد أنه ((يعتبر مفتي للمسلمين وعين الزهاد والمدرسين))[(٢)] .

وكذلك الفقيه العدل شهاب الدين احمد الصيرفي (ت ٩٢٥هـ/١٥١٩م) امتاز بسعة إطلاعه وإلمامه بالأصول ومعرفته بالعلوم الدينية واللغة العربية[(٣)] .

ويعتبر الفقيه ابو الخير بن حسن بن عطيه النجمي محمد بن فهد الهاشمي المكي (ت ٩٢٤هـ/١٥١٨م) من ألمع وأبرز الفقهاء واشتهر بتواضعه وسعة علمه وإطلاعه ومحاوراته[(٤)] .

٧- الشيخ:

هذا اللقب من الألقاب التي اختص بها العلماء ويختلف مفهوم هذا اللقب باختلاف سياق وروده فطالب العلم يطلق على من درسه بأنه شيخه، دون اعتبار للتخصص الذي درسه عليه، وهو بهذا المفهوم لا يدل على مكانة

---

(١) ابن الصلاح- **المصدر السابق**- ص٩١.

(٢) **نيل المنى**- ص١٠٧.

(٣) **المصدر السابق**- ص١٠٨.

(٤) **المصدر السابق**- ص٢٨.

علمية لأنه يغلب عليه صفة العموم، ورد هذا اللقب -كلقب خاص- مضافاً إلى علماء في علم معين، فهو بهذا يدل على رئاسة علمية، حصل عليها بعض العلماء لشهرتهم في هذا العلم أو ذاك. وقد أطلقه جار الله بن فهد على بعض علماء عصره عندما أرخ لهم في كتابه فقال: ومن أشهرهم الشيخ ابي الفضائل بن الفضائل بن الضياء الحنفي درس بالحرم الشريف وبرع في شتى العلوم الدينية واللغوية وألم بالتاريخ من عائلة اشتهرت بالإبداع العلمي توفي بمكة[1] كما يعتبر الشيخ المعمر عز الدين عبد العزيز بن عبد اللطيف بن احمد بن جار الله بن زايد المالكي (ت٩٢٥هـ/١٥١٩م) من الذين نالوا مكانة مرموقة بين العلماء المكيين لشدة تعمقه في اصول الفقه وتوسعه في تخصص الحديث ورجاله أصيب في أواخر عمره بالأمراض المتتالية ويذكر جار الله بن فهد أنه بلغ من العمر سبعة وثمانين سنة وثلاثة أشهر، وشيعه جماعة من العلماء والفقهاء والأعيان[2] .

٨- المدرس:

كما وجدت بالإضافة لما سبق، ألقاب حملها العلماء وأشهرها مدرسين أضيفت إلى ألقابهم الأخرى ولكنها في حقيقتها لا تدل على درجة علمية معينة، فقد تدل على التخصص العلمي كاللغوي والمؤرخ والمتكلم بعلماء العربية، وعلى الرغم من ارتباط هذا اللقب بعلماء العربية، ثم انتقل هذا

(١) **نيل المنى**- ص ٥٠.

(٢) **المصدر السابق**- ص٥٥.

اللقب إلى المؤدبين، فأصبح المؤدب يلقب بالمدرس(١) ولكون المؤدبين -غالباً- من علماء العربية فعمم هذا اللقب ليشكل كل من يمارس عملية التدريس.

ولقد أورد جار الله بن فهد في كتابه مئات الأسماء الذي امتهنوا عملية التدريس وأبرزهم المدرس شهاب الدين احمد الزبيدي مفتي المالكية(٢).

ويعتبر الفقيه المدرس جمال الدين يوسف بن الصديق بن ناصر اليمني (ت ٩٢٧هـ/١٥٢١م) من أشهر المدرسين، حيث فتح درساً في المسجد الحرام في تقسيم الإرشاد ولابن المقري تقسيماً حافلاً ويحضر درسه جماعة من فضلاء مكة والمجاورين، فأفاد واستفاد كثير من درسه.

كما أشاد جار الله بن فهد بأحدهم عندما توفي عام (٩٣٥هـ/١٥٢٨م) ((مات الشيخ العلامة المدرس مفتي المسليمن القاضي شمس الدين محمد بن العز عبد العزيز الحجازي نزيل مكة وأحد نوابها في الحكم صاحب علم واسع وفقه شامل حزن لموته الناس وشيعه خلق كثير وذكروه بخير))(٣)، وحزن الناس لمرضه المفاجيء حيث ألم به خدور في أعضائه ثم ثقل لسانه مما أدى إلى وفاته و لم يتجاوز الخمسين سنة، يمتاز بالتواضع وحسن الخلق والزهد في الدنيا حيث عرض عليه القضاء فرفض(٤).

---

(١) ابن دحيه الكلبي- **المصدر السابق**- ص٩٢.

(٢) **نيل المنى**- ص٢٠٦.

(٣) **المصدر السابق**- ص٢٤٢.

(٤) **المصدر السابق**- ص١٥٩-١٦٠.

المـــذاهب الدينيـــة

خضع الحجاز ولو اسمياً في البداية للمماليك الذين أبقوا حكام الحجاز من الأشراف على حالهم مع الاكتفاء منهم بالخطبة.

ومع مرور الوقت نرى المماليك قد تدخلوا تدخلاً مباشراً في كثير من الأحيان في شؤون مكة.

وكان المماليك سنيون ولذا أصبح للمذاهب السنية أهمية كبيرة بها. حتى لقد أصبح للحرم المكي خمسة أئمة. منهم أربعة سنيين وخامس زيدي. والزيدية أقرب المذاهب إلى مذهب أهل السنة.

وكان أئمة السنة مرتبين على النحو التالي:

الأول: هو الامام الشافعي. وقد ساعد على انتشار المذهب الشافعي في مكة في ذلك الوقت ان المماليك كانوا شافعيين، وقد شجعوا منذ إقامة دولتهم في مصر على انتشار هذا المذهب في كافة أنحاء مملكتهم(١).

بالإضافة إلى أن كبير أئمة الحرم كان شافعياً. فقد وجد بمكة عدد كبير من الفقهاء والقضاة والعلماء الذين يعتنقون هذا المذهب، ويعملون على نشره. وكان الامام الشافعي أول من يصلي في الحرم، وكان مقمه خلق مقام ابراهيم عليه السلام(٢) وفي رؤية الأهلة كان الشافعي هو المقدم لهذه المهمة(٣).

---

(١) العز بن فهد- **غاية المرام**- ج١- ص٣٦.

(٢) العز بن فهد- **بلوغ القرى**- ورقة١٨٠أ.

(٣) **نيل المنى**- ص٢٨-٤٦-١٣٠-١٥٦.

ثم الإمام المالكي: ويصلي قبالة الركن اليماني، وله محراب حجر يشبه محاريب الطرق الموضوعة فيها.

فالحنفي: ويصلي قبالة الميزاب تحت حطيم مصنوع له. وكان أكثر الأئمة أبهة وكان يتوافر لديه الكثير من الشمع وغيره لأن الأعاجم كانوا على مذهبه، فيأتون بها.

وأخيراً: الحنبلي: وكان مكانه قبال الحجر الأسود. وصلاته مع صلاة الامام المالكي في وقت واحد. كما كان يصلي الظهر والعصر قريباً من الحنفي في البلاط الآخذ من الغرب الى الشمال والحنفي يصليها في البلاط الآخذ من الغرب الى الجنوب قبالة محرابه وليس له -حطيم- اما الشافعي فله حطيم عظيم ازاء المقام. وللحنبلي حطيم كان معطلاً في العصر المملوكي كان قريباً من حطيم الحنفي وينسب لرامشت أحد أغنياء الأعاجم[1].

أما بالنسبة الى صلاة المغرب فكان الأئمة الأربعة يصلونها في وقت واحد مجتمعين بسبب ضيق وقتهم وكان مؤذن الشافعي يبدأ بالاقامة وبعده يقيم مذنو سائر الأئمة. كما كان يدخل على المصلين السهو أحياناً للتكبير في الحرم من كل ناحية. لذا كان المالكي ربما يركع لركوع الشافعي أو الحنفي يركع بركوع المالكي. أو كان يسلم أحدهم بغير سلامه أمامه. لذا ترى المصلين يصغون باهتمام شديد لصوت امامهم أو مؤذنهم ليتلافوا الوقوع في السهو[2].

---

(١) الفاسي- **العقد الثمين**- ص٨٨-ص٨٩- القطبي- **اعلام**- ص١٩٨.

(٢) الفاسي- **العقد الثمين**- ج١- ص٨٩.

أما الزيدي: فلم تشر المراجع إلى المكان الذي كان يصلي فيه. وإنما اكتفت بالقول بأنهم كانوا يقولون في الآذان بـ "حي على خير العمل" بدلاً من المؤذن السني حي على الفلاح. ولا يجمعون مع الناس، وإنما يصلون الظهر أربعاً ويصلون المغرب بعد فراغ الأئمة السنيين من صلاتهم(١).

وبعد سقوط دولة المماليك في مصر عام (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م) وانتقال السلطة السياسية الى الدولة العثمانية المعتنقة للمذهب الحنفي لم يختلف الوضع في مكة ولكن ابتدأ التغيير البطيء من منتصف القرن العاشر الهجري عندما أصبح المذهب الحنفي يلقي الاهتمام البالغ من قبل السلطة العثمانية مما دعاهم إلى إصدار مرسوم سلطاني يقضي بأن يصبح القضاء ونظارة المسجد الحرام بيد القاضي الحنفي مصطفى الرومي وذلك سنة ٩٤٣هـ/١٥٢٧م وعزل جميع القضاة العرب في مكة المكرمة. كما يشير الى ذلك ابن فهد(٢).

أما تدريس المواد الفقهية في المسجد، فكان يتم حسب كل مذهب من المذاهب المعروفة، فقد كان لكل مذهب من المذاهب ركن خاص في المسجد الحرام يلقي فيه الإمام الدروس ويصلي بجماعته في ركنه المخصص له. فكان إمام الشافعية يتخذ مكانه خلف مقام ابراهيم عليه افضل الصلاة والسلام، والإمام المالكي مكانه عند الركن اليماني، والإمام الحنفي مكانه أمام الميزاب.

---

(١) القطبي- **اعلام**- ص١٩٩.

(٢) **نيل المنى**- ص٣٧٠.

أمام الإمام الحنبلي فيتخذ مكانه ما بين الحجر الأسود والركن اليماني[1].

وكان التدريس في المقامات الأربعة تأخذ الطابع النظامي المتخصص، ففي كل مقام يجتمع الطلبة حول الشيخ، وينهلون منه صنوف المعرفة خاصة في فقه المذاهب الذي يعرف به المقام، كما أنهم يقومون بإلغاء دروس غير مقيدة وكان لبعض الشيوخ خلوات تنسب إليهم في المسجد يقصدهم فيها الطلبة[2].

ولا شك أن هؤلاء الأئمة للمذاهب السنية الأربعة كانوا أعلاماً لهذه المذاهب وربما كانوا يدرسون الكتب ويستنبطون الأحكام من خلال المذاهب التي قاموا بتدريسها.

وكانت أكثر حلقات العلم تدريساً في المسجد الحرام حلقات علماء الشافعية والحنفية فقد كان لنزيل مكة الشيخ فخر الدين ابوبكر الشيرازي العمري الشافعي مجلساً لتدريس فقه الشافعي وكان جماعة من اهل مكة والقادمين إليها يجتمعون عليه لقراءة "الحاوي الصغير"[3].

ومن كبار فقهاء الشافعية بمكة في ذلك الوقت وأرخ لهم جار الله بن فهد في كتابه عالم مكة ومحدثها وقاضيها القاضي الشافعي الصلاحي بن ظهيره ولقد

---

(١) **نيل المنى**- ص١٩٦- ٢٠٨-٢٥٣-٣١٣-٣٥٦- الفاسي- **الزهور المقتطفة**- **نيل المنى**- ص٢٥٣- ٣١٣.

(٢) النجم بن فهد- **الدر الكمين**- ورقة٥٧أ- ٧٩ب- ١٠٠أ- عز الدين بن فهد - **بلوغ القرى**- ورقة٢١١ب-٢١١أ.

(٣) **نيل المنى**- ص٣٨٨.

استمر قضاء الشافعية فيهم مدة مائة وعشرين عاماً استمر في التدريس في الحرم الشريف ولقد أفاد الناس في علوم شتى[1].

وممن جاور بمكة وكان له فيها مشاركة في تدريس الفقه الشافعي بالحرم المكي الزيني عبد اللطيف بن عبد الله با كثير الحضرمي كان يقرأ على طلبته كتابين هما "تنوير الدياجير بمعرفة المحاجير" و "الاعلام بما يتعلق بأحكام الختانين من الأحكام"[2].

كما شارك فقهاء المالكية في التدريس بالمسجد الحرام، فقد كان الشيخ الزيني عبد الحق النويري قاضياً فقيهاً مدرساً لطلبة المالكية[3].

ويعتبر الشيخ المدرس جمال الدين محمد الشهير بالخطاب (ت ٩٤٦هـ/١٥٣٩م) الذي كان له مجلساً للتدريس في المسجد الحرام[4]، تناول فيه كتب المالكية مثل "الرسالة"[5] و "مختصر ابن الحاجب الفرعي و "مختصر ابن الجلاب"[6] و" الموطأ"، وسمع منه كثير من الطلبة في المسجد الحرام[7].

---

(١) **نيل المنى**- ص٩٣.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٢٧- ٣٢٨.

(٣) **المصدر السابق**- ص٩٦-١١٢.

(٤) **المصدر السابق**- ص٤٤٤.

(٥) الرساله: هي رسالة ابن ابي زيد في الفقه المالكي، للامام أبي محمد عبد الله بن أبي زيد المالكي القيرواني المتوفي عام ٣٨٩هـ/٩٩٨م- حاجي خليله- **كشف الظنون**- ج١- ص٨٤١.

(٦) نسبة الى عبد الله بن الحسن بن الجلاب البصري، ابو القاسم، فقيه اصولي، توفي عام ٣٧٨هـ/٩٨٨م، وله كتب منها: كتاب في "مسائل الخلاف" وكتاب "التفريغ في المذاهب" البغدادي- **هدية العارفين**- ج١- ص٤٤٧- كحاله- **معجم الشيوخ**- ج٦- ص٢٣٨- ٢٣٩- وذكر فؤاد سزكين ان المختصر اعده عبد السلام التونسي- **تاريخ التراث العربي**- نقله إلى العربية محمود فهمي الحجازي، فهمي ابو الفضل- القاهرة- الهيئة المصرية العامة للكتاب- ١٩٧٨م- ج٢- ص١٥٣-١٥٤.

(٧) **نيل المنى**- ص٤٤٤.

كما كان لعلماء المذهب الحنفي جهود نشطة في التدريس بالحرمين الشريفين ومنهم القاضي الحنفي المدرس بديع الزمان الجمالي محمد ابن الضياء الذي أخذ عنه كثيراً من فقهاء مكة والمدينة، وكان إمام مقام الأحناف بالمسجد الحرام[(١)].

وممن امتاز بالقدرة والبراعة في التدريس ومعرفته بالمذهب الحنفي قاضي القضاة الحنفي نسيم الدين عبد الغني المرشدي الأنصاري الذي انتفع به كثير من الطلبة في المسجد الشريف[(٢)].

كذلك ساعد في نشر المذهب الحنفي الفقيه ابو الخير بن بدر الدين حسن بن عطية الحنفي وامتلك علماً جماً وسمع عليه كثير من طلاب العلم[(٣)].

أما الحنابلة فقد كان نشاطهم ضئيلاً في تدريس الفقه وعلومه، ومن أهم العلماء الذين درسوا في المسجد الحرام قاضي القضاة نور الدين عبد القادر بن ظهيره الذي درّس الفقه والحديث، وسمع منه كثير من العلماء[(٤)].

كما كان القاضي النجمي محمد بن ابي بركات محمد ابن الفضل الزين الذي كان يقوم بروح عالية في التدريس بالحرم الشريف ويعقد الحلقات نهاراً وليلاً ولقد استنابه القاضي الرومي مصطفى أن يكون نائبه في القضاء الحنبلي[(٥)].

---

(١) نيل المنى- ص٧٨-٧٩.

(٢) المصدر السابق- ص٢٥-٦٧.

(٣) المصدر السابق- ص٢٨.

(٤) المصدر السابق- ص٣٥.

(٥) المصدر السابق- ص٣٨٣.

وهناك الكثير من تراجم فقهاء المذاهب الأربعة الذين درسوا بالمسجد الحرام بالإضافة إلى كثير من علماء الأسر المكية التي شاركت في هذا العلم.

ويظهر من تراجم الحجاز ومجاوروه أن أهم الكتب التي كانت تدرس في الفقه الشافعي هي "مختصر المزني"[(١)] و "روضة الطالبين"[(٢)] و "الورقات" و "منهاج البيضاوي"[(٣)] وغير ذلك من كتب الفقه الشافعي ومختصرات وشروحاته.

أما كتب المذهب المالكي التي درست في هذه الحلقات فهي: "المدونة" و "مختصر ابن الحاجب، و "مختصر ابن الجلاب" و "الموطأ"[(٤)] و "الذخيرة"[(٥)] و"مختصر خليل" وغيرها من الكتب المشهورة في المذهب المالكي.

---

(١) مختصر المزني في فروع الشافعية وهو احد الكتب المشهورة بين الشافعية التي يتداولونها وهي سائرة في كل الامصار للشيخ الامام اسماعيل بن يحيى المزني المتوفي سنة ٢٦٤هـ/٨٧٧م وهو اول من صنف في مذهب الشافعي وقد شرحه واختصره كثير من العلماء- حاجي خليفه- **كشف الظنون**- ج٢- ص١٦٣٥.

(٢) روضة الطالبين وعمدة المتقين في فروع الشافعية للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي المتوفي عام ٦٧٦هـ/١٢٧٧م.

(٣) **منهاج الوصول إلى علم الأصول**- مختصر للقاضي الإمام ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفي عام ٦٨٥هـ/١٢٨٦م.

(٤) الموطأ وهو كتاب في الفقه والحديث للإمام مالك بن انس المتوفي عام ١٧٩هـ/ ٧٩٥م- حاجي خليفه- **كشف الظنون**- ج٢- ص١٩٠٧.

(٥) الذخيره في فروع المالكية لشهاب الدين ابي العباس أحمد بن ادريس القرافي المالكي المتوفي عام ٦٨٤هـ/١٢٨٥م- حاجي خليفه- **كشف الظنون**- ج١- ص٨٢٥.

أمـــــا كتبُ الحنفية التي تناولها الفقهاء في هذه الحلقات فهي "الجامع الكبير" و"الجامع الصغير"[١] و "مجمع البحرين" وكتاب الكافي و "الكـنز" و "مختصـر الكرخي"[٢] ويأتي بعدها حلقات فقهاء الحنابلة حيث درسوا كتــب "الكـافي في فروع الحنبلية" و "مختصر الخرقي" و "المقنع".

يتضح لنا من ذلك أن الإمامة في الحرم المكي كانت لأهل السنة على المذهب الشافعي ثم سيطر المذهب الحنفي بعد مرور عقديـن مـن الزمـن بعـد سيطرة الدولة العثمانية على الحجاز، ولم نر أي تعصب أو أي صراع مذهبي في مكة طيلة العهد المملوكي وبداية العهد العثماني، بل ساد التسامح الديني والمذهـبي ربوعها. وتعايش الناس في وئام وسلام.

(١) الجامع الكبير في الفروع، والجامع الصغير في الفروع، للإمام محمد بن الحسن الشيباني الحنفي المتوفي عـام ١٨٧هـ/٨٠٢م- حاجي خليفه- **كشف الظنون**- ج١- ص٥٦١- ص٥٦٧.

(٢) مختصر الكرخي، في فروع الحنفية للإمام أبي الحسين عبد الله بن الحسين الكرخي المتـوفي عـام ٣٤٠هـ/ ٩٥١م، **المصدر السابق**- ج٢- ص٦٣٤.

ظاهرة التصوُف[1]:

كثيراً ما تورد كتب التصوف تعاريف للصوفية وهي عبارات مرموزة منمقة لايفهمها إلا المتمرس باساليبهم ومن ضمنها إن التصوف يعني التجرد الخالص لله والارتفاع بالروح الإنساني إلى أعلى مستويات الكمال بجهاد النفس ومقاومة الشهوات وقيل هي علم تعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية[2].

والصوفية في أصلها تعني العكوف على العبادة والانقطاع إلى ا لله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الناس من لذات، والانفراد عن الخلق في الخلوة.

ومن تعاريف الصوفية أنها رياضات يقوم بها السالك حتى يصل الى الجذبة، حيث يرى -بتأثير إيحاءات شيخه المؤلمة- روى يتوهم في بعضها أنها تحقق بالألوهية، وبالتالي استشعار لوحدة الوجود[3].

والتصوف الديني المحصن هو الذي لا يخرج عن حدود الكتاب والسنة والذي يمش اتجاه بعض المتعبدين إلى حياة الزهد والتقشف والتأمل كما هو الحال عند الأولياء من العلماء الصالحين.

---

(١) الصوفية من الصوفة، وقيل من الصفّة، وقيل من الصفاء، وقيل من الصفوة، وقيل من صوفه (لقب رجل في الجاهلية) وقيل إبن الصوف، وقيل من الصوفانة (بقلة زغباء وقصيرة) وفلسفياً، نزعة تعول على الخيال والعاطفة. انظر: محمود البهلي النيال-**الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**- مكتبة النجاح- تونس- ١٣٨٤هـ- ص٢٠.

(٢) محمود عبد الرؤوف قاسم-**الكشف عن حقيقة الصوفية**- دار الصحابة- بيروت- ١٤٠٨هـ- ص٧٣٥.

(٣) البهلي-**النبال- مرجع سبق ذكره**- ص٢٧.

في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ظهر تطرف المتطرفين وإساءة المسيئين إلى هذه العبادة الروحية الصافية إسلامية خالصة مستمدة من كتاب ا لله وشريعته ومستهدية بحياة الرسول صلى ا لله عليه وسلم. وسنته، فإن قوام هذه الفلسفة الروحية الإسلامية الخالصة إنما هو فيما تأخذ به وتدعو إليه من تخلق وتذوق -ويرمى كله إلى تقويم الإنسان وسعادته[1].

و لم يلبث أن تأثر بما عرفه المسلمون من الثقافات الأجنبية. ونحول الزهد من تفرغ للعبادة وإمعان فيها الى محاولة الاتحاد با لله أو الاتصال به أو معرفته عن طريق الإشراق واختلط التصوف بمذاهب الباطنية الفاسدة.

إن الإسلام دين العقل والعلم ولا يمكن أن يتعارض معهما، وأن الخرافات المنتشرة الآن، نجد من يدافعون عنها ممن يتكسبون ويتاجرون بها مستغلين العاطفة الدينية للبسطاء وانتشار الأمية، وتقصير المؤسسات الدينية وأجهزة الدعوة[2].

اختلف آراء العلماء حول التصوف -فمنهم من يؤيد، ومنهم من يعارض ولكل وجهة هو موليها- فكلهم حريصون على سلامة الدين وسلامة المتدينين. ولانريد الولوج في متاهات النصوص الصوفية ودهاليزها الملتوية المتعرجة وزحاليقها المتقنة الصنع.

من المعروف أن حياة الصوفية قامت على أساس التقشف في الملبس والمأكل حتى بالغ بعضهم في ذلك فلبسوا المرقع من الثياب وصبروا على الجوع

---

(١) محمود البهيلي -**مصدر سبق ذكره**- ص٥٦.

(٢) محمود عبد الرؤوف قاسم -**مصدر سبق ذكره**- ص٩٨.

والعطش بضعة أيام، ولكن بعض الصوفية بالغوا في التطرف فنشأت عن ذلك طائفة المجاذيب أو الدراويش وقد اشتهر هؤلاء في القرنين التاسع والعاشر الهجري بأفعالهم الغريبة التي زعموا أنها من الدين فحلق بعضهم رأسه ولحيته وحاجبيه، وأزال رموش عينيه، حتى بدوا في صورة مخيفة أثارت دهشة من رأوهم من الرحالة المعاصرين(١).

وقد استتبع انتشار التصوف وكثرة الصوفية في عصر المماليك انتشار البيوت الخاصة بالصوفية، وهي التي اطلق عليها خانقاوات وربط وزوايا.

وجرت العادة أن يعين لكل خانقاه شيخ أو أكثر وعدد من الصوفية، واشترط في شيخ الخانقاه ان يكون من جماعة الصوفية ممن عرف بصحبة المشايخ، وألا يكون قد اتخذ من التصوف حرفة، وقد كونت كل خانقاه وحدة قائمة بنفسها، بداخلها عدد معين من الخلوات خصصت كل منها لأحد الصوفية، وكان للصوفية في معيشتهم دخل زواياهم آداب خاصة وقواعد مرعية التزموا بها وأفاض المعاصرون في وصفها(٢).

وعلى الرغم من أن عقيدة أهل السنة والجماعة هي السائدة في مكة في القرنين التاسع والعاشر الهجري، إلا أن تيار التصوف قد انتشر وشكل على المدى الطويل ظاهرة سيئة على المجتمع، وعلى الحياة الفكرية، فقد خلط الناس الزهد الذي هو أصيل في دين الاسلام، والتصوف الذي هو غريب عنه وانقسم الصوفية الى فرق عديدة، لكل فرقة شيخها وشعارها وفقراؤها

---

(١) عاشور-**المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**- ص١٩٩.

(٢) المقريزي-**المواعظ**- ج٤- ص٢٧٤- ابن بطوطه-**الرحلة**- ج١- ص٧٣.

ومريدوها، وتعاليمها وطريقتها الصوفية وزاويتها، ويُعرف الشيخ باسم الولي، ويلتزم المريدون بطاعة شيخهم طاعة عمياء بعد أن يلبسهم خرقة التصوف، وتقام في كل زاوية حلقات لترديد الأناشيد المشتركة وقراءة الأدعية الجماعية في مواعيد محددة فزاوية تقيم جلساتها كل ليلة ثلاثاء وأخرى في ليلة كل عشر من الشهر، وثالثة في كل يوم من بعد صلاة العصر الى المغرب، وهلم جرا[١] .

وقد قام في مكة بين بعض الصوفية وأهل السنة نزاع حول قضايا فقهية، وألف كل جانب مصنفاً لتأييد موقفه، وطال الخلاف بينهم، واضطر العالِم الصوفي في النهاية الى الانتقال الى القاهرة والسكنى بها لأنه لم يستطع الصمود أمام علماء أهل السنة[٢].

وكان غلاة الصوفية مبغوضين مذمومين في مكة وفي أغلب الديار الاسلامية وان لم يخل الأمر من وجود تلاميذ وأعوان يدافعون عنهم حكى عن بعضهم مقالات تدل على الكفر، فابن سبعين الصوفي أقام بغار حراء بمكة مدة ينتظر الوحي ونسب اليه قوله: لقد تحجر ابن عبد ا لله بقوله: لانبي بعدي[٣] !!.

ويبدو واضحاً من تتبع الحقبة التاريخية لذلك العصر أن الوهن بدأ يدب في كيان الأمة، بفعل عوامل داخلية في مقدمتها سيادة التفكير الخرافي والايمان

(١) الشلي، جمال الدين محمد- **السنا الباهر**- ورقة٥٨-٩١-١١١-١٩٣-١٣٦.

(٢) محمود قاسم- **الكشف عن حقيقة الصوفية**- ص٦١٠.

(٣) التفتازاني، ابو الوفاء الغنيمي- **ابن سبعين وفلسفة الصوفية**- دار الكتاب- بيروت- ١٩٧٣م- ص١٦.

بكرامة من يُسمونهم بالأوليـاء واعتقـادهم، وزيـارة قبورهـم وطلـب العـون عندها فكثر الدس والتضليل بل والتحريف[1] .

ويشير جار الله بن فهد في مؤلفه التاريخي القيم عن كثـير مـن هـذه الظواهـر فيقول: ((في ليلة الأحد سادس الشهر عمل الشيخ القدوة نور الدين علي بـن محمد شيخ الأقطاب... مولداً على قبر والده بالشعب الأقصى بالمعلاة حضره خلق من القضاة والأعيان والفقراء ومد لهم فتوتاً وعنباً وحلوى وكـانت ليلـة مشهورة بالخيرات والبركة والمسرة... واستمر الذكر الى الصباح حتى نـادى الحاضرون بحي على الفلاح))[2] .

ونقل المؤرخون المعاصرون في القرن العاشر الهجري بتلـك الفـترة الكثـير مـن الأخبار الغير معقولة والمقبولة دون تثبت من صحتهـا أو الـرد عليهـا كـأقوال بعض المتصوفة انه رأى الرسول صلى الله عليـه وسـلم في اليقظـة وأنـه سـلم عليه أو رآه في المنام عدة مرات ولبس منه خرقة التصـوف وأن الحمـى طـوع يديه يسلطها على من يريد[3] .

و لم يقتصـر الأمـر علـى عامـة النـاس بـل تعـدى ذلـك الى كثـير مـن القضـاة والفقهاء والعلماء في المجتمع المكي، حيث كانوا يعتقدون إيماناً كاملاً بشـيوخ المتصوفة و لم يسلم من ذلك مؤرخنا جار الله بـن فهـد فـيروي لنـا أن توجـه بصحبة الشيخ الإمام محمد بن عراق ومعه مجموعة من العلماء والفقهاء لزيارة

---

(١) **نيل المنى**- ص٤٦-٨١-٩٦-١٧٨.

(٢) **المصدر السابق**- ص٢٧١.

(٣) جمال الدين الشلي-**السنا الباهر**- ورقة٢٨-١٣٩-١٣٢.

غار حراء وسأسجل ما رصده في كتابه بالحرف الواحد فيقول: ((ولقد شاهدت وجميع الجماعة الذين كانوا صحبة الشيخ محمد بن عراق منه الكرامة عند توجهنا للعمرة واعتمارنا منها وإدراكنا لصلاة الجمعة وتحققنا أنه زيد في الوقت لأننا ذكرنا للشيخ أن وقت الجمعة فات ولاندرك صلاتها فقال لنا: وعزة ربي لا أتوجه للنافلة وتفوتني الفريضة، فتقدم الشيخ مع بعض الجماعة وطويت له الأرض حتى طاف وسعى، وأدرك الخطبة وأرسل لبقية جماعته فأدركوا الصلاة عند إقامتها وعَدّدْنا ذلك من كرامته فيها))[1] .

وإن الانسان ليدهش من تمكن تلك الأفكار من عقول عامة الناس خاصتهم حتى العلماء!! رغم أن انكارها بدهي ولايحتاج في الغالب الا الفطرة السليمة، والفهم الصحيح للإسلام. وبعد فلا يجد المرء صعوبة في الإنغماس في الأفكار الصوفية المنحرفة أثر عميق في اعاقة الفكر، هذه أهم مظاهر البيئة التي أظلت بداية القرن العاشر الهجري حتى منتصفه، وهي وان كانت مضطربة سياسياً إلا أنها مزدهرة اقتصادياً، خصبة ثقافياً بلع فيها عدد من الأفذاذ اذ كان جار الله بن فهد واحداً منهم.

---

(١) نيل المنى– ص١٠١.

أهــم الوظائف الدينية

أشار جار الله بن فهـد في كتابـه الى بعـض الوظـائف الادارية والدينيـة الـتي اشتهرت في عصره، كما اشار الى ابرز من تولوها من العلماء والفقهـاء ومـن اهم تلك الوظائف الدينية:

أولاً: القضاء:

يعتبر القضاء من أهـم وأرفـع المنـاصب الإداريـة في الدولـة الإسـلامية وتـأتي وظيفة القاضي في المرتبة الثانية بعد الأمارة وذلك للمهام الجسـام الملقـاة علـى عاتق القاضي وهذه المهام ذكرتها المصادر وتتلخص في النقاط التالية:-

- قطع التشاجر والخصام بـين المتنـازعين، إمـا بصلـح عـن تـراض، أو بحكـم شرعي يصدره القاضي.
- استيفاء الحق لمن طلبه، وتوصيلـه إلى مسـتحقه بعـد ثبـوت اسـتحقاقه إمـا بإقرار أو بينة.
- الزام الولاية للسفهاء والمجانين والحجر على المفلس حفظاً للأموال.
- النظر في الأحباس والأوقاف والتفقد لأحوالها وأحوال الناظرين فيها.
- تنفيذ الوصايا على شروط الموصي إذا وافقت الشرع.
- تزويج الأيامى من الأكفاء إذا عد من الأولياء وأردن التزويج.
- إقامة الحدود، فإن كانت من حقوق الله تعالى تفرد بإقامتهـا، وإن كـانت من حقوق الآدميين فبطلب مستحقها.

- النظر في المصالح العامة من كف التعدي في الطرقات والأفنية، واخراج مالا يستحق من الأجنحة والأفنية[1] .

- الاشراف على معاونيه الذين يساعدونه في مهام وظيفته واختيار نواب عنه في حال انشغاله أو غيابه[2] .

وهذه المسؤليات الجسام التي يجب على القاضي الاضطلاع بها جعلت بعض أكابر العلماء يفرون من ولاية القضاء ويمتنعون منه أشد الامتناع ويخشون على أنفسهم من خطره لا لقلة بضاعتهم من العلم، وإنما ورعاً وزهداً وخشية من أن لايؤدوا حقوق هذا المنصب، وعلى كل حال فإن كراهية البعض من العلماء للقضاء ليست بسبب محاذير شرعية، بل إن الأمر راجع لطبيعة هؤلاء وحساسيتهم المفرطة وخوفهم على أنفسهم من هذا المنصب كالإمام الشافعي والإمام أبو حنيفة[3] وإلا فالأصل في القضاء أنه من الولايات العامة التي لايجوز لمن كان أهلاً لها أن يرفض توليها، وقد شدد العلماء على الفار منها ممن توفرت فيه متطلبات هذا المنصب وأهمها بلا شك العلم الواسع بالشرع[4] ، بل إن القاضي مأجور في عمله إذا أخلص النية،

---

(١) النباهي، علي بن عبد الله- **المرتبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**- بيروت- المكتب التجاري- ١٩٨١م- ص١٣.

(٢) الماوردي-**الأحكام السلطانية**- بيروت- دار الكتب العلمية- ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م- ص٧٠-٧١- النباهي-**مصدر سبق ذكره**- ص٥-٦.

(٣) احمد محمد الشعفي-**النور الوضاء في بيان أحكام القضاء**- جدة- دار العلم- ١٤١٤هـ- ص٩.

(٤) النباهي -**مصدر سبق ذكره**- ص٢٤.

وأراد بعلمه رفعة الحق وإماطة الباطل، وتحري العدل، والتمكين لشرع الله في أرضه وبين عباده.

ولأهمية منصب القضاء فقد كان الخلفاء والسلاطين يباشرون تعيين القضاة، كما كانوا يوسعون مجال اختصاص البعض من القضاة فيعطونهم من الصلاحيات مالا يعطونها لغيرهم، وذلك لمكانتهم العلمية الرفيعة، بالإضافة الى الوجاهة الاجتماعية التي يتبوؤنها، ومن مشاهير القضاة الذين عُرفوا بقوة الشخصية والصدع بالحق... وطوال العصور المكية المختلفة كان للقضاة نفوذ واسع خاصة بين العامة، وهذا النفوذ يظهر بشكل جلي عند اضطراب الأحوال السياسية فتتجه الأنظار إليهم داعية لهم إلى تحمل المسؤولية، والحفاظ على الاستقرار وتجنيب البلاد أسباب الفوضى والفرقة.

هذا ولقد ابتليت مكة المكرمة بفترات طويلة ساد فيها الاضطراب السياسي ولعل أخطر تلك الفترات ماشهدته عندما اشتعلت الفتنة وضربت الفوضى اطنابها بين الشريف بركات وأخيه جازان وظل القاضي ابو السعود بن ظهيره على ولائه للشريف جازان بعد تولي بركات إمرة مكة وكان يراسله سراً ويحرضه على القيام بمحاولة للإطاحة بالشريف بركات فمال جازان إلى ذلك ورسم خطة بمساعدة القاضي أبي السعود لإلقاء القبض على بركات في ليلة الخامس والعشرين من شهر رمضان عام ٩٠٧هـ/١٥٠٢م وعزله عن إمرة مكة[(١)] وفضلاً عن ذلك أشار القاضي ابو السعود على الشريف جازان أنه باستطاعته إقناع السلطان قانصوه الغوري بالإعتراف بولايته ومنحه تقليداً

(١) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة١٢٨أ- العصامي-**سمط النجوم**- ج٤- ص٢٨٤.

بإمرة مكة، ولكن الشريف بركات علم بمؤامرة القاضي ابي السعود فأسرع بإلقاء القبض عليه ونفيه الى جزيرة في البحر الاحمر بعد مصادرة جميع أملاكه ثم مالبث أن قتل هناك غرقاً[1] .

كما كان القضاة يشاركون في تقريب وجهات النظر بين شريف مكة وزعماء العالم الإسلامي ، وفي أوقات الأزمات تظهر الحاجة إلى إرسالهم كسفراء لأنهم أقدر من غيرهم على معالجة الأمور برؤية وحكمة وقد قيل في المثل "ارسل حكمياً ولاتوصيه"[2] .

فالرسول إذا كان من القضاة العلماء يدرك بالحكمة وبعد النظر ما لايستطيع مرسله إدراكه بتجييش الجيوش وخوض المعارك ولعل أبرز أمثلة على ذلك مافعله الشريف محمد أمير مكة عندما أرسل في نهاية القرن التاسع الهجري إبنه بركات برفقة قاضي مكة البرهان بن ظهيره لتثبيت السلطة في يده وإستقراره لإمرة مكة وكان للقاضي ابن ظهيره دوراً ملموساً في تحقيق ونجاح هذه المقاصد[3] .

كما نرى دورهم ونفاذ كلمتهم والأخذ برأيهم يتضح بصورة جلية عندما سقطت دولة المماليك عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م واستلم زمام العالم الإسلامي السلطان العثماني سليم الأول أن قرر إرسال جيش إلى بلاد الحجاز وإخضاعه تحت سيطرته، ولكنه يتراجع عن تنفيذ قراره الخطير والعدول عن

---

(١) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة ١٢٩ب- السنجاري-**منائح الكرم**- ج٢- ورقة٢٣.

(٢) الآمدى-**الامثال العربية**- ص٨٦.

(٣) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة١٥ب- ٢٢-ب-٢٤ب.

تجهيز الجيش الى مكة نتيجة لجهود القاضي الشافعي صلاح الدين بن ظهيره[١] الذي كان موجوداً وقتذاك بالقاهرة، فالتقى به واستطاع أن يقنع السلطان العثماني سليم وبين له حسن سياسة الشريف بركات وإحكام قبضته على حكومة مكة وتوابعها، وأعرب له عن إعتقاده أن الشريف بركات سيسرع في الدخول في طاعته إذا أقره السلطان سليم في منصبه، فاقتنع السلطان سليم برأي القاضي وإكتفى بإرسال مرسوم سلطاني عثماني إلى مكة المكرمة[٢] .

والذي يبدو أن اولئك القضاة لعبوا دوراً مهماً في الحياة السياسية والعلمية بمكة المكرمة، ولعل ذلك يبرر عدم استقرار القضاة في مناصبهم وكثرة مراسيم التولية والعزل وتعدد اختصاص القاضي وتنوعت مسئولياته الفقهية للمذهب الذي ينتمي إليه، ويدرس فيه[٣] ، حيث يؤم أهل مذهبه في الصلاة في المسجد الحرام، ويجمع له بين القضاء، والخطابة، ونظر المسجد الحرام والحسبة[٤] ، أو بين القضاء والتحدث على الأيتام والأربطة والتدريس في

---

(١) هو القاضي صلاح الدين بن أبي السعود بن ظهيره الشافعي المكي ناظر المسجد الحرام وقاضي قضاة الشافعية وأحد العلماء الراسخين في علم القراءات والفقه كان مسجوناً في القاهرة في أواخر الدولة المملوكية ثم أخرج عنه السلطان سليم العثماني، كان يمتاز بشخصية قوية وله تأثير في الحياة الاجتماعية بمكة المكرمة، توفي في مكة عام ٩٢٣هـ/١٥٢٠م- ترجم له: **نيل المنى**- ص١٥٦- عبد الله مرداد-**المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ج١- ص١٨١.

(٢) العز بن فهد-**بلوغ القرى**- ورقة٢٢٦ب- إبن إياس-**بدائع الزهور**- ج٥- ص١٩٠.

(٣) **نيل المنى**- ص ٩٧-٤٤٠.

(٤) **المصدر السابق**- ص٢٣-٣٨-٣٢٥-٤٢٠.

المدارس المتعددة[1] ، أو قد يتولى قضاء جدة وحسبتها ونظر جامعها وأوقافها، وجميع متعلقات قاضي مكة[2] ، وأحياناً يجمع له قضاء الحرمين الشريفين مكة والمدينة[3] .

ولقد أسهب جار الله بن فهد بكتابه في وصف القضاء في مكة في عصره ورسم صورة الصراع والشحناء بين القضاة في تولي المناصب وتفشي الظلم وإنتشار الرشوة[4] وبلفظهم فيما بينهم بالسب والشتم خاصة بين المتولي والمفصول[5] مما أدى في أغلب الأحيان الى تدخل حاكم مكة لفض النزاع[6] والأدهى والأمر ان الخصام اللفظي يتطور الى التشابك بالأيدي ويتطور الى الضرب بالأحذية[7] .

وأصبحت وظيفة القضاء لاتسند الى لمن يمتلك مالاً أو يستطيع الوصول الى السلطة العثمانية ويسعى بنفسه بشتى الوسائل مشروعة أو غير مشروعة والفوز بمرسوم سلطاني بتعيينه في سلك القضاء رغم عدم رضاء شريف مكة عن شخصية القاضي المتولي للقضاء ولكنه يرضخ للمرسوم السلطاني كما حدث مع القاضي الزيني عبد اللطيف باكثير[8] .

---

(١) نيل المنى- ص١٦-٥٧-٤٠٠.

(٢) المصدر السابق- ص٣٧-٨٦-١٦٥.

(٣) المصدر السابق- ص٩٨-٤٤٠.

(٤) المصدر السابق- ص٤٦-٤٨-٧٦-١٨٢-١٨٣.

(٥) المصدر السابق- ص١٧٢-١٧٣-٢١٧-٢١٨-٢١٩.

(٦) المصدر السابق- ص٥٣-١٥٨.

(٧) المصدر السابق- ص٢٣٩-٢٤٠.

(٨) المصدر السابق- ص٣٢٧-٣٢٨.

ولتطور هذا الأمر أن أصدر شريف مكة قراراً بعدم سفر أي شخصية دينية يتوجس فيها أن يريد لنفسه منصب القضاء من خارج مكة وفرض الإقامة الجبرية له في مكة[1] .

ويذكر جار الله بن فهد عن سوء وفساد القضاء وتغيير الحقائق باستعمال الرشوة[2] وعدم إحترام مجالس القضاة والتهاون مع علية القوم ومايقومون به من أفعال قبيحة[3] ولقد استشهد جار الله بن فهد ببيتين من الشعر حيث يقول ((و لله در بعض الشعراء حيث قال:

كنا نفر من الولاة — الجائرين الى القضاء

فالآن نحن نفر من — جور القضاة الى الولاة))[4]

ويسلط جار الله بن فهد سطوة قلمه في قاضي الشافعية عندما تولى منصب القضاء الزيني عبد المعطي باكثير الذي يعتبر وصمة في قضاء مكة في تلك الفترة حيث انحرف عن الحق واتبع الهوى وتصرف بأموال الصدقات وحرم كثير من المحتاجين والفقراء في المجتمع المكي من الإستعانة بها في تصريف وتحسين شؤون حياتهم ولقد أنشد بعضهم مما يعاني شعراً فقال فيه:

مستحدث النعمة لايُرتجى — فكفه مملوءة فقرا

جُنّ له الدهر فنال الغنى — يا ويحه إن عقل الدهر[5]

---

(١) نيل المنى- ص١٩٨.

(٢) المصدر السابق- ص١٦٠-١٦١.

(٣) المصدر السابق- ص١٧٦-١٨٢-١٨٣.

(٤) المصدر السابق- ص١٧٧.

(٥) المصدر السابق- ص٣٣٣.

ورغم ذلك لم تخل مكة المكرمة من وجود قضاة امتازوا بالعدل والزهد وإحقاق الحق وقمع الظلم وأبرزهم قاضي القضاة الحنفي (المتولي عام ٩٢٥هـ/١٥١٩م) بديع الزمان محمد الجمالي إبن الضياء الحنفي[١].

ومما يلاحظ أن العثمانيين بدؤوا يشاركون قضاة مكة في أمر هذه الوظائف، وبنفس الصفة أي القيام بأكثر من وظيفة في وقت واحد.

ففي عام ٩٤٣هـ/١٥٣٧م) أصدر السلطان العثماني مرسوماً بولاية قضاء الحرمين الشريفين لقضاة أروام وعزل قضاة الحرمين من العرب مما أدى إلى إرتباك الناس وعدم إرتياحهم وتضجرهم من سلب وتجريد أهم الوظائف الدينية من العرب[٢] وإرسال قاضي لمكة بصحبة امير الحاج الشامي يدعى الشيخ مصدر مصلح الدين مصطفى بن ادريس الرومي الحلبي كان قاضياً لحلب ولقد قريء مراسيمه للاعلام بولايته في الحطيم وحضر قراءة المرسوم الشريف احمد بدلاً عن والده شريف مكة لعدم تواجده بمكة المكرمة ويضيف لنا جار الله بن فهد صنيعة المرسوم وتوضيح المبالغ المالية والنفقات الغذائية والصلاحيات الممنوحة له ((فسمعت في المرسوم تعظيماً زائداً للقاضي وأنه من أهل العلم والصلاح، فقد أخترناه لبلد الله، ورتبنا له في كل عام ألفاً وخمسمائة وخمسمائة اشرفي ذهباً يأخذها من جدة، وستين إردباً من الحب الواصل من القاهرة، وأنه يكون مقدماً على كل شريف وقاض وعالم، وأن

---

(١) نيل المنى- ص٦٠-٧٣-٧٤.

(٢) المصدر السابق- ص٣٧٠.

يولي من شاء من القضاة الأربعة، ولا يفعلون شيئاً إلا بأمره ولا يخالفونه في مرامه))[1].

بذلك أصبح النفوذ العثماني ينتشر في مكة المكرمة وأصبحت السلطة السياسية والقضائية وأغلب الوظائف الدينية في أيديهم.

ولو دققنا النظر في حال الوظائف لوجدنا أن ظاهرة تعدد الوظائف التي يتولاها الفرد الواحد تقابلها ظاهرة اشتراك اكثر من واحد في وظيفة أو وظائف[2]، لم يقتصر على الوظائف الدينية الكبرى أو التي تغلب عليها الصفة المالية، بل تعداه الى سائر الوظائف الأخرى حتى صغار الموظفين[3]، وكما يقال عن التعدد والمشاركة يقال أيضاً عن احتكار بعض البيوتات كوظائف القضاء.

---

(١) نيل المنى- ص٣٧٧.

(٢) المصدر السابق- ص١٧-٨٦-٩٨-٢١٥-٣٦٠.

(٣) المصدر السابق- ص٩١-٩٨-٢٠٧-٣١٧.

ثانياً: الخطابة:

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخطب بالناس في الصلاة باعتباره زعيماً للمسلمين ولفظ خطيب تتمثل فيه الصفة الدينية وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالدين، وكذلك نرى عناية الخلفاء المسلمين بتنظيم الإشراف على الحرمين الشريفين، فعينوا للمسجد الحرام فقيهاً يتولى الخطابة في صلاة الجمعة وفي المواسم الدينية كالأعياد ويوم عرفة وفي القرن العاشر الهجري كانت الخطابة تسند إلى أكثر من خطيب.

وتوزع عليهم المناسبات الدينية كخطبة عيد الفطر ويوم عرفة وأدى هذا التوزيع بين الخطباء إلى نزاع وصراع استمر لفترات طويلة واستفحل الصراع حتى استطاع الخطيب محي الدين العراقي المعروف بالحمصاني السفر الى عاصمة السلطة العثمانية عام ٩٢٩هـ/١٥٢٢م مستغلاً طرق غير مشروعة وفاز بمرسوم سلطاني ينص بإعطائه ثلثي الخطابة[١] وكان لهذا الأمر الخطير أن أوجد شرخاً استطاع شريف مكة بحسن سياسته أن يحسم هذا الخلاف الذي أصبح سمة استمرت في وظيفة الخطباء[٢] .

ويؤخذ على الخطابة في هذه الفترة أن البعض من كان يتولاها كان لا يجيد الخطابة ولا يلم بحفظ القرآن الكريم وتكثر أخطاؤه في اللغة العربية وما يشوب الخطبة من اللحن والتحريف والإلقاء[٣] .

---

(١) نيل المنى- ص٢٢١-٢٢٢-٢٢٣-٢٢٤.

(٢) المصدر السابق- ص٢٢٩.

(٣) المصدر السابق- ص٢٤-٢٥.

وامتاز بعض الخطباء بالإبداع والعمق الديني كالخطيب وجيه الدين عبد الرحمن النويري[1].

ولقد تعرضت مهنة الخطابة لنفس الوضع الذي تعرضت فيه مهنة القضاء ففي عام ٩٤٤هـ/١٥٣٧م صدر مرسوم سلطاني من قبل الدولة العثمانية بتعيين الإمام الخطيب محمد الرومي وبذلك أصبحت الخطابة بيد أشخاص عثمانيين ونزعت من الأئمة العرب[2].

---

(١) **نيل المنى**- ص٣٣.

(٢) **المصدر السابق**- ص٣٨٦.

ثالثاً: نظارة الحرم المكي الشريف:

اسم هذه الوظيفة مأخوذ، إما من النظر الذي هو رأي العين: لأنه يدير نظره في أمور ما ينظر فيه، وإما من النظر الذي بمعنى الفكر: لأنه يفكر فيما فيه المصلح من ذلك[1] .

وان عرفت هذه الوظيفة في العصر الفاطمي أو الأيوبي الذي تلاه، إلا أنها كانت محددة التواجد ولكنها انتشرت وتعددت في العصر المملوكي، وتعدد النظار في الدولة وأصبح لفظ ناظر يضاف إلى إسم الوظيفة، ويطلق على متولي شؤونها المالية فيقال: ناظر الجيش، وناظر الخاص، وناظر الحرام، وناظر الأوقاف، وغير ذلك من الوظائف التي تحتاج إلى متول خاص ويتولى شؤونها المالية والاهتمام بالنظر في شؤون الحرم والكعبة المشرفة أمر مألوف وسنة قديمة[2] .

عندما قامت الدولة الإسلامية أصبح من واجب الخلفاء النظر في أحوال الحرم، وكان الخلفاء عندما يأتون للحج ينظرون في أحوال المسجد الحرام والكعبة المشرفة، ثم يأمرون بإجراء الاصلاحات اللازمة لذلك.

ولكن بعد هذا اضطرت الدولة الإسلامية أن تعين موظفاً مختصاً للنظر في شؤون الحرم. وأصبح أمر معروف في تاريخ الدولة الإسلامية من قبل قيام

---

(١) حسن الباشا-**الفنون الاسلامية**- ص١٧٧.

(٢) القلقشندي-**صبح الاعشى**- ص٤٦٥.

سلطنة المماليك، أولاً والعثمانيين ثانياً تعيين ناظر يعرف بشيخ الحرم أي الذي ينظر في مصالحه[1] .

ويعتبر منصور ابن منعة (ت ٦٦٤هـ/١٢٦٥م) هو أول ناظر للحرم الشريف في العصر المملوكي[2] .

ثم استقرت وظيفة ناظر المسجد الحرام في اسرة بني ظهيره فترة طويلة من الزمن واسندت الى بيت النويرين ثم عادت مرة أخرى الى بني ظهيره.

ومن اشهرهم في القرن العاشر وذكرهم جار الله بن فهد قاضي القضاة الشافعي الجمالي المحبي ابو السعود بن ظهيره[3] الذي استمر على نظارته للمسجد الحرام حتى استطاع قاضي الحنفية بديع الزمان محمد بن الضياء الحنفي عام ٩٣٣هـ/١٥٢٧م الحصول على مرسوم سلطاني بولايته لنظارة المسجد الحرام وإمامة الموقف الشريف وقضاء جدة مما جعل شريف مكة يتضجر لهذا القرار المتعسف ضد القاضي إبن ظهيره[4] مما جعله يتخذ اجراءات ومراسلات مع السلطة العثمانية و لم تمضى فترة حتى أعيدت نظارة المسجد الحرام الى القاضي إبن ظهيره[5] .

---

(١) **نيل المنى**- ص١٦-١٣٩-٢١٠-٢٤٨.

(٢) **اتحاف الورى**- ج٣- ص٨٥-٨٦.

(٣) **نيل المنى**- ص٢٤-١٥٨.

(٤) **المصدر السابق**- ص٢٢٧.

(٥) **المصدر السابق**- ص٢٥٩.

ومن تولى نظارة المسجد الحرام القاضي الشافعي الزيني عبد اللطيف بن عبد الله باكثير الحضرمي الأصل المكي وذلك في عام ٩٤١هـ/١٥٣٥م بعد عزل القاضي المحبي بن ظهيره[١] واستمرت نظارة المسجد الحرام في يده حتى صدر المرسوم العثماني بعزل القضاة العرب وتولية القاضي الرومي مصطفى الذي كان من ضمن مهامه ومسئولياته نظارة المسجد الحرام[٢] .

ومن مهام ناظر الحرم الاهتمام بمصالح الحرم والاشراف على عمارته والنظر فيها والاشراف على صيانة المسجد الحرام -والقيام بأمر الوظيفة- ورعايته وتهيئته للمسلمين حتى يتمكنوا من الاقامة به لاعماره بالعبادة[٣] .

كما كان يقوم بإجراء بعض التحسينات في المسجد الحرام أو الكعبة فيما لا يتصل بالعمارة[٤] وحضور قراءة المراسيم التي تقرأ في المسجد الحرام فقد جاء في "نيل المنى" أن العادة عند وصول أمراء الحج المصري والشامي وقراءتهم للمراسيم يخلع على شريف مكة وكذلك ناظر المسجد الحرام[٥] .

---

(١) نيل المنى- ٣٢٥.

(٢) المصدر السابق- ص٣٧٠.

(٣) المصدر السابق- ص١٦-٩٨-١٣٧.

(٤) المصدر السابق- ص٢٧-١١٤.

(٥) المصدر السابق- ص٢٤-٩٨-١٥٨-١٩٠-٢٢٧-٢٥٩.

رابعاً: الحسبة[1]:

لقد سبق لنا أن تطرقنا إلى وظيفة المحتسب في الفصل الاقتصادي من هيكل البحث، ولم نتوسع في مفهومها إلا ما يختص بالناحية الإقتصادية، وتتطرقها لها في هذا الموضع الحيز المناسب والسليم لها.

ولقد أوردت كتب النظم الإسلامية عدداً من التعريفات للحسبة[2]، ولكن أقرب تلك التعريفات هو ماذكره الماوردي[3] من أن الحسبة "أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله".

وبذلك تعتبر نظام رقابي على سير الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والإجتماعية.

فالحسبة إذاً بهذا المعنى الواسع هي مهمة الأنبياء والمرسلين ثم هي من خصال المؤمنين الصالحين، وقد وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأمة بالخيرية وعلل لهذا الوصف بأنهم آمرون بالمعروف، ناهون عن المنكر مؤمنون بالله، قال تعالى: ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[4].

---

(١) لفظ الحسبة من: تحسب الأخبار أي تجسسها وتحسسها واعتبر طلبها تحسباً: انظر: ابن منظور-**لسان العرب**- ج١- ص٣١٦.

(٢) نقل الدكتور محمد المنسي عدة تعريفات للحسبة وناقش هذه التعريفات في كتابه الحسبة في العصر المملوكي- القاهرة- دار الكتاب- ١٤١٥هـ-ص٦.

(٣) **الأحكام السلطانية**- ص٢٤٠.

(٤) سورة آل عمران- آية ١١٠.

وعلى الرغم من أن استحداث هذا المنصب الذي أدى الى استقرار النظم الاسلامية، فقد بقي الأصل التطوعي للحسبة على أساس أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم قادر عليه[1] ، وكما قلنا فإن اختصاصات المحتسب متعددة الميادين ومتنوعة الجوانب فمنها مايتعلق بالفرائض كأن يأمر العامة بالصلوات الخمس وإقامة صلاة الجمعة والجماعة[2] ومنها مايتعلق بالآداب العامة كمراقبة الحمامات وعدم اختلاط الرجال والنساء في الأماكن العامة[3] وتأديب المجاهرين بالمحرمات كشرب الخمر كما حدث في عام ٩٣٣هـ/١٥٢٦م عندما تم العثور على أواني الخمور وتم كسرها[4] والأخذ على أيدي الفساق وكسر آلات الملاهي[5] كما يراقب المحتسب الأسواق ومافيها من بيع وشراء ويعاقب من غش أو دلس أو طفف في المكاييل والموازين كما يمنع التعدي على المصالح العامة[6] كما أن للمحتسب الاشراف على مكاتب التعليم واختيار معلميها ومنعهم من إيذاء

---

(١) وردت الكثير من الآيات والأحاديث التي تأمر المسلمين بالحسبة، التي هي كما ذكرنا أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾ سورة آل عمران آية ١٠٤ ومنها مارواه الامام مسلم عن ابي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ﴿ من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان﴾-**صحيح مسلم**- ج١- ص١٦٨.

(٢) **نيل المنى**- ص٨٦.

(٣) **المصدر السابق**- ص٣٨-٥٦.

(٤) **نيل المنى**- ص٢٢٨.

(٥) **المصدر السابق**- ص١١٨.

(٦) **المصدر السابق**- ص٦٨-١٢٢-١٣٩-٢٥٠.

التلاميذ[1] وحتى يتمكن المحتسب من ممارسة هذه الاختصاصات فقد اشترط أن يكون من الفقهاء العارفين بأحكام الشريعة[2] .

ويذكر جار الله بن فهد سنة ٩٢٣هـ/١٥١٧م نصاً فيه ((خلع على القاضي زين الدين المحتسب بولاية جميع وظائفة... وهي النظر والصرف والحسبة)).

وعلى الرغم من إتساع دائرة أعمال المحتسب وقلة أعوانه إلا أنه في عصور القوة كان بمثابة قوة ردع على كل من تسول له نفسه أن يخرج على أعراف المجتمع أو أخلاقه التي اصطلح الناس عليها وحددوا فيها حدوداً للحلال والحرام، إنطلاقاً من تعاليم دينهم وقيمهم الأخلاقية[3] .

ومن أشهر المحتسبين في هذه الفترة المحتسب شوفان بن سعيد السحرتي الحسني عتيق السيد بركات ت(٩٢٦هـ/١٥٢٠م)[4] ويصفه جار الله بن فهد بأنه ((قائد كبير مشهور بالعقل والدين))[5] وتباشر الناس به لبركته فرخصت الأسعار حين تولى هذا الأمر[6] . كما تولى الحسبة القاضي الرومي مصطفى وامتاز بالصرامة في اتخاذ القرار وتنفيذه والضرب بقوة على من يتلاعب بأسعار القوت.

كما حدث له في سنة ٩٤٤هـ/١٥٣٧م عندما نادى في أول الشهر بتخفيض الأسعار وسعّر على أهل السوق في بيع الفاكهة واللحم[7] .

---

(١) العز بن فهد-بلوغ القرى- ورقة١٠٤أ.

(٢) المصدر السابق- ورقة٢٥١أ-نيل المنى- ص٣٨-١١٨.

(٣) محمد المنسي-مرجع سبق ذكره- ص١٧.

(٤) نيل المنى- ص١٢٢.

(٥) المصدر السابق- ص١٣٩.

(٦) المصدر السابق- ص١٢٢.

(٧) المصدر السابق- ص٣٨٩.

المدرسة التاريخية المكية:

ونذكر في هذا المبحث تيمناً للفائدة ولابراز هذا الجانب العلمي الهام والجوانب الثقافية التي عني بها المكيون وكان جار الله بن فهد واحداً من هؤلاء الرجال الذين شاركوا بجهدهم في هذا المجال.

ولقد اهتم علماء المسلمين بكتابة تاريخ أمتهم عندما أثبتوا تفوقهم وإستعلائهم وبنوه للعلم صرحاً رافعاً وما افرزه من مجهودات كتابية تاريخية وحضارية عظيمة لاستعراض أمجادهم وحضارتهم التي حفل بها تاريخهم الإسلامي في مشرقه ومغربه وقامت بإثراء للحركة التاريخية.

وامتاز التاريخ عند المسلمين على سواه عن سائر الأمم التي تحضرت قبلهم بكثرة ماكتبوه من التراجم وعنهم أخذ مؤرخو العالم تأليف المعاجم التاريخية وأصبح التاريخ علم عربي إسلامي، ومع أن الإنسان –لحد كبير- إنسان مؤرخ ناطق على أن كافة الأمم تشترك في النزعة التاريخية التي تكاد لعمقها وثباتها وإستمراريتها وأثرها التلقائي الفعال ندعوها "بالغريزة التاريخية" مع ذلك كله فإننا نلاحظ أن ما من أمة في الأرض قبل العصور الحديثة كتبت في التاريخ وألّفت فيه المؤلفات الضخمة، وفرعت الفروع العديدة، وسجلت دقائق ماعاشت من الأحداث مثل ما كان في العهد العربي الإسلامي، فقد تميزت الحضارة العربية الإسلامية بالنزعة التاريخية الواضحة التي تجلت في ظهور خمسة آلاف مؤرخ على الأقل فيها وما يزيد على عشرة إلى اثنى عشر ألف كتاب تاريخ –في أقل تقدير- هذا التراث التاريخي الضخم هو ميزة من

ميزات هذه الحضارة وحدها وليس ذلك ناجماً فقط عن صدفة إنتشار الـورق وصنعته لدى العرب منـذ القـرن الثـاني الهجـري التـاريخي، ولكـن لـه أيضاً جـذوره النفسـية والدينيـة والمادية فيهـم، وهـذا مـا أعطـاه الـرواج والرجال والمؤلفات عن سعة كما أعطـاه في النهايـة الخطـوط الأولى لفلسـفته وتحوله الى علم منهجي -قبل القرن العاشر الهجري- على يد المؤرخ المغربي إبن خلدون[1].

على أن التنوع لأقاليم الدولة الإسلامية في العنصر والدين والماضي وفي وجود هـذه المعـارف لـدى بعضهـا دون البعـض أوجـد نوعـاً مـن التوطـن ولعبـت الحاجات والتجمعات السكانية دورها في ذلك التوطن.

واشتهر مؤرخو المسلمون الذين تخصصوا في كتابـة التـاريخ الشـامل في شـتى الجوانب السياسية والحضارية وكذلك التراجم الـذي لم يخـل منـه عصـر مـن العصـور وهـو أقـرب الى علـم الحديـث، وثمـة بـاب آخـر طرقـه المؤرخـون المسلمون يطل بدوره على التاريخ وهو بـاب الأنسـاب والمثـالب مـن جهـة، والفضائل والمناقب من جهة أخرى وألّفت فيها كتـب كثـيرة جـداً بعضهـا في مثـالب العـرب وقبـائلهم أو في مدنهـم أو بيوتهـم، فظهـرت بذلـك ملامـح المدارس التاريخية من مصرية وشامية وأندلسية ومغربية ويمنية[2].

ولما كان لأهل مكة تاريخهم الماضي العريق فقد أرادوا مضاهاة مؤرخي مصـر والشام وتواريخهم فبذلك كانت لهم مدرستهم في كتابـة التـاريخ -ولم تكـن

---

(١) زيدان، جرجي -**تاريخ التمدن الإسلامي**- ج٣- علـق عليـه حسـين مؤنـس- القـاهرة- دار الهـلال- ١٩٦٨م- ص١٠٧-١٠٨.

(٢) العمري، إبن فضل الله-**مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**- ج٢- تحقيق دوروتيا كرافو لسكي- ١٤٠٧هـ-ص٢٩.

حظوظ هذه المدرسة التاريخية المكية متساوية لا في الأهمية ولا في العمر في بدايتها لأن المدارس التاريخية الأخرى في مصر والشام والأندلس كانت أطول عمراً نتيجة للثقل السياسي ومراكز الحضارة الإسلامية ومحاريب العلم والمعرفة لأنها أصبحت عواصم إسلامية لعدة قرون(١).

أما المدرسة التاريخية المكية فذابت بسرعة وأصبحت معزولة سياسياً نشطة دينياً، ولكنها امتزجت بالإلتصاق والإحتكاك بالمدارس الأخرى خاصة مدرستي التاريخ المصرية والشامية والإطلاع على شتى المؤلفات التاريخية لأساطين المؤرخين زمناً معيناً ثم مالبثت بعد زمن معين أن انفصلت عنها منذ القرن التاسع الهجري ونمت واستقلت وبانت ملامحها في بداية القرن العاشر واكتملت في القرن الحادي عشر الهجري ثم أصبحت بعد ذلك تسهم مع غيرها من المدارس في كتابة التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الحجاز بدقة تبلغ حد الوصف خاصة(٢).

وازدات العناية بتاريخ مكة المشرفة لأهميتها ومكانتها في قلوب العالم الإسلامي خاصة من قبل الخلفاء والسلاطين عبر العصور المختلفة، كما اعتنى بها العلماء وتسابقوا لخدمتها والمقام فيها وألفوا في فضائلها وحوادثها وبقاعها المؤلفات الجمة ومن هذا المنطلق بدأ الاهتمام التاريخي بمكة وقد تم ذلك برغبة صادقة نابعة من قلوب مؤمنة عامرة، محبة لمكة وحرمها وليس تنفيذاً لرغبة أو لأوامر سلطانية أو سلطة عليا.

---

(١) شاكر مصطفى-**التاريخ العربي والمؤرخون**- ج١- ط١- بيروت- دار العلم للملايين- ١٩٧٨م- ص٢٧٣.

(٢) الحبيب الهيله-**مرجع سبق ذكره**- ص١٠.

لانعرف بالتحديد عن بدايات التأليف في تاريخ مكة وخاصة المؤلفات التي أفاد منها المؤرخون المتأخرون، ولكن أقدم ما ذكرته المعاجم في تاريخها فهي مؤلفات الحسن البصري (ت١١٠هـ/٧٢٨م)(١) ومحمد الواقدي (ت٢٠٧هـ/٨٢٢م)(٢) وعثمان بن ساج (ت٢٢٢هـ/٨٣٦م) وعلي المدائني (ت ٢٢٥هـ/٨٣٩م)(٣) وأبي الوليد الأزرقي (ت٢٤٤هـ/٨٥٨م)(٤) وابن بكار(ت٢٥٦هـ/٨٦٩م)(٥) وابن شيبه (ت٢٦٢هـ/٨٧٥م)(٦)

---

(١) الحسن بن بسار البصري كان امام البصرة وحبر الامة في زمنه، وهو أحد العلماء والفقهاء ولد بالمدينة عام ٢١هـ/ ٦٤٢م وسكن البصره وعظمت هيبته في القلوب لا يخاف في الحق لومة لائم، له مؤلفات من اشهرها فضائل مكة توفي بالبصره عام ١١٠هـ/٧٢٨م ترجم له: ابن خلكان- **وفيات الاعيان**- ج٢- ص٥٢.

(٢) محمد بن عمر الواقدي: محدث حافظ، مؤرخ، أديب، فقيه، ولد بالمدينة المنورة، وانتقل الى بغداد وأقام بها إلى أن توفي، وكانت له مكانة عند الخليفة المأمون، ومن تصانيفه: "تاريخ الفقهاء" و"السنة والجماعة" و "وتفسير القرآن" و "أخبار مكة"- انظر ترجمته في: ابن النديم- **الفهرست**- ص١٤٤- ياقوت-**معجم الأدباء**- ج٥- ص٣٩٤.

(٣) علي بن محمد المدائني: مؤرخ رواية للشعر، نشأ بالبصرة، وسكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد، من تصانيفه: "أخبار المنافقين" و "عهود النبي صلى الله عليه وسلم" و "كتاب الردة" و "أمهات النبي صلى الله عليه وسلم"- ترجم له: ابن النديم-**الفهرست**-ص١٤٧-الذهبي-**سير أعلام النبلاء**- ج١٠-ص٤٠٠.

(٤) هو محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد بن الوليد بن عقبه الأزرقي المكي (ت نحو٢٥٠هـ/٨٦٤م)، مؤرخ جغرافي من أهل مكة، يماني الأصل، من تصانيفه: "أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار"-ترجم له: ابن النديم-**الفهرست**- ص١٦٢.

(٥) الزبير بن بكار: عالم نسابه، اخباري من أهل المدينة، ولي قضاء مكة وقدم بغداد، وحدّث بها، وتوفي بمكة وهو قاض عليها، من تصانيفه: "أنساب قريش وأخبارها" و "أخبار العرب وأيامها" و "نوادر المدنيين" و "الأوس والخزرج"-ترجم له ابن النديم-**الفهرست**- ص١٦٠-ص١٦١- ياقوت-**معجم الأدباء**- ج٣- ص٣٤٨.

(٦) عمر بن شبه: أديب نحوي، لغوي مؤرخ، نشأ بالبصرة، وتوفي بسر من رأي، من تصانيفه الكثيرة: "طبقات الشعراء" و "أمراء المدينة" و "تاريخ المدينة المنورة" و "كتاب مكة"- انظر ترجمته لدى ابن النديم-**الفهرست**- ص١٦٣- ياقوت-**معجم الأدباء**- ج٤- ص٤٦٦.

والفاكهي(ت٢٧٩هـ/٨٩٣م)[١] والمفضل الجندي (ت٣٠٨هـ/٩٢٠م)[٢].

وبعد اسهامات كل من الأزرقي والفاكهي توقفت حركة التأليف بمكة المكرمة منذ أواخر القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) إلا ماذكره بعض المؤرخون من معلومات تعريفاً بالمدن المقدسة والإشادة بفضائلها، ودخل تاريخ مكة المكرمة في غياهب الإهمال التاريخي والنسيان و لم تجد الإهتمام الكافي من المؤرخين، فهناك فجوات وثغرات مجهولة في تاريخها العلمي والحضاري واستمر ذلك النسيان قرابة خمسة قرون[٣].

وقد تنبه وشكى من هذا الإهمال مؤرخ مكة تقي الدين الفاسي وأشار الى ذلك في مقدمته حينما يقول: "وإني لأعجب من إهمال فضلاء مكة في جمع تاريخ لها على المنوال الذي جمعته، خصوصاً من الشيخ قطب الدين القسطلاني[٤] لأنه جمع شيئاً يتعلق بتاريخ اليمن ولعمري لو جمع ذلك لبلده كان أحسن، فإن الحاجة إليه داعية، وفي ذلك فوائد غير خافية[٥]".

---

(١) محمد بن اسحق الفاكهي: مؤرخ، من تصانيفه: تاريخ مكة"-ترجم له لدى ابن النديم- **الفهرست**- ص١٤٩.

(٢) المفضل الجندي: مؤرخ، يماني الأصل، كان محدّث مكة، وتوفي بها، من كتبه: "فضائل المدينة" و "وفضائل مكة"-ترجم له لدى ابن العماد-**شذرات الذهب**- ج٢- ص٢٥٣- الزركلي-**الاعلام**- ج٧- ص٢٨٠.

(٣) عبد الله عقيل عنقاوي- المؤرخ تقي الدين الفاسي وكتابه **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**- الندوة العالمية-الرياض- ١٣٩٩هـ-ص٢.

(٤) قطب الدين محمد بن احمد بن علي القسطلاني المكي (ت٦٨٦هـ/١٢٨٧م)-الفاسي- **العقد**-٣٣١/١.

(٥) الفاسي-**العقد**- ج١-ص١٠.

وفي مطلع القرن التاسع الهجري أصبحت مكة مركزاً علمياً هاماً وملتقى طلبة العلم، حيث تخرج منها علماء كثيرون في مختلف المجالات، وأصبحت منبعاً علمياً نهل منه العديد منهم ومنذ ذلك الوقت بدأت الكتابة التاريخية تحتل مكانة رفيعة وتأخذ مجالاً أوسع وأعم وأشمل.

ويعد المؤرخ تقي الدين الفاسي (ت٨٣٢هـ/١٤٢٨م) أول من تصدى للكتابة التاريخية بمنهج يتسم بشيء من الإستقلالية عن المدرسة التاريخية المصرية تجلى ذلك في مؤلفاته عن مكة المكرمة ذات الصيغة الدينية المتميزة بالعمق والوصف الدقيق ويعتبر كتابه "**العقد الثمين**" المكون من ثمان مجلدات موسوعة أو دائرة معارفة يزدان بها تاريخ مكة المكرمة لأنه نقل صورة حية لمكة في شتى المجالات ويعتبر من أهم المصادر التي كتبت عن تاريخ مكة السياسي والاقتصادي ويحتوي الكتاب على تراجم أهم الشخصيات من ملوك وعلماء وقضاة وغيرهم ممن عاشوا في مكة أو جاور بها وذلك منذ بداية الإسلام حتى قبل وفاته وكذلك يعتبر كتابه "**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**" المطبوع في جزءين مهمين جداً في توفير المعلومات التاريخية[١] .

ومن مشاهير العلماء والمؤرخين بمكة في القرن التاسع الهجري النجم عمر بن فهد (ت٨٨٥هـ/١٤٨٠م) حيث ألف الكثير من الكتب في مجال التاريخ المكي ومن أهم كتبه "الدر الكمين بذيل العقد الثمين" وهو تتمه لكتاب "العقد الثمين" للفاسي، ويحوي معلومات تاريخية سياسية وحضارية لمدينة مكة المكرمة تحرى خلاله الدقة والأمانة العلمية، فنراه يدون الأحداث يوماً

---

(١) تقي الدين الفاسي-**العقد الثمين**- ج١- ص١٠- **الشفاء**- ج١/٢-ص١٥-١٨-٢٦.

بيوم أو شهراً بشهر أو سنة بسنة، كمـا يعتـبر مؤلفـه الآخـر "اتحـاف الـورى بتاريخ أم القرى" الذي نال بـه شـهرة حيـث حـوى اكـثر مـن الـف صفحـة واهتم فيه إهتماماً بالغاً بالأحداث السياسية والأحوال الاقتصادية والاجتماعية ورتبه على السنين من ولادة الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم الى قبيـل وفاتـه بأشهر وبذلك يكون مؤلفــه بالإضافـة إلى مؤلفـات الفاسـي غطـت وسـدت الفراغ الذي أحدثه من سبقهم من المـؤرخين خــاصة الفترة المجهولـة الواقعـة بيـــن القرن الثالث والقرن الثامن الهجري وتبعه بعد ذلك كثير من المؤرخــين المكيين[1].

وحفل القرن العاشر بعدد كبير مـن المؤرخـين الذيـن كـان لهـم دور كبـير في تطور الفكر والكتابة التاريخية واتضحت معالم المدرسـة التاريخيـة المكيـة ومـن كبار مؤرخي هذا القرن عبد العزيز بن عمر بـن فهـد (ت٩٢٢هـ/١٥١٥م) الـذي ألـف عـدة مؤلفـات في التـاريخ والـتراجم والسـير ذكرتهـا كثـير مـن المصادر، ولكن لم يعثر إلا على القليل منها وأشهرها كتابه "بلـوغ القـرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار أم القرى" وهو تتمه لكتاب والده "اتحاف الورى". ولقد استقل بتاريخ مكة لحقبة من الزمن عاصرها وعايش أحداثها ثم أضـاف مؤلفه المشهور المطبوع "غاية المرام" وسار فيه علـى منهـاج والـده في انفـراده بالفترة التي تلت وفاة والده حتى وفاته ويعد العز بـن فهـد امتـداداً للمدرسـة التاريخية المكية وسلك في البحث التاريخي مناهج هذه المدرسة[2].

---

(١) النجم ابن فهد-**اتحاف الورى**- ج١- ص٢٢.

(٢) العز بن فهد-**غاية المرام**- ج١- ص٣-ص٤.

وقد لمع المؤرخ جار الله بن فهد واقتفى تقاليد المدرسة المكية في الاقتصار على كتابة تاريخ مكة المكرمة، وكان ينفرد عن غيره من مؤرخي ذلك العصر في كونه أنه عاش عصرين هما أواخر العصر المملوكي وأوائل العصر العثماني مما جعل لكتاباته التاريخية أهمية كبيرة خاصة مايتعلق بالفترة الحاسمة بين المماليك والعثمانيين وموقف أمراء مكة من هذه الأحداث، وأهم مؤلفاته التاريخية عن مكة كتابه "نيل المنى" ويعتبر تتمه لكتاب والده "بلوغ القرى"(١) وهو الكتاب الذي نؤرخ لأهم الأحداث المكية من خلاله إذ كان هذا الكتاب اشبه بالمذكرات اليومية التي ترصد اهم الاحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

ولقد أحصى أحد الباحثين أن عدد المؤرخين ما بين القرنين الثالث والثالث عشر الهجري ١٨٧ مؤرخاً مكياً قاموا بتآليف ٤٨٦ مؤلفاً تناولت التاريخ ومتعلقاته(٢).

وسوف أختصر بالإسم والمؤلف أهم مؤرخي مكة في هذا القرن العاشر الهجري وهم كما يلي:

- ابن سالم، محمد بن عمر بن أبي بكر بن محمد بن سالم المكي (ت٨٥٩هـ/٩١٧هـ/١٤٥٤هـ/١٥١١م)(٣)، مؤلف أخبار الورى بأخبار أم القرى. في مجلدين لم نعرف عنه سوى ما ذكره الشلي في كتابه السنا الباهر

(١) جار الله بن فهد-**نيل المنى**- ص١٢.

(٢) محمد الحبيب الهيله-**مرجع سبق ذكره**- ص١١.

(٣) انظر الزركلي-**الاعلام**- ٣١٥/٦- عمر كحاله-**معجم المؤلفين**- ٧٨/١١.

وأنه كتب فيه الوقائع والوفيات بداية من سنة ٨٢٨هـ/١٤٢٤م إلى وفاته سنة ٩١٧هـ-١٥١١م.

- عمر الشماع (ت٩٣٦هـ/١٥٢٩م)، مؤلفه سفينة نوح -فيه مايدل على أنه كتب معظمة في الحرم المكي وتقول المصادر أنه جاور بمكة مدة(١).

- ابن ظهيره محمد بن ابي السعود المكي (ت٩٤٠هـ/١٥٣٣م)(٢)، الأخبار المستفادة في من ولي مكة المكرمة من آل قتادة. ولم نعرف عنه سوى ما ذكره العصامي في كتابه سمط النجوم العوالي واعتبره من مصادر كتابه التاريخي.

- ابن عراق الكناني (ت٩٠٧هـ/٩٦٣هـ/١٥٠١م/١٥٥٦م)(٣)، نشر اللطائف في قطر الطائف(٤).

---

(١) توجد منه نسخة مصورة بمركز البحث العلمي بجامعة أم القرى، ميكرو فيلم (١٠٧١) تاريخ - تراجم. نوع الخط نسخ معتاد. الأوراق ٢٧، عدد الأسطر ١٧- مصورة عن مكتبة دار الكتب المصرية (١٦٤٠) تاريخ.

(٢) النهروالي-**الاعلام**- ص٣٨٤- ابن العماد-**شذرات الذهب**- ٢٤٣/٢- حاجي خليفه-**كشف الظنون**- ٥٧٧/٣- ١٣٦٥/٢- البغدادي-**هدية العارفين**- ٢٣٤/٢.

(٣) انظر الغزي-**الكواكب السائرة**- ١٩٧/٢-١٩٩- ابن العماد- **شذرات الذهب**- ٣٣٧/٨- حاجي خليفه- **كشف الظنون**-٤٩٤/١،٥١٤، ١٠٧٧/٢- البغدادي-**هدية العارفين**- ٧٤٦/١- اسماعيل باشا- **ايضاح المكنون**- ٩١/٢-عمر كحاله- **معجم المؤلفين**- ٢١٨/٧.

(٤) قام بتحقيقه الاستاذ عثمان الصيني- مطبوعات نادي الطائف الادبي- ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- ابن حجر الهيثمي احمد بن محمد بن حجر الهيثمي (ت٩٠٩/٩٧٤هـ/١٥٠٣م-١٥٦٦م)[١]، الخيرات الحسان في مناقب أبي حنيفة النعمان[٢] وغيره من المصنفات التاريخية.

- عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيري (ت٩١١/٩٧٧هـ/١٥٠٥م-١٥٦٩م)[٣] الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة.

- عبد القادر بن احمد بن علي الفاكهي (ت٩٢٠-٩٨٢هـ/١٥١٤م-١٥٧٤م)[٤]، عقود اللطائف في محاسن الطائف، مشكاة الاقتباس في فضائل ابن عباس[٥].

- الديار بكري حسين بن محمد الحسن (ت٩٨٢هـ/١٥٧٤م)[٦]، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس.

---

(١) انظر العيدروسي- **النور السافر**- ص٢٨٧-٢٩٢- الخفاجي-**ريحانة الألبا**- ٤٣٥/١-٤٣٦- الغزي-**الكواكب السائرة**- ١١١/٣- الشوكاني-**البدر الطالع**- ١٠٩/١- ابن العماد- **شذرات الذهب**- ٣٧٠/٨-٣٧٢- عبد الله مرداد-**المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص١٢٢-١٢٤- الزركلي **الاعلام**- ٢٣٤/١.

(٢) مطبوع- الزركلي-**الاعلام**- ٢٣٤/١.

(٣) الجزيري- **الدرر**- ج١- ص١١٩- ج٢- ص١٤٥٢- قطب الدين النهروالي-**البرق اليماني**- ص٤٠- العصامي-**سمط النجوم**- ج٤- ص٢٩٣.

(٤) انظر العيدروسي-**النور السافر**- ص٣٥٣- الشوكاني-**البدر الطالع**- ٣٦٠/١- حاجي خليفه- **كشف الظنون**- ١٨٤٥/٢- البغدادي-**ايضاح المكنون**- ١١٥/٢- البغدادي- **هدية العارفين**- ٥٩٨/١- **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص٢٧٢- **الاعلام**- ٣٦/٤-عمر كحاله- **معجم المؤلفين**- ٢٨٣/٥- محمد سعيد كمال-**مؤرخو الطائف ومؤلفاتهم**- مجلة العرب- ج٢- س٢- شعبان- ١٣٨٧هـ- ص١٠١-١١٤.

(٥) ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة الحرم المكي برقم ٢٢ تاريخ دهلوي تقع في ٣٤ ورقة.

(٦) الديار بكري-**تاريخ الخميس**- ١٢١/١-١٢٦- الزركلي-**الاعلام**- ج٢- ص٢٥٦- عمر كحاله-**معجم المؤلفين**- ج٤- ص٤٧.

- جمال الدين محمد جار الله بن ظهيره القرشي (ت٩٨٦هـ/١٥٧٨م)[١]، الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف[٢].

- عبد المعطي بن حسين بن عبد الله باكثير، المكي ثم الحضرمي (ت٩٠٥/٩٨٩هـ/١٤٩٩م-١٥٨١م)[٣]، اسماء رجال البخاري -كتب منه مجلداً ضخماً ولم يتم[٤].

- قطب الدين النهروالي، محمد بن علاء الدين احمد بن محمد النهروالي الهندي ثم المكي (ت ٩١٧/٩٩٠هـ/١٥١١م-١٥٨٢م)[٥]، الاعلام بأعلام بيت الله الحرام[٦].

---

(١) الزبيدي، محب الدين محمد المرتضى -**شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس**- ج٣- بيروت- دار الفكر- ص٣٧٥- السخاوي-**الضوء اللامع**- ج١١- ص٢١٤- الشوكاني- **البدر الطالع**- ج١- ص٥١٣.

(٢) طبع الكتاب طبعات عديدة أقدمها طبعة Wustenfdd ضمن تواريخ مكة بعنوان: المنتقى من أخبار أم القرى.

(٣) انظر: العيدروسي- **النور السافر**- ص٣٦٤-٣٧٢- البغدادي-**ايضاح المكنون**- ١/٨٠- الزركلي **الاعلام**- ٤/١٥٥- عمر كحاله- **معجم المؤلفين**- ٦/١٧٦.

(٤) ذكره العيدروسي في كتابه **النور السافر** وآخرون ولم أجد له ذكر يبين موقع المخطوط.

(٥) حاجي خليفة-**كشف الظنون**- ج١- ص٣٠٦- المحبي-**خلاصة الاثر**- ج٣- ص٨-ص٩- عبد الله مرداد-**المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص٤٠٠-ص٤٠١- العيدروسي-**النور السافر**- ص٣٨٨- الجزيري-**الدرر الفرائد**- ج١- ص١٥.

(٦) منه نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة برقم ٩٠٠/٢٢٠ تقع في ٩٦ ورقة بخط المؤلف خطها فارسي جميل.

- محمد بن عبد الباقي البخاري علاء الدين المكي (ت ٩٩٣هـ/١٥٨٥م)[١] الطراز المنقوش في محاسن الحبوش[٢].

- البسنوي، علي دده بن مصطفى الموستاري ثم السكتواري، علاء الدين الملقب بشيخ التربة (ت ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م)[٣]، الرسالة المقامية في فضل المقام والبيت الحرام.

- الموصلي خضر بن عطاء الله الموصلي (ت ١٠٠٧هـ/١٥٩٨م)[٤]، أرجوزة في فضل آل البيت ووقائعهم. تحت اسم "بهجة الجلساء في تعريف الخمسة أهل الكساء"[٥].

- الشهاب احمد بن محمد بن علي البسكري (ت ١٠٠٩هـ/١٦٠٠م)[٦]، نزهة الاخوان والنفوس في مناقب الشيخ عيدروس.

- عبد الكريم بن محب الدين بن علاء الدين النهروالي الحنفي ثم المكي الشهير بالقطب (ت ٩٦١/١٠١٤هـ/١٥٥٣م/١٦٠٥م)، اعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام.

---

(١) انظر: حاجي خليفه- **كشف الظنون**- ٢/١١٠٩- البغدادي- **هدية العارفين**- ٢/٢٥٦- الزركلي- **الاعلام**- ٢/١٨٤- جرجي زيدان-**تاريخ آداب اللغة العربية**- ٣/٣٢٥.

(٢) مطبوع- مطبعة الحضارة العربية بجدة- الطبعة الاولى- سنة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

(٣) محمد البوسنوي-**الجوهر الأسني**- ص١٠٤- المحبي-**خلاصة الأثر**- ج٣- ص٢٠٠- جرجي زيدان- **تاريخ آداب اللغة العربية**- ج٣- ص٣٣٢- الزركلي-**الاعلام**- ج٤- ص٢٨٧.

(٤) انظر: الخفاجي- **ريحانة الألبا**- ١/٢١٥-٢١٧- العصامي المكي-**سمط النجوم**- ٤-٣٥٨- المحبي- **خلاصة الاثر**- ٢/١٣١- الشوكاني- **البدر الطالع**-١/٢٤٢-٢٤٣- الزركلي- **الاعلام**- ٢/٣٠٧- عمر كحاله- **معجم المؤلفين**- ٤/١٠١.

(٥) مخطوط بمكتبة ابن عباس بالطائف رقم٤/١٥٦ في١٤ ورقة.

(٦) انظر: **ايضاح المكنون**- ٢/٦٣٥- عبد الله مرداد- **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص٧٩.

- نوري الدين ملا علي بن محمد بن سلطان القاري الهروي (ت١٠١٤/١٦٠٥م)[1]، اتحاف الناس بفضل وج وابن عباس، الاستئناس بفضائل ابن عباس، الأثمار الجنية في طبقات الحنفية، فضائل اويس القرني، مناقب عبد القادر الجيلاني.

على أن أهم مايميز هذه المدرسة التاريخية هو أن أقطابها كان أغلبهم من مكة المكرمة عاشوا فيها وأغلبهم ولد فيها وقد خصوا هذه المدينة المقدسة بأكبر قسط من جهودهم وألموا بأحوال أهلها حيث بلغت الحياة الفكرية والأدبية فيها خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين (الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين) ذروة النضج والازدهار.

كما أسهم مؤرخوها بإضافة مواد جديدة تكمل ما كتبه السابقين، وهكذا تضافرت جهود السابقين واللاحقين في هذه المدرسة في التأريخ لبلدهم.

وهناك ميزة برزت في هذه الفترة وهي اهتمام مؤرخو مكة بأكثر من علم وعدم قصر اهتمامهم على علم دون آخر فكانوا فوق غزارتهم في المباحث التاريخية وبراعتهم في الرواية على علم ببعض العلوم الأخرى كالحديث والفقه والتفسير والجغرافيا ومنهم من ينظم لسلك الحفاظ كعائلة إبن فهد الشهيرة.

---

(١) انظر: ابن عراق الكناني- **نشر اللطائف في قطر الطائف**- تحقيق عثمان الصيني- **المقدمة**- ص١٣- العصامي- **سمط النجوم**- ٣٦٤/٤- **خلاصة الأثر**- ١٨٥/٣- الشوكاني- **البدر الطالع**- ٤٤٥/١- البغدادي-**ايضاح المكنون**- ٢١/١-٧٤- البغدادي- **هدية العارفين**- ٧٥١/١-٧٥٣- عبد الله مرداد- **المختصر من كتاب نشر النور والزهر**- ص٣٦٥- الزركلي- **الاعلام**- ٢٩١/٤- عمر كحاله- **معجم المؤلفين**- ١٠٠/٧.

والـدارس لكتابـات مؤرخـي الحجـاز في هـذا العصـر يلحـظ أنهـم شـكلوا بكتاباتهم مدرسة تاريخيـة مسـتقلة عـن غيرهـا، كمـا عنـوا بتدويـن الأخبـار المستقاه من المصادر الرئيسية وتتبعوا حوادث مكة المكرمة أولاً بـأول وكتبـوا عنها حسب مشاهداتهم ومروياتهم وما يصلهم من معلومات.

ويعد هذا من الملامح المميزة لمدرسـة التـاريخ في مكـة المكرمـة وقتئـذ حيـث اتصفت كتابة التـاريخ هنـاك منـذ عصـر الفاسـي بجمـع وتلخيـص مـا أنجـزه المؤرخون السابقون.

كما امتازت هذه المدرسة التاريخية بالتوسـع والعمـق والشـمول حتـى شملـت الكتابة التاريخية عدداً من المدن في الحجاز وصار أكثر المؤرخـين ينتسـبون إلى بلادهم أو مدنهم التي ظهروا فيها.

بذلك نستطيع القول أن المدرسة المكية التاريخية نشأت على جناحي المدرسـة التاريخية المصرية والشامية، كما أن من أهم الأسباب في نموها المكانـة الدينيـة الخاصة للحـرم المكـي الشـريف إذ عنيـت خاصـة بتـاريخ مكـة فقـد أخـذت عناصرها العلمية في أغلب الأحيان من رجال المدارس الأخرى الذين هـاجروا للمجاورة في مكة بجوار حرمها الشريف.

الخـــــاتمة

بعد كتابة الرسالة بتوفيق من الله -والانتهاء من فصولها وبعد دراسة كتاب جار الله بن فهد دراسة عميقة متأنية توصلت الى النتائج والتوصيات الآتية:

١- أهمية بلاد الحجاز الاستراتيجية لوجود الأماكن المقدسة كالكعبة المشرفة والمسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف، حيث يقصدها مئات الألوف من الحجاج في موسم الحج والعمرة، بالاضافة إلى موقع مكة الجغرافي الفريد الذي ساعد على ازدهارها تجارياً رغم افتقارها إلى الموارد الاقتصادية الطبيعية، حيث أصبحت ملتقى طرق القوافل البرية التي تجوب الجزيرة العربية شمالاً وجنوباً.

٢- حرص القوى الإسلامية الكبرى على السيطرة على بلاد الحجاز ومدنه مكة والمدينة ، وان يخطب لها على منابرها لأن ذلك يجعلها تحمل لقب خادم الحرمين الشريفين ، وحصولها على الزعامة الروحية والسياسة مما يكسبها احترام العالم الإسلامي وتقديره. كما حرص السلاطين العثمانيين منذ اعتلائهم عرش مصر وانتصارهم على المماليك في معركة الريدانية عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م على مد نفوذهم على الأماكن المقدسة ، وبسط سيطرتهم على مكة والمدينة، الأمر الذي يضفي على حكمهم نوعاً من الشرعية ، ويسبغ عليهم الدعم الروحي والمعنوي كمظهر مكمل لسيطرتهم على العالم الإسلامي.

٣- على الرغم من شدة قبضة العثمانيين القوية على بلاد الحجاز ، والتدخل في شؤونه من عزل وتولية ، فإن ذلك لم يؤد الى تغيير جوهري في نظام

الوراثة في حكم مكة المشرفة والمدينة المنورة . فبقي الأشراف الحسنيون يحكمون مكة، والاشراف الحسينيون يحكمون المدينة .

٤- اهتم العثمانيون بالأماكن المقدسة فقاموا ببعض الاصلاحات في الحرمين الشريفين ، وانشاء الأربطة والمدارس واصلاح الطرق وحفر الآبار وبناء البرك وبذل الأموال والهبات والصدقات لأمراء مكة المكرمة وأهلها والمجاورين بها، سواء كانوا مدفوعين إليها بعامل ديني والرغبة الخالصة في عمل الخير ، أم كانوا مدفوعين اليها بعامل سياسي. على أنه يبدو في الغالب أنها كانت مزيجاً من الدوافع الدينية والسياسية وخصوصاً في فترات الصراع للسيادة على الحرمين الشريفين بينهم وبين الصفويين.

٥- لم يكن هناك عرف مقنن ينظم وراثة الحكم في إمرة مكة مما كان سبباً في نشوء الصراع بين الأشراف حول اعتلاء الإمرة ، ومما أتاح الفرصة بالتالي لسلاطين بني عثمان لأن يتدخلوا في تولية الامراء وعزلهم.

٦- اتسمت بعض مواسم الحج بكثرة الفتن والاضطرابات في بلاد الحجاز ، حيث كان يتم العزل والتولية في إمرة مكة في هذه الفترة ، مما يؤدي غالباً الى العصيان والتمرد وإثارة القلاقل والنهب والسلب من قبل الأشراف والقبائل القاطنة من القرب بمكة.

٧- كان للجوء الأشراف أنفسهم إلى سلاطين بني عثمان وإعطائهم الأموال الجزيلة لتحقيق غايتهم في الوصول الى امرة مكة، والإحاطة بحكم منافسيهم أن أدى إلى فقدانهم السيطرة على أمرة مكة، وساعد على تكريس النفوذ العثماني، وسعى العثمانيون من جانبهم إلى تأجيج نار الفتنة بينهم، حتى

اصبح الاضطراب وخلخلة نظام حكم الأشراف ولجوئهم إلى العثمانيين سمة من سمات النفوذ العثماني، وذلك ليسهل لهم التدخل في شؤون مكة ، وتعيين من يشاؤون في إمرتها.

٨- لعبت القبائل القاطنة بالقرب من مكة دوراً بارزاً في استفحال الخلاف واستمرار الصراع بين الأشراف ، وذلك بانضمامهم إلى أحد الأطراف المتنازعة وتأييدهم له مقابل مبلغ كبير من المال ، ثم انتقالهم في مناسبة أخرى لتأييد طرف آخر لنفس الأسباب .

٩- أصبح التنافس والصراع بين الأشراف حول إمرة مكة، سمة من سمات حكمهم، وكان كل منهم يطمع في الوصول الى مكة وتسلم مقاليد السلطة فيها، حتى اصبحت مكة تحكم في بعض الأحيان من قبل شخصين من الاشراف، مما أدى إلى استفحال القلق والنزاع وانعدام الأمن وفقدان السيطرة

١٠- لجأ الشريف ابو نمي إلى تقرير رسوم تصرف عدة مرات في العام للأشراف والقواد لضمان عدم تعرضهم للحجاج ونهب القوافل التجارية إبان موسم الحج ، ومع ذلك فلم يتردد في انتهاج سياسة القمع لتأديب الخارجين عليه .

١١- اتفاق الأشراف والقبائل المجاورة لمكة وتوحيد صفوفهم ونبذهم للخلاف والصراع فيما بينهم ، عندما يحسون بالخطر الخارجي ، وتكوين جبهة داخلية لمقاومة النفوذ المملوكي وعدم الإستسلام لبعض التصرفات والقرارات الجائرة التي يفرضها سلاطين المماليك على أشراف مكة وأهاليها

ويتضح ذلك في فتنة عام ٩٣٢هـ/ ١٥٢٥م ، وفتنة المسجد الحرام عام ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م.

١٢– كان لأمير الحاج المصري دور بارز في إثارة الفتن والاضطرابات وإشعال نار العداوة بين الحجيج في مكة المكرمة والمدينة المنورة ، فقد كان كثيراً ما يتدخل في شؤون مكة الداخلية ويحاول أن يفرض نفوذه أثناء وجوده في الحجاز ، حتى أصبح شريف مكة يتجنب لقاء أمير الحاج أو استقباله خوفاً من أن يتم القبض عليه أو الفتك به .

١٣– تقليص نفوذ امراء الحاج المصري أو الأمراء العثمانيين القادمين إلى مكة في مهمات رسمية خلال هذه الفترة ، وأن ليس لهم الحق في التدخل في شؤون مكة المكرمة ، وأن لاسلطة لهم على أمرائها .

١٤– استطاع الشريف ابو نمي في أوائل ولايته لإمرة مكة المكرمة أن يخضع الأشراف والقبائل ويقضي على معارضتهم له، وأن يخضع المناطق المجاورة ويوسع رقعة نفوذه السياسي في الحجاز منتهجاً سياسة اتسمت بالحزم والقوة والحنكة والدهاء .

١٥– اتخذت سياسة العثمانيين منعطفاً خطيراً ، حيث لم تكتف بالسيادة والنفوذ الاسمي على الأماكن المقدسة ، بل أخذت تطالب أشراف مكة بدفع مبالغ باهظة لقاء إبقائهم في الامرة، واصبحت هذه الأموال ضرائب يدفعها شريف مكة للسلطان العثماني في القاهرة ، وفي حال تأخرها أو عدم الاستطاعة من ارسالها في الوقت المحدد يسارع الشريف إلى إرسال رسله للسلطان العثماني للاعتذار، وطلب رضاه كما حدث في عام ٩٣٣هـ/

١٥٢٦م، عندما أرسل الشريف ابو نمي رسوله عرار بن عجـل الى القـاهرة ، والتزم الشريف بأداء مبلغ ثلاثين ألف دينار إلى السلطان العثماني.

١٦- اعتنى الشريف ابو نمي بميناء جدة الذي أصبح في عهده من أهم مراكز التجارة على البحر الأحمر ، كما اهتـم بتوفـير الأمـن والاسـتقرار في امارتـه، كمـا حـافظ علـى تـأمين الطـرق وسـلامة التجـار ، أثنـاء اقـامتهم بهـا، وفي تنقلاتهم واحاطتها بالحراس حتى تصل القافلة بالمتاجر الى السفن، كمـا عـين نائباً له ليتقاضى الرسوم الجمركية من التجار.

١٧- لعب تجار الهند دوراً هاماً في تجارة بلاد الحجـاز فقـد احتكـروا تجـارة البحر الأحمر والمحيط الهندي ، وخاصة تجارة التوابل والبخور والأقمشة بجميع أصنافها والذخائر النفيسة الغالية الثمن .

١٨- نتيجة لتطور وبروز ميناء جدة الذي حل محل مينـاء عـدن في اسـتقبال تجارة الهند، سـيطر سـلاطين بـني عثمـان علـى التجـارة في موانـيء الحجـاز، وفرضوا نفوذاً مباشراً على موانئه، وذلك للمحافظة على مصـالحهم التجاريـة من جباية الضرائب واحتكار بعض السلع والمتاجر القادمـة مـن الهنـد، فـاهتم السلطان سليم ومن بعده سليمان بأن من يتولى نظر جدة (نيابة جدة) يكـون من الاتراك المتسمين بالقوة والدهاء أو أحد أمراء المماليك ويساعده عدد مـن الموظفين لتحصيل الأموال من التجار وارسالها الى نـائب السـلطان العثمـاني في القاهرة. ثم يتم إرسالها الى العاصمة العثمانية استانبول.

١٩- شدد العثمانيون قبضتهم ، وأحكموا سيطرتهم علـى الحجـاز في عهـد الشريف ابو نمي نتيجة للتطور المستمر الذي شهدته موانيء الحجاز من بدايـة

القرن العاشر الهجري، بتحول تجارة الهند من ميناء عدن الى ميناء جدة، وبذلك أصبح العامل الاقتصادي هو الدافع الرئيسي لسلاطين بني عثمان في بسط سيطرتهم على الحجاز، في حين أصبح الدافع الديني والمعنوي في مرتبة ثانوية.

٢٠– وضح لنا أن دوافع صراع المسلمين مع البرتغاليين داخل البحر الاحمر قد ارتبط بعوامل عديدة انحصرت جميعها في عاملين مهمين وهما الدوافع الصليبية والدوافع الاقتصادية، حيث رأينا كيف نشطت البابوية في سبيل توجيه أنظار العالم الأوربي إلى مهاجمة العالم الإسلامي عن طريق بحاره الجنوبية عقب فشل الحروب الصليبية وارتباك التجارة عبر البحر الاسود والمضايق والاناضول، وكيف انها هددت العالم الإسلامي عن طريق مشاريعها الحربية ومحاولاتها إثارة الدول الأوربية في سبيل إعادة الأتراك العثمانيين إلى داخل آسيا.

٢١– أدرك الجميع بأن سيطرة المسلمين على طرق التجارة هي سر قوتهم، ومن هذا كان اندفاع البرتغاليين والأسبان كل في طريق حسب توجيهات البابوية، وإن كان لهذا الاندفاع الشديد أهداف عديدة فإن من بين تلك الأهداف ما أدى إلى انتقال المواجهة من البر إلى البحر كأسلوب من أساليب المواجهة بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي.

٢٢– لا ننسى هنا أن ننوه بدور العثمانيين في سبيل الوقوف إلى جانب المماليك لمواجهة الخطر البرتغالي، ولكن على الرغم من كافة المساعدات التي أرسلها العثمانيون إلى المماليك، إلا أن الموقف كان يتطلب تعاوناً جدياً

ومشتركاً في سَبيل توحيد الجهود لنزول الجميع الى البحر الاحمر بقوات ضخمة تعبر عن مدى قوة العالم الاسلامي في ذلك الوقت، ولكن الذي حدث هو بعثرة تلك القوات اللازم في ساحة مرج دابق.

٢٣- دخل الاتراك العثمانيون القاهرة عام ٩٢٣هـ/ ١٥١٧م، وكان ذلك يمثل تحولاً جديداً في تطور الاحداث التاريخية في القرن السادس عشر الميلادي داخل العالم العربي، وعلى الرغم من كافة الأسباب التي قد تناقلها المؤرخون في تفسيرهم لأسباب تحول الأتراك من أوربا إلى العالم العربي إلا أننا لا نستطيع أن ننكر أن وصول الأتراك إلى مصر والشام أمر كان لا بد منه في هذه الظروف ذلك لأن الدولة العثمانية كانت قد هددت أوربا من ناحية الشرق، وبوصول البرتغاليين للمحيط الهندي أصبح العالم الاسلامي كله مهدداً من الناحية الجنوبية، وكان على الدولة العثمانية ضرورة حماية هذا العالم ممن طرقوا أبوابه الجنوبية وأن العالم الإسلامي كان يحتاج في تلك الفترة إلى قوة تتمتع بالحيوية والنشاط لترث دولة المماليك.

٢٤- كان العثمانيون في صراعهم مع البرتغاليين قد نجحوا في تأمين البحر الاحمر المجال الحيوي للنشاط البرتغالي في سبيل اتمام حصارهم للعالم العربي عن طريق محاولاتهم الفاشلة للنزول في سواحل الحجاز فليس معنى ذلك أن العثمانيين قد اقتصر نشاطهم داخل البحر الاحمر فقط، وإنما كان لهم نشاط في بحار العرب الجنوبية وخاصة الخليج العربي عن طريق تلك الحملات التي خرجت ابتداء من حملة مصطفى بيرم ٩٣٩هـ/١٥٣٢م وحتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

٢٥- نجح العُثمانيون في القضاء على خطورة البرتغال داخل البحر، وإن نجح البرتغاليون في ضم الهنادكة إلى صفوفهم، فإن الحظ حالف العثمانيين في تكوين جبهة إسلامية موحدة على شواطيء البحر الأحمر.

٢٦- ركزت الدولة العثمانية في سبيل المحافظة على أرواح وممتلكات التجار والحجاج المرافقين لقافلة الحج على بناء القلاع المحصنة، وزودت بفريق الحراسة، فضلاً عن أنها أعطت حق امتياز الحراسة في بعض الأماكن من هذا الطريق الطويل لعدد من القبائل العربية، مقابل مبالغ مالية اتفق بشأنها مثل ما كان يدفع لشيخ قبيلة بشر، التي كانت تقوم بحراسة الطريق من وادي فاطمة إلى بلدة عسفان.

٢٧- من أهم ما يميز التجارة في الحجاز هو ذلك الانتعاش الاقتصادي الذي كانت تعيشه جدة ومكة خلال موسم الحج، حيث كانت تنهال عليها العملات الاجنبية المتعددة من مختلف انحاء العالم، باعتبار أن ما كان يعرض في أسواقها، خلال هذه المدة القصيرة كان فرصة لتجار العالم للقيام بعمليتي البيع والشراء، وهو أشبه ما يكون بالمعرض الدولي الذي تعرض فيه المنتجات العالمية ولمدة محدودة, لذلك فإن التجار في الحجاز وجدوا رواجا اكثر ونفاذاً للسلعة أسرع في فترة وجيزة محققة أرباحاً أفضل مما لو بيعت في الأوقات العادية.

٢٨- استمرار النشاط التجاري في ميناء جدة، حيث تصل القوافل التجارية من شتى بقاع العالم الإسلامي في أي وقت من العام، على العكس من السفن الهندية التي لم تكن تصل إلا مرة واحدة طوال السنة.

٢٩- كان تجار القاهرة ينتظرون وصول السفن الهندية بفارغ الصبر، وكانوا يعمدون إلى ارسال مبالغ مالية كبيرة إلى وكلائهم في جدة، ليتولوا شراء السلع الهندية نيابة عنهم، وذلك دليل على اعتماد التجار في مصر على الحجاز في توفير احتياجاتهم من السلع الهندية التي ترد إلى ميناء جدة، وذلك لأن السلع التجارية تأتي من كافة أنحاء الموانيء إلى ميناء جدة الذي يكون بمثابة همزة الوصل بين موانيء الشرق والغرب.

٣٠- ثبت السلاطين العثمانيين سيطرتهم الدينية بما قاموا به من تعمير وانشاء في الحرمين وصرفوا الأموال الطائلة فيهما ابتغاء مرضاة الله وخوفاً من هذا الا انه كان بيدهم أن يولوا ويعزلوا من شاءوا من القضاة دون ان يمسهم ضرر.

٣١- برز الدور المهم لأمراء وسلاطين بني عثمان وما قاموا به من جهود رائعة لتنشيط الحركة العلمية في الحجاز، وهو ما لم نجده بالشكل المطلوب من أمراء الحجاز الذين أشغلتهم الصراعات الشخصية، والحروب المستمرة من أجل الحكم.

٣٢- كان لنشاط حركة المجاورة الأثر الكبير في زيادة الإهتمام بالمؤسسات العلمية في الحرمين الشريفين، خاصة الربط التي ينزل بها هؤلاء المجاورين.

ظاهرة فريدة امتازت بها مكة والمدينة عن سائر مدن العالم الإسلامي في ذلك العصر، ألا وهي الأسر العلمية التي استمر تواجدها مئات السنين تتوارث الوظائف العلمية والدينية ودورها في تنشيط الحركة العلمية في الحجاز، من خلال المؤلفات العظيمة التي ألفها علماء هذه الأسر، وأوضحنا عن كثير من

اللبس الذي وقع فيه الباحثين والمؤرخين في أنساب الأسر المكية، وكان من أبرز هذه الأسر: أسرة ابن فرحون، وأسرة المطري الزرندي، وأسرة الفاسي، وأسرة ابن فهد، وأسرة الطبري في مكة المكرمة، ومما يدعو إلى الإعجاب اختصاص كل أسرة من هذه الأسر بعلم معين، وإن كانوا يتفقون في مجال العلوم الشرعية.

٣٣- تطور الدراسات التاريخية بشكل كبير في الحجاز خلال هذه الفترة، ويتضح ذلك من القائمة الطويلة لأسماء كبار المؤرخين، أمثال الفاسي، والنجم عمر بن فهد، والعز بن فهد، وغيرهم الذين تركوا لنا الكثير من المصنفات التي أصبح لها اليوم الدور الكبير في كشف الكثير من جوانب الحياة المختلفة للحجاز.

٣٤- من المزايا المهمة للحركة التعليمية بالحجاز في هذه الفترة هو الدور الذي قامت به المرأة في نشاط الحركة العلمية، فقد شارك نساء الحجاز في شتى العلوم، والقين الدروس، وحصلن على الإجازات، وأشرفن على الأربطة، ومما يلفت الإنتباه أن المشاركة لم تقتصر على نساء الأسر المشهورة بل شارك العديد من نساء المجتمع عامة في فنون العلم، ومشاركة المرأة في ذلك لا نجده في كثير من الأحيان في أصقاع أخرى من العالم الاسلامي.

كان لتوفر الأربطة العديدة التي أنشئت في مكة المكرمة الدور الكبير الذي لعبته في تأمين السكن والاستقرار لكثير من طلاب العلم الوافدين الى الحج وكثير غيرهم ممن يقصدون مكة المكرمة وساعد على تعدد هذه الأربطة والعناية بها الخدمات الاجتماعية التي كانت تؤديها أن بعض السلاطين

والأغنياء هم الّذين كانوا ينفقون عليها، وقد أوقفوا لها أوقافاً لاستمرار تزويدها بكل ما يحتاجه المقيمون فيها.

٣٥- كانت مكة المكرمة في عصر ابن فهد تستقطب كثيراً من علماء المسلمين الذين كانوا ينزحون عن مواطنهم منصرفين إلى طلب العلم حيث يدفعهم الوازع الديني أو الفرار من جحيم الصراع السياسي في بلادهم، بذلك أصبح يتجمع ويتركز فيها أصحاب المواهب ويبرز فيها التفوق والنبوغ الديني والمعرفي.

٣٦- لم يعد المسجد هو المكان الوحيد الذي يلتحق فيه التلاميذ وطلاب المعرفة بل ظهر الى جواره التوسع في إنشاء المدارس، التي تنافس السلاطين والامراء والوزراء والتجار ورجالات العصر في تأسيسها وجلب العلماء اليها في مختلف فروع العلم الاسلامي ولقد رُتب لهذه المدارس المدرسون المعيدون والطلاب والأئمة والمؤذنون ووقفت على الجميع أوقافه للإنفاق عليهم لسد متطلباتهم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: (القرآن الكريم):

ثانياً: المصادر العربية المخطوطة:

١- الحضراوي- احمد محمد المكي (ت ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م)- **الجواهر المعدة من فضائل جدة وتاريخها**- نسخة مكتبة الحرم المكي- رقم٢٧- تاريخ دهلوي.

٢- السنجاري- علي تاج الدين بن تقي الدين (ت ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م)- **منائح الكرم في اخبار مكة والبيت وولاة الحرم**- مخطوطة مصورة بمكتبة الحرم المكي- رقم٣٠- تاريخ دهلوي.

٣- الشلي- محمد بن ابي بكر المكي (ت ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م) **السنا الباهر بتكميل النور السافر في أخبار القرن العاشر**- مخطوط- مكتبة شستر بتي- ايرلندا- رقم٥٢٣.

٤- الصباغ- محمد احمد المكي (ت ١٣٢١هـ/ ١٩٠٣م)- **تحصيل المرام في اخبار البلد الحرام**- مخطوطه مصوره مكتبة الحرم المكي رقم١١- تاريخ، دهلوي.

٥- الطبري- علي عبد القادر محمد الحسيني (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٦٠م)- **كتاب الارج المسكي في التاريخ المكي**- مخطوطه مصوره بمكتبة الحرم المكي رقم٣- تاريخ دهلوي.

٦- العجيمي- حسن بن علي بن يحيى بن عمر (ت ١١١٣هـ/ ١٧٠١م)- **تاريخ مكة والمدينة والطائف**- مخطوطه مصوره- جامعة الملك عبد العزيز رقم١٧٦.

٧- الفاسي- تقي الدين بن محمد بن حمد (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) - **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرفه**- نسخة مكتبة الحرم المكي رقم١٥١٤- تاريخ دهلوي.

٨- ابن فهد- عبد العزيز بن عمر بن محمد (عز الدين) (ت ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م) **بلوغ القرى في ذيل اتحاف الورى بأخبار ام القرى**- نسخة مكتبة الحرم المكي رقم١- تاريخ دهلوي.

٩- ابن فهد- عمر بن محمد (نجم الدين) -**الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الامين**- نسخة مكتبة رضا رامبور- الهند- تاريخ رقم٣٦١٢.

١٠- ابن فهد- محمد بن عبد العزيز- (جار الله) -**تحفة الناس بخبر رباط العباس**- مخطوط- جامعة يال- امريكا- رقم٢٣٥.

١١- ________ **الجواهر الحسان في مناقب السلطان سليمان بن عثمان**- مخطوط- جامعة استنبول- رقم٣٦٠.

١٢- ________ **الخبر المرفوع في أيام الاسبوع**- مخطوط جامعة بيل الامريكية- امريكا- رقم٢٢٥.

١٣- ________ **منهل الظرافه بذيل مورد اللطافه**- مخطوط- مكتبة مكة المكرمة- جامعة اسطنبول- رقم٣٦٠.

١٤- القليوبي- شهاب الدين- **هذا تاريخ مكة**- مخطوطه مصوره بمكتبة الحرم المكي رقم٢٧٠٤- تاريخ.

١٥- مؤلف مجهول- **احوال الحرمين الشريفين والمسجد الاقصى**- مكة- مكتبة الحرم المكي- رقم ١٤٦٤.

ثالثاً: المصادر العربية المطبوعة:

١- ابن الآبار- محمد بن عبد الله القضاعي (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)- **التكمله لكتاب الصله**- تحقيق عزت العطار- القاهره- دار الكتب- ١٣٧٥هـ.

٢- ابن الاثير- علي بن محمد الشيباني (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) - **الكامل في التاريخ**- بيروت- دار صادر- ١٩٦٦م.

٣- ابن الاخوه- ضياء الدين محمد القرشي (٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م) - **معالم القريه في احكام الحسبه**- نشر روبن ليفي- كمبردج- ١٩٣٨م.

٤- الادريسي- محمد بن عبد الله (ابو عبد الله) (ت ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م)- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**- ج٢- تحقيق كوربللي وآخرين- نابلي- معهد الدراسات الشرقية- ١٩٦٥م.

٥- الازرقي- محمد بن عبد الله (ت ٢٥٠هـ/٨٦٥م)- **اخبار مكة وما جاء فيها في الآثار**- تحقيق رشدي الصالح ملحس- مكة المكرمة- دار الثقافة- ١٣٨٥هـ.

٦- الاسدي- احمد بن محمد المكي (ت ١٠٦٦هـ/ ١٦٥٦م)- **اخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام**- تحقيق الحافظ غلام مصطفى- القاهرة- دار الصحوة- ١٩٧٦م.

٧- الاسنوي- عبدا لرحيم بن حسن بن علي (جمال الدين) (ت ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)- **طبقات الشافعيه**- تحقيق عبد الله الجبوري- ج١- بغداد- دار العلم- ١٣٩٠هـ.

٨- الألوسي- محمود البغدادي (شهاب الدين) ت(١٢٧٠هـ-١٨٥٢م) -**روح المعاني**- ج١- ط٤- بيروت- دار إحياء التراث- ١٤٠٥هـ.

٩- ابن اياس- محمد بن احمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٤م)- **بدائع الزهور في وقائع الدهور**- ج١- نشر محمد مصطفى- القاهرة- دار المعارف- ١٩٦٣م.

١٠- البتنوني- محمد لبيب- **الرحلة الحجازية**- ط٣- الطائف- مكتبة المعارف- د.ت.

١١- ابن بطوطه- محمد بن عبد الله- **تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار**- ط١- بيروت- دار الكتب العلمية- ١٤٠٧هـ.

١٢- البغدادي- اسماعيل باشا (ت ١٣٣٩هـ/ ١٩٢٠م)- **هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين**- اسطنبول- ١٩٥١م.

١٣- ابن بكر- احمد بن علي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)- **الكفايه في علم الروايه**- ط١- القاهره- دار الكتب الحديثه- د.ت.

١٤- البكري- عبد الله بن عبد العزيز ت(٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م)- **معجم ما استعجم**- ج١- تحقيق مصطفى السقا- القاهرة- لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٩٤٥م.

١٥- البلاذري- احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ/ ١٠٩٤م) - **فتوح البلدان**- تعليق رضوان محمد رضوان- بيروت- دار الكتب العلميه- ١٣٩٨هـ.

١٦- البلوي- خالد بن عيسى (ت قبل ٧٨٠هـ/ ١٣٧٨م)- **تاج المفرق في تحليه علماء المشرق**- رحلة البلوي- تحقيق الحسن السائح- ج٢- المغرب-احياء التراث- ١٢٤٢هـ.

١٧- التجيبي- القاسم بن يوسف (ت ٧٣٠هـ/ ١٣٢٩م)- **مستفاد الرحلة والاغتراب**- تحقيق عبد الحفيظ منصور- تونس- الدار العربيه- ١٩٨١م.

١٨- ابن تغري بردي- يوسف (جمال الدين) (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)- **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**- ج٧- تحقيق فهيم شلتوت- القاهرة- مطابع وستاتوماس- ١٩٧٠م.

١٩- التفتازاني- الغنيمي (ابو الوفاء) (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م) - **ابن سبعين وفلسفة الصوفيه**- بيروت- دار الكتاب- ١٩٧٣م.

٢٠- الثعالبي- عبد الملك (ابو منصور) (ت ٤٢٩هـ/١٠٣٨م) - **يتيمة الدهر**- القاهره- دار المعارف- ١٩٣٩م.

٢١- الجاحظ- عثمان (ابو عمر) (ت ٢٥٥هـ/ ٨٦٨م) - **البيان والتبيين**- ج٢- تحقيق عبد السلام هارون- الطبعة الثالثه- القاهره- مكتبة الخانجي- ١٩٦٨م.

٢٢- الجذري- محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م) **غاية النهاية في طبقات القراء**- ج١- تحقيق براجسترار- الطبعه الثالثه- بيروت- دار الكتب العلميه- ١٤٠٢هـ.

٢٣- الجزيري- عبد القادر محمد الانصاري (ت ٩٧٦هـ/ ١٥٦٨م)- **الدرر الفرائد المنظمة في اخبار الحاج وطريق مكة المعظمة**- ج١- تحقيق حمد الجاسر- القاهرة- مطبعة نهضة مصر- ١٤٠٣هـ.

٢٤- ابن جوزي- عبد الرحمن (جمال الدين) (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م)- **تلبيس ابليس**- بيروت- دار الفكر- ١٩٨٢م.

٢٥- ابن حجر العسقلاني- احمد (شهاب الدين) (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)- **أنباء الغمر بأنباء العمر**- ج٥- تحقيق عبد الله الحضرمي- ط٢- بيروت- دار الكتب العلمية- ١٤٠٦هـ.

٢٦- ابن حجر الهيثمي- احمد بن محمد بن علي (ت ٩٧٤هـ/ ١٥٦٧م) - **تحرير المقال في آداب واحكام وفوائد يحتاج اليها مؤدبو الاطفال**- تحقيق سليمان اسحاق عطيه- القاهره- دار المعارف- ١٩٧٨م.

٢٧- الحميري- محمد عبد المنعم (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)- **الروض المعطار في خير الاقطار**- تحقيق احسان عباس- بيروت- مكتبة لبنان- ١٩٧٥م.

٢٨- ابن حنبل- احمد محمد (ت ٢٤١هـ/ ٨٥٥م)- **المسند**- تحقيق احمد شاكر- القاهرة- دار المعارف- ١٣٧٤هـ.

٢٩- ابن حوقل- النصيبي (ابو القاسم)- **صورة الارض**- تحقيق دي جويه-ط٢- ليدن- بريل- ١٩٦٧م.

٣٠- ابن الخطيب البغدادي- احمد بن علي (ابو بكر) (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م)- **الرحله الحجازيه في طلب العلم**- تحقيق نور الدين عتر- ط١- بيروت- دار صادر- ١٣٩٥هـ.

٣١- ابن خلدون- عبد الرحمن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)- **العبر وديوان المبتدأ والخبر**- ج٥- بيروت- مؤسسة مجلي للطباعة- ١٣٩٩هـ.

٣٢- ابن خلكان- احمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م)- **وفيات الاعيان في ابناء ابناء الزمان**- تحقيق احسان عباس- القاهره- دار الفكر- ١٩٧٢م.

٣٣- ابن خليفه- حاجي مصطفى بن عبد الله (ت ١٠٦٧هـ/ ١١٥٧م) - **كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون**- نشر محمد شرف الدين- اسطنبول- ١٩٤٣م.

٣٤- ابن الدائي- عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ/ ١٠٥١م) - **التيسير في القراءات السبع**- استانبول- جمعية المستشرقين الالمانيه- ١٩٣٠م.

٣٥- الدارمي- عبد الله الفضل- **سنن الدارمي**- ج١- بيروت- دار الكتب- ١٣٩٦هـ.

٣٦- الداري- عبد القادر التميمي (تقي الدين) (ت ١٠٠٥هـ/ ١٥٩٦م)- **الطبقات السنيه في تراجم الحنفيه**- ج١- تحقيق عبد الفتاح الحلو- الطبعة الاولى- الرياض- دار الرفاعي- للنشر- ١٩٨٣م.

٣٧- ابن داود- سليمان بن الاشعث (ت ٢٧٥هـ/ ٨٨٨م)- **سنن ابي داود**- راجعه محمد محي الدين عبد الحميد- القاهره- المكتبه التجاريه- د.ت.

٣٨- الدحلان- احمد زيني (ت ١٣٠٤هـ/ ١٨٨٦م)- **خلاصة الكلام في بيان امراء البلد الحرام**- مصر- ١٣٠٥هـ.

٣٩- ________ **الفتوحات الاسلامية**- ج٢- ط١- القاهرة- مؤسسة الحلبي- فؤاد الصياد- المغول- في التاريخ- القاهرة- دار النهضة- ١٩٦٠م.

٤٠- ابن دقماق- ابراهيم محمد (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٧م)- **الانتصار لواسطة عقد الامصار**- تحقيق لجنة احياء التراث- بيروت- دار الآفاق- ١٤٠٢هـ.

٤١- ابن دقيق العيد- محمد (تقي الدين) (ت ٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م)- **الاقتراح في بيان الاصطلاح**- تحقيق قطحان عبد الرحمن الدوري- القاهرة- دار المعارف- د.ت.

٤٢- الدميري- محمد بن موسى (كمال الدين) (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م)- **حياة الحيوان الكبرى**- ج٢- بيروت- دار الفكر- ١٩٧٢م.

٤٣- ابن الديبع- عبد الرحمن بن علي (ت ٩٤٣هـ/ ١٥٣٦م)- **الفضل المزيد على بغية المستفيد في اخبار زبيد**- تحقيق محمد عيسى صالحيه- الكويت- المجلس الوطني- ١٩٨٢م.

٤٤- الذهبي- محمد بن احمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٨م) - **سير اعلام النبلاء**- تحقيق شعيب الارناوط- بيروت- مؤسسة الرسالة -١٩٨٠م.

٤٥- الزبيدي- محمد المرتضى (محب الدين) (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م)- **شرح القاموس المسمى تاج العروس من جواهر القاموس**- بيروت- دار الفكر.

٤٦- السبكي- عبد الوهاب بن علي (ت ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م) - **طبقات الشافعيه**- تحقيق محمود الطناحي وعبد الفتاح الحلو- ط١- القاهره- مطبعة الحلبي- ١٩٦٥م.

٤٧- ابن سحنون- عبد السلام بن سعيد (ت ٢٥٦هـ/٨٧٠م)- محمد - **آداب المعلمين**- تحقيق حسن حسني عبد الوهاب- تونس- ١٣٩٢هـ.

٤٨- السخاوي- محمد بن عبد الرحمن (شمس الدين) (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م) **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**- ج٣ - القاهرة- مكتبة حسام المقدسي- ١٣٥٣هـ.

٤٩- ________ **التبر المسبوك في ذيـل السـلوك**- القـاهره- مكتبـة الكليـات الأزهريه- بدون تاريخ.

٥٠- السلمي- عـرام بـن الأصبـغ (ت ٩٢١هــ/ ١٤١٨م)- **اسمـاء جبـال تهامـه وسكانها**- ج٢- تحقيق عبد السلام هــارون- ط٢- القـاهرة- مصطفـى الحلبي- ١٣٩٤هـ.

٥١- السمهودي- علي بن احمــد (ابـو الحسـن) (ت ٩١١هــ/ ١٥٠٥م)- **وفـاء الوفاء بأخبار دار المصطفى**- تحقيق محمد محي- القاهرة- ١٣٧٤هـ.

٥٢- ابـن سيده- علـي بـن اسمـاعيل (ابــو الحســن) (ت ٤٥٨هـــ/ ١٠٦٥م)- **المخصص**- بيروت- المجاريه- ١٩٦٧م.

٥٣- السيوطي- عبد الرحمن بن ابي بكر (جلال الدين) (ت ٩١١هـــ/ ١٥٠٥م) -**حسـن المحاضره في تـاريخ مصـر والقـاهره**- ج١- تحقيـق محمـد ابــو الفضـل ابراهيم-القاهرة- دار احياء الكتب العربيه- ١٣٨٧هـ- ١٩٦٧م.

٥٤- ________ **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاه**- ج١- تحقيق محمـد ابو الفضل ابراهيم- بيروت- المكتبه العصريه- ١٣٨٤هـ.

٥٥- ________ **تاريخ الخلفاء**- تحقيق محمد محي الديـن عبـد الحميـد- ط٤- القاهره- ١٣٨٩هـ.

٥٦- ________ **تدريـب الـراوي في تقريـب النـواوي**- ج١- القـاهره- دار الكتب الحديثه- د.ت.

٥٧- ________ **طبقـات الحفـاظ**- الطبعـة الاولى- بـيروت- دار الكتـب العلميه- ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

٥٨- ________ **ذيل طبقات الحفاظ** - نشر محمد امين- القاهرة- دار احياء التراث العربي- د.ت.

٥٩- ابن شاهين- خليل الظاهري (غرس الدين) (ت ٧٨٣هـ/ ١٤٦٧م) **زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك**- تحقيق بال رافيس- باريس- المطبعة الجمهورية- ١٨٩١م.

٦٠- الشوكاني- محمد علي (ت ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م)- **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن التاسع**- القاهرة- مطبعة السعادة- ١٩٥١م.

٦١- الشيرزي- عبد الرحمن بن نصر بن عبد الله (ت ٥٩٠هـ/١١٩٣م) - **نهاية الرتبة في طلب الحسبه**- تحقيق الباز العريني- الطبعة الثانية- بيروت- دار الثقافة- ١٩٧٣م.

٦٢- الصابي- المحسن (ابو هلال) (ت ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م)- **رسوم دار الخلافه**- تحقيق ميخائيل عواد- بغداد- ١٩٦٤م.

٦٣- الصفدي- خليل ايبك (صلاح الدين) (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)- **الوافي بالوفيات**- تحقيق مجموعة من المحققين- بون- جمعية المستشرقين- ١٣٨١هـ.

٦٤- ابن صلاح- عثمان بن عبد الرحمن الشهروزي (ابو عمرو) (ت ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)- **ادب المفتي والمستفتي**- تحقيق موفق بن عبد القادر- المدينه المنوره- مكتبة العلوم والحكم- ١٤٠٧هـ.

٦٥- ________ **مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح**- تحقيق عائشة عبد الرحمن-مصر- دار الكتاب-١٩٧٤م.

٦٦- ـــــــــــــ **علوم الحديث**- مقدمة ابن اصلاح- تحقيق نور الدين عتر- الطبعة الثانية- المدينه المنورة- المكتبه العلمية- ١٩٧٢م

٦٧- الطبري- محمد بن جرير(ابو جعفر) (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)- **تاريخ الرسل والملوك**- ج٢-القاهرة- دار المعارف- ١٣٢٦هـ.

٦٨- الطبري- محمد علي المكي (ت ١١٧٣هـ/ ١٧٦٠م)- **اتحاف فضلاء الزمن بتاريخ ولاية بني حسن**- تحقيق ناصر عبد الله البركاتي- رسالة دكتوراة (غير منشورة)- جامعة ما نشستر- ١٤٠٣هـ.

٦٩- ابن طولون- محمد (شمس الدين) (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٦م)- **مفاكهة الخلان في حوادث الزمان**- تحقيق محمد مصطفى-القاهرة- المؤسسة المصرية العامه- ١٩٦٤م- ج٢ ص٦٣.

٧٠- ـــــــــــــ **اعلام الورى بمن ولي نائباً من الاتراك بدمشق الكبرى**- تحقيق محمد احمد دهمان- دمشق- مطبوعات احياء التراث- ١٩٦٤م.

٧١- الطيبي- الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢م) - **الخلاصه في اصول الحديث**- تحقيق صبحي السامراني - بغداد- رئاسة ديوان الاوقاف العراقيه- ١٣٩١هـ.

٧٢- ابن ظهيره- محمد القرشي (جمال الدين) (ت ٩٨٦هـ/ ١٥٧٨م)- **الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة**- تحقيق مصطفى السقا- القاهرة- مركز تحقيق التراث- ١٩٦٩م.

٧٣- ابن عبد ربه- احمد بن محمد (شهاب الدين) (ت ٣٢٨هـ/٩٤٠م)- **العقد الفريد**- ج٢- ط٣- القاهرة- دار النهضة- ١٩٦٥م.

٧٤- العصامي- عبد الملك حسين المكي (ت ١١٠١هـ/ ١٦٩٠م)- **سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل التوالي**- القاهره- المطبعة السلفية- د.ت.

٧٥- ابن العماد- عبد الحي الحنبلي (ابي الفلاح) (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)- **شذرات الذهب في اخبار من ذهب**- ط١- بيروت- دار الفكر- ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

٧٦- العمري- ابن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)- **مسالك الامصار في ممالك الامصار**- تحقيق احمد زكي- القاهرة- دار العلم- ١٩٢٤م.

٧٧- العياشي- عبد الله بن محمد (ت ١٠٩٠هـ/١٦٧٩م)- **الرحلة العياشية**- ماء الموائد- الرباط- ١٩٧٧.

٧٨- العيدروسي- عبد القادر (محي الدين) (ت ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م)- **النور السافر عن أخبار القرن العاشر**- تصحيح محمد رشيد- بغداد- مطبعة الفرات- ١٩٣٤م.

٧٩- الغزي- محمد بن محمد بن احمد (نجم الدين) (ت ١٠٦١هـ/ ١٦٥١م) - **الكواكب السائرة بأعيان المائه العاشره**- تحقيق جبرائيل سليمان جبور- بيروت- دار الآفاق- ١٩٧٩م.

٨٠- الفاسي- محمد بن حمد (تقي الدين) (ت ٨٣٢هـ/ ١٤٢٩م) - **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**- تحقيق عمر عبد السلام- بيروت- دار الكتاب- ١٤٠٥هـ.

٨١- ________ **العقد الثمين في تاريخ البلدالامين**- ج٣- تحقيق محمد فؤاد السيد-بيروت- مؤسسة الرسالة-١٤٠٥هـ.

٨٢- الفاكهي- محمد بن اسحق بن العباس (ت بعد ٢٧٢هـ/٨٨٥م)- **اخبار مكة في قديم الدهر وحديث**- تحقيق عبد الملك بن دهيش- ج٢- النهضة الحديثه- مكة المكرمة- ١٤٠٧.

٨٣- ________ **المنتقى في اخبار ام القرى**- بيروت- دار الكتاب- ١٩٦٠م.

٨٤- الفخري- سعيد (ابو محمد)- **الآداب السلطانيه**- بيروت- دار الكتاب- ١٩٧٦م.

٨٥- ابو الفداء- اسماعيل بن علي (الملك المؤيد) (ت ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م)- **تقويم البلدان**- تحقيق ماك كوين ويسلان- باريس- دار الطباعة السلطانيه- ١٧٤٠م.

٨٦- ابن الفرات- محمد عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)- **تاريخ الدول والملوك**- ج٩- تحقيق قسطنطين رزيق- بيروت- الجامعة الامريكية- ١٩٤٢م.

٨٧- ابن فرحون- ابراهيم بن علي (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) - **الديباج المذهب في معرفة اعيان علماء المذهب**- ج٢- تحقيق محمد الاحمدي- القاهره- دار التراث- ١٩٧٢م.

٨٨- ابن فهد- عبد العزيز بن عمر (عز الدين) **غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام**- ج٢- تحقيق فهيم شلتوت- مكة- جامعة ام القرى- ١٤٠٩هـ.

٨٩- ابن فهد- عمر بن محمد (نجم الدين) - **اتحاف الورى بأخبار أم القرى**- ج٣- تحقيق فهيم شلتوت- مكة- جامعة ام القرى-١٤٠٤هـ.

٩٠- ________ **معجم الشيوخ**- تحقيق محمد الزاهي- الرياض- دار اليمامه- ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

٩١- ابن فهد- محمد بن عبد العزيز (جار الله) (ت ٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م- **تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف**- تعليق محمد كمال ومحمد الشقحاء- الطائف- النادي الادبي- ١٤٠٦هـ.

٩٢- ابن فهد- محمد بن محمد (التقي) (ت ٨٧١هـ/ ١٤٦٦م)- **لحظ الالحاظ بذيل طبقات الحفاظ**- مطبوع مع ذيول تذكرة الحفاظ للذهبي- بيروت- دار احياء التراث العربي.

٩٣- الفيروزي ابادي- محمد بن يعقوب (ت ٨١٧هـ/ ١٤١٤م) - **القاموس المحيط**- القاهره- دار المأمون- ١٩٣٨م.

٩٤- ابن قاضي شهبه- احمد (ابي بكر) (ت ٨٥١هـ/ ١٤٤٨م)- **طبقات الشافعيه**- تحقيق عبد العلم خان- بيروت- دار الندوة- ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

٩٥- القزويني- زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م)- **آثار البلاد وأخبار العباد**- بيروت- دار صادر- ١٩٨١م.

٩٦- القطبي- عبد الكريم محب الدين (ت ١٠١٤هـ/ ١٦٠٥م)- **اعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام**- علق عليه احمد محمد جمال- عبد العزيز الرفاعي- ط١- الرياض- دار الرفاعي- ١٩٨٧م.

٩٧- القلقشندي- احمد بن علي (شهاب الدين)(ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م)- **صبح الاعشى في صناعة الانشاء**- تحقيق محمد حسين شمس الدين- بيروت- دار الفكر- ١٩٨٧م.

٩٨- ________ **نهاية الارب في معرفة انساب العرب**- تحقيق ابراهيم الابياري- القاهرة- دار المعرفة-١٩٥٩م.

٩٩- ابن قيم الجوزيه- محمدبن ابي بكر بن ايوب (شمس الدين) (ت ٧٥١هـ/١٣٥٠م) - **الطب النبوي**- مكة- دار الثقافه- ١٣٩٩هـ.

١٠٠- الكتاني- عبد الحي بن عبد الكبير (ت ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م) - **فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**- دار الغرب الاسلامي- بيروت- دار الغرب- ١٤٠٦هـ.

١٠١- ______________ **نظام الحكومه النبويه المسمى التراتيب الاداريه**- بيروت- دار الفكر- ١٤٠٩هـ.

١٠٢- الكتبي- محمد بن شاكر (صلاحي الدين) (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) - **فوات الوفيات**- تحقيق احسان عباس- بيروت- دار صادر- ١٩٧٣م.

١٠٣- ابن كثير- اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م) - **البداية والنهاية**- تحقيق احمد ابو ملحم- بيروت- دار الكتب العلمية- ١٤٠٥هـ.

١٠٤- الكردي- محمد طه- **التاريخ القويم لمكة وبيت ا لله الكريم**- ج٢- مكه- مكتبة النهضة الحديثة- ١٣٨٥هـ.

١٠٥- ابن ماجه- محمد بن يزيد (الحافظ ابي عبد ا لله) (ت ٢٧٣هـ/٨٨٦م)- **سنن ابن ماجه**- تحقيق محمد فؤاد- القاهره- دار الفكر- ١٣٩٣هـ.

١٠٦- الماوردي- علي بن محمد بن حبيب (ابو الحسن) (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م)- **الاحكام السلطانيه**- بيروت- دار الكتب العلميه- ١٣٩٨هـ.

١٠٧- ابن المجاور- يوسف بن يعقوب (جمال الدين) (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)- **صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز**- المسماه تاريخ المستبصر - تحقيق اوسكر لوقفرين- ليدن- مطبعة ابريل- ١٩٥١م.

١٠٨- المحبي- احمد بن عبد الله بن محمد الطبري (ابي العباس) (ت ٦٩٤هـ/١٢٩٥م)- **القرى لقاصد ام القرى**- تحقيق مصطفى السقا- ط٢- القاهره- دار الفكر- ١٣٩٠هـ.

١٠٩- المرداد- عبد الله بن احمد المكي (ابو الخير) (ت ١٣٤٣هـ/ ١٩٥٤م)- **المختصر من كتاب نشر النور والزهر في تراجم أفاضل مكة من القرن العاشر الى القرن الرابع عشر**- اختصار محمد العامودي واحمد علي- جدة عالم المعرفة- ١٤٠٦هـ.

١١٠- ابن مسكويه- احمد بن محمد (ابو علي) (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) - **تهذيب الاخلاق**- بيروت- دار الكتب العلميه- ١٩٨١م.

١١١- مسلم- الحجاج (ابو الحسين) (ت ٢٦١هـ/ ٨٧٥م)- **صحيح مسلم**- القاهره- المطبعة الاميريه- ١٢٩٠هـ.

١١٢- المغراوي- احمد بن جمعه (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م) - **جامع جوامع الاختصار والتبيان**- ج٢- تحقيق احمد البدوي- وروابح بونار- الجزائر- ١٩٨٣م.

١١٣- المقريزي- احمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) **درر العقود الفريده في تراجم الاعيان المفيده**- ج١- تحقيق محمد كمال الدين عز الدين علي- ط١- بيروت- عالم الكتب- ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

١١٤- ــــــــــــ **اغاثة الامة بكشف الغمة**- القاهرة- مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٩٤٠م.

١١٥- ـــــــــــــ **السلوك لمعرفة دول الملوك**- ج١- تحقيق سعيد عاشور- القاهرة- دار الكتب العلمية- ١٤٠٦هـ.

١١٦- الملطي- عبد الباسط بن خليل (ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)- **نزهة الاساطين فيمن ولي مصر من السلاطين**- تحقيق محمد كمال الدين- الطبعة الاولى- القاهرة- مكتبة الثقافة الدينيه- ١٩٨٧م.

١١٧- ابن منظور- ابو الفضل جمال الدين محمد(ت ٧١١هـ/١٣١١م) **لسان العرب**- ج١١- بيروت- دار صادر- ١٩٦٧م.

١١٨- الموسوي- محمد بن عبد الله الحسني (ت ١٠٧٠هـ/ ١٦٥٩م)- **رحلة الشتاء والصيف**- تحقيق محمد سعيد طنطوي- القاهره- ١٣٩٣هـ.

١١٩- النباهي- علي بن عبد الله (ت أواخر القرن الثامني الهجري)- **المراقبه العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**- بيروت- المكتب التجاري- ١٩٨١م.

١٢٠- النهروالي- محمد بن علاء الدين (قطب الدين) (ت ٩٩٠هـ/ ١٥٨٢م) **الاعلام بأعلام بيت الله الحرام**- طبعة مصوره- بيروت- دار خياط- ١٩٦٤م.

١٢١- ـــــــــــــ **البرق اليماني في الفتح العثماني**- تحقيق حمد الجاسر- الرياض- دار اليمامه- ١٣٨٧هـ.

١٢٢- الهاشمي- غريب بن الشيخ عجيب- **سياحتي الى الحجاز وهي حوادث واقعية**- القاهرة- ١٩١٥م.

١٢٣- الهمداني- الحسن بن محمد بن يعقوب (ت ٣٣٤هـ/ ٩٤٦م)- **صفة جزيرة العرب**- تحقيق محمد بن علي الاكوع- الرياض- دار اليمامه- ١٩٧٤م.

١٢٤- الونشريشي- احمد بن يحيى (ت ٩١٤هـ/ ١٥٠٨م)- **الالماع الى معرفة اصول الرواية وتقييد الاسماع**- تحقيق احمد صقر- ط٢- القاهره- مكتبة التراث- ١٣٨٩هـ.

١٢٥- ياقوت الحموي- عبد الله (شهاب الدين) (ت ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م)- **معجم البلدان**- ج٢- بيروت- دار بيروت- ١٤٠٠هـ.

١٢٦- اليعقوبي- احمد بن يعقوب بن جعفر (ت ٨٩٧هـ/ ١٤٩١م)- **تاريخ اليعقوبي**- ج٣- النجف-١٣٥٨هـ.

رابعاً: المراجـــع العربية:

١- آمنة حسين جلال - **علاقة سلاطين بني رسول بالحجاز**- رسالة ماجستير (غير منشورة)- مكة- جامعة الملك عبد العزيز- ١٤٠٠هـ.

٢-__________ **طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي**- رسالة ماجستير (غير منشوره) جامعة ام القرى- ١٤٠٧هـ.

٣- إيفانوف نيقولاي- **الفتح العثماني للأقطار العربية**- ترجمة يوسف عطا الله- بيروت- دار الفارابي- ١٩٨٨م.

٤- ابراهيم علي طرخان- **مصر في عهد دولة المماليك الجراكسه**- القاهره- دار الفكر- ١٩٥٩م.

٥- احمد الشنتاوي وآخرون- **دائرة المعارف الاسلامية**- القاهرة-دار المعارف- ١٩٦٤م.

٦- احمد التونجي- **معجم المعربات الفارسية في اللغة العربية**- دار الادهم- دمشق- ١٩٨٨م.

٧- احمد عطية الله- **القاموس الاسلامي**- القاهره- مكتبة النهضة - ١٩٥٦م.

٨- احمد عيسى بك - **تاريخ البيمارستان**- دمشق- ١٣٥٧هـ.

٩- احمد فؤاد المتولي- **الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته**- القاهره- دار الكتاب- ١٩٨٢م-.

١٠- احمد محمد الشعفي- **النور الوضاء في بيان احكام القضاء**- جدة- دار العلم- ١٤١٤هـ.

١١- احمد محمد عدوان- **المماليك وعلاقاتهم الخارجية**- الرياض- مطبعة الفرزدق- ١٤٠٥هـ.

١٢- ادهم مصطفى- **الاطلس التطبيقي للبلاد العربية**- حلب- دار ربيع- ١٩٥٦م.

٣٤- ادي شير- **الالفاظ الفارسية المعربة**- بيروت- المطبعة الكاثوليكية- ١٩٦٨م.

٤٥- اسماعيل احمد ياغي- **الدوله العثمانيه في التاريخ الاسلامي الحديث**- ط١- مكتبة الرياض- العبيكان- ١٩٦٩م.

١٥- اسماعيل حقي الجارشلي- **امراء مكة في العهد العثماني**- ترجمة خليل مراد- البصره- مركز دراسات الخليج العربي- ١٩٨٥م.

١٦- ايرامارفين لابيدوس- **مدن الشام في العصر المملوكي**- ترجمة سهيل زكار- دمشق- دار حسان- ١٤٠٥هـ.

١٧- بطرس البستاني- **محيط المحيط**- بيروت- ١٩٧٠م.

١٨- جرجي زيدان- **تاريخ آداب اللغة العربية** - القاهرة- دار الهلال- د.ت.

١٩- ________ **تاريخ التمدن الاسلامي**- علق عليه حسين مؤنس- القاهره- دار الهلال- ١٩٦٨م.

٢٠- جمال محمود حجر- **التوسع العثماني في الشرق العربي**- الدوحه- مكتبة العلي- ١٩٨٩م.

٢١- حسن ابراهيم حسن- **تاريخ الاسلام**- الطبعة الاولى- القاهرة- النهضة المصريه- ١٩٦٧م.

٢٢- حسن باشا- **الفنون الاسلامية والوظائف**- القاهرة- مكتبة النهضة المصرية- ١٩٦٨م.

٢٣- حمد الجاسر- **بلاد ينبع**- الرياض- دار اليمامه- ١٩٦٥م.

٢٤- حمد بن ابراهيم الحقيل- **كنز الانساب ومجمع الآداب**- الرياض- دار العبيكان- ١٤١٨هـ.

٢٥- حمزه عبد اللطيف- **الحركة الفكريه في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي**- الطبعة الثامنه- القاهره- دار الفكر العربي- ١٩٦٨م.

٢٦- حمزه علي لقمان- **تاريخ الجزر اليمنية**- دمشق- العالميه- ١٩٨١م.

٢٧- خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م)-**الأعلام**- بيروت- دار العلم- ١٩٩٠م

٢٨- رفعت عبد المطلب- **توثيق السنة في القرن الثاني الهجري**- الطبعة الاولى- القاهره- مكتبه الخانجي- ١٤٠٠هـ.

٢٩- ريتشارد مورتيل- **الاحوال السياسية الاقتصادية بمكة في العصر المملوكي**- الرياض- جامعة الملك سعود- ١٩٨٥م.

٣٠- سعاد ماهر -**البحرية في مصر الاسلامية وآثارها الباقية**- القاهرة- دار الكتاب العربي- ١٩٦٧م.

٣١- سعيد عاشور- **المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**- ط١- القاهره- النهضة العربيه- ١٩٦٢م.

٣٢- ________ **بحوث في تاريخ الاسلام وحضارته الظاهره**- القاهرة- عالم الكتب- ١٩٨٧م-.

٣٣- ________ **العصر المماليكي في مصر والشام**- ط٢- القاهرة- دار النهضة العربية- ١٩٧٦م.

٤٥- سليمان عبد الغني المالكي- **مرافق الحج والخدمات المدنية في الاراضي الاسلامية المقدسة**- رسالة ماجستير (غير منشوره) - كلية الآداب- جامعة القاهرة- ١٩٧٨م.

٣٥- ________ **بلاد الحجاز**- الرياض- مطبوعات دارة الملك عبد العزيز- ١٩٨٣م- ص١٤٩.

٣٦- سونياهاو- **في طلب التوابل**- ترجمة محمد عزيز رفعت- مراجعة محمود النحاسي- القاهره- ١٩٥٧م.

٣٧- سيد عبد المجيد بكر - **الملامح الجغرافيه لدروب الحجيج**- ط١- جدة- دار العلم- ١٤٠١هـ.

٣٨- سيد قطب- **ظلال القرآن**- القاهره- دار الكتاب- ١٩٦٩م.

٣٩- شاكر مصطفى- **التاريخ العربي والمؤرخون**- ط١- بيروت- دار العلم للملايين- ١٩٧٨م.

٤٠- شوقي ضيف- **تاريخ الادب العربي، عصر الدول والامارات**- بيروت- دار المعارف.

٤١- صبحي الصالح- **علوم الحديث ومصطلحه**- الطبعة الاولى- بيروت- دار العلم للملايين- ١٩٨٢م.

٤٢- ________ **النظم الاسلامية نشأتها وتطورها**- بيروت- دار الفكر- ١٩٧٨م.

٤٣- ضيف الله يحيى الزهراني- **زيف النقود الإسلامية**- مطابع الصفا- مكة- ط١- ١٤١٣هـ.

٤٤- ـــــــــ **أسعار المواد الغذائية بمكة المكرمة**- مطابع جامعة ام القرى- ١٤١١هـ.

٤٥- عائشة عبد الرحمن- **تراجم سيدات بيت النبوه**- بيروت- دار الكتاب العربي- بدون تاريخ.

٤٦- عاتق غيث البلادي- **معجم الحجاز**- مكة - دار مكة-١٤٠١هـ.

٤٧- ـــــــــ **نسب حرب**- مكة- دار مكة للنشر- ١٣٩٩هـ.

٤٨- عادل احمد الحشيشي- **تاريخ الفكر الاقتصادي**- بيروت- دار النهضه- ١٩٧٤م.

٤٩- عاطف سيد- **البحر الاحمر والعالم المعاصر**- ط٢- القاهرة- دار العلم- ١٩٨٥م.

٥٠- عبد الرؤوف قاسم محمود- **الكشف عن حقيقة الصوفيه**- بيروت- دار الصحابه- ١٤٠٨هـ.

٥١- عبد الرحمن فهمي السامح - **الوحدات النقدية المملوكية**- جدة- ١٤٠٣هـ.

٥٢- ـــــــــ **النقود العربيه ماضيها وحاضرها**- القاهرة- دار المعارف- ١٩٦٤م.

٥٣- عبد الرحمن محمود عبد التواب- **قايتباي المحمودي**- القاهره- الهيئة المصرية العامه للكتاب- ١٩٨٧م.

٥٤- عبد الرحيم نصر- **الاغوات**- الخرطوم- معهد الدراسات الافريقيه والآسيوية- ١٩٨٦م.
٥٥- عبد السيد حكيم امين - **قيام دولة المماليك في مصر والشام**- بيروت- دار النهضة العربيه- ١٩٦٩م.
٥٦- عبد العزيز سالم- **البحر الاحمر في التاريخ الاسلامي**- الاسكندريه- مؤسسة شباب الجامعة- ١٩٩٣م.
٥٧- عبد القدوس الانصاري - **تاريخ مدينة جدة**-ط٣- القاهرة- دار مصر للطباعة- ١٤٠٢هـ.
٥٨- عبد الكريم غرابيه- **مقدمة التاريخ العربي الحديث**- دمشق- مطبعة جامعة دمشق- ١٩٧٧م.
٩٧- عبد الله صالح العثيمين- **المملكة العربية السعودية**- ج٢- ط١- الرياض- دار العبيكان- ١٤١٦هـ.
٦٠- عبد الله فياض- **الاجازات العلميه عند المسلمين**- ط١- بغداد- ١٩٦٧م.
٦١- عبد الله قاسم الوشلي- **المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ**- الطبعة الاولى- بيروت- مؤسسة الكتب الثقافيه- ١٩٩٠م.
٦٢- عبد الوهاب عبد اللطيف- **المختصر في علم رجال الاثر**- الطبعة الثامنه- القاهره- دار الكتاب الحديث- ١٣٨٦هـ.
٦٣- عبد الوهاب عزام- **مجالس السلطان الغوري**- القاهره- لجنة التأليف والترجمة والنشر- ١٩٤١م.

٦٤- عـدد مـن المؤلفـين- **المنجـد في اللغـة والادب**- ط٢٦- بـيروت- دار الشروق- ١٩٧٦م.

٦٥- علي ابراهيم حسن- حسن ابراهيـم حسـن- **النظـم الاسلامية**- القـاهرة- مكتبة النهضة العربية- ١٩٣٩م.

٦٦- علي الضباع- **المريد شرح الشاطبيه**- القاهره- مصطفـى البـابلي الحلبي- ١٣٤٩هـ.

٦٧- علي حسين سليمان- **العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين الممـاليك**- القاهرة- دار المعارف- ١٣٩٣هـ.

٦٨- __________ **النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية في اواخـر العصـور الوسطى**- القاهرة- دار المعارف- ١٣٩٤هـ.

٦٩- علي سالم نباهين- **نظام التربيه في عصـر دولـة الممـاليك في مصـر**- ط١- القاهره- دار الفكر العربي- ١٩٨١م.

٧٠- عمـاد الدين خليـل - **دراسـات في السـيره**- ط١٠- بـيروت- مؤسسـة الرساله- ١٩٨٦م.

٧١- عمر رضا كحالة- **اعلام النسـاء**- دمشـق- مطبعـة الـترقي- ١٩٦١م- ج١.

٧٢- __________ **معجم المؤلفين**- مطبعة الترقي- دمشق- ١٩٦١م.

٧٣- غسان علي الرمال- **صراع المسـلمين مـع البرتغـاليين**- جـدة- دار العلـم- ١٩٨٥م.

٧٤- فاروق عثمان اباظه - **اثر تحول التجارة العالمية الى راس الرجاء الصالح**- الاسكندرية- دار المعارف- ١٩٨٧م.

٧٥- فؤاد عبد الحميد العنقاوي- **مكة الحج والطوافه**- ج١- بيروت- دار خضر- ١٤٠٥هـ.

٧٦- الليفتنات كولونيل ب. ج-جود- **مصر**- ترجمة راشد البراوي- القاهرة- مطبعة الاعتماد-١٩٨٠م.

٧٧- محمد احمد دهمان- **معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي**- بيروت- دار الفكر- ١٤١٠هـ.

٧٨- محمد احمد عبد العال - **البحر الاحمر**- القاهرة- دار الفكر- ١٩٨٩م.

٧٩- محمد السيد غلاب- **البلدان الاسلامية**- القاهرة- مكتبة الانجلو- ١٩٧١م.

٨٠- محمد بن منصور الشريف- **العيون في الحجاز وبعض أوديته**- الطائف- دار الحارثي- ١٤١٥هـ.

٨١- محمد جمال الدين قاسمي- **قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث**- تحقيق وتعليق محمد بهجة البيطار- الطبعة الثانيه- القاهره- دار احياء الكتب الحلبيه- ١٣٨٠هـ.

٨٢- محمد سالم حلمي- **اقتصاد مصر الداخلي**- ط١- الاسكندريه- ١٩٧٧م.

٨٣- محمد ضياء الدين الريس- **الخراج**- بيروت- دار الكتاب- ١٩٨٦م.

٨٤- محمد عبده- **نهج البلاغه**- ج١- بيروت- دار المعرفة- ١٩٧٣م.

٨٥- محمد فهد الفعر- **تطور الكتابات والنقوش في الحجاز في العصرين المملوكي والعثماني من القرن الثامن الهجري حتى القرن الثاني عشر الهجري-** رسالة دكتوراة غير منشوره- جامعة ام القرى- ١٤٠٦هـ-١٤٠٧هـ.

٨٦- محمد محمود السرودي- **معالم التاريخ الاوربي**- الاسكندرية- مطبعة المصري- ١٩٦٧م.

٨٧- محمد يوسف عابد-**التاريخ والمؤرخون**-رسالة دكتوراة (غير منشورة)- جامعة ام القرى- ١٤١٦هـ.

٨٨- محمود البهلي نيال- **الحقيقه التاريخية للتصوف الاسلامي**- تونس- مكتبة النجاح- ١٣٨٤هـ.

٨٩- محمود طه علا- **جغرافية شبه الجزيرة العربية**- القاهرة- دار العلم- ١٩٧٥م.

٩٠- مصطفى ابراهيم وآخرون- **المعجم الوسيط**- القاهره- دار الفكر- ١٩٧١م.

٩١٨٩- مصطفى السباعي- **المرأة بين الفقه والقانون**- القاهره- المكتب الاسلامي- ١٤٠٤هـ.

٩٢- مصطفى همشري- **النظام الاقتصادي في الاسلام**- الرياض- دار العلوم- ١٤٠٥هـ.

٩٣- معاويه هزاع الشمري- **المعجم الجغرافي لدول العالم**- القاهرة- مطبعة التقدم- ١٤٠١هـ.

٩٤- معروف الدواليبي- **المرأة في الاسلام**- بيروت- دار النفائس- ١٤٠٩هـ.

٩٥- موسى لقيال- **الحسبه المذهبيه نشأتها وتطورها**- الطبعـة الاولى- الجزائـر- الشركة الوطنية للنشر- ١٩٧١م.

٩٦- نعيم زكي فهمي- **طرق التجاره الدولية ومحطاتها بين الشرق والغـرب في اواخر العصور**- القاهرة- الهيئة المصرية- ١٩٧٣م.

٩٧- نوال حمزه الصيرفي- **النفوذ البرتغـالي في الخليـج العربـي في القـرن العاشـر الهجري/ السادس عشر الميلادي**- مطبوعات دارة الملك عبـد العزيـز- الريـاض- ١٤٠٣هـ.

خامساً: المجلات والدوريات:

١- احمد ابراهيم الغزاوي- **مجلة المنهل، شذرات الذهب** ج٦- ج٨- المجلد ٢٤ جمادى الثانية ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٢- احمد دراج- **ايضاحات جديدة عن التحول في تجارة البحر الاحمر منذ القرن التاسع الهجري**- المحاضرات العامه للجمعية المصرية للدراسات التاريخية- الموسم الثقافي- ١٩٦٧م.

٣- احمد عمر زيلعي- **المواقع الاسلامية المندثرة في وادي حلي**- حوليات كلية الآداب- جامعة الكويت- الرسالة ٣٩-١٩٨٦م.

٤- توفيق عامر- **احكام الرق في التشريع الاسلامي**- مجلة المؤرخ العربي- العدد٢٧- بغداد- ١٩٨١م.

٥- ________ **الرق واحكامه في التشريع الاسلامي**- مجلة المؤرخ العربي- العدد٢٧- بغداد- ١٩٨١م.

٦حمد الجاسر- **مجلة العرب** حسن القرى في ذكر اودية ام القرى، ج١،٢ رجب - شعبان ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٧- صلاح الدين المنجد- **اجازات السماع في المخطوطات القديمه**- مقاله نشرت في مجلة معهد المخطوطات العربيه- المجلد الاول- الجزء الثاني- لسنة١٩٥٥م.

٨- عبد الله عقيل العنقاوي- **كسوة الكعبة في العصر المملوكي**- مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانيه- م٥- جدة- جامعة الملك عبد العزيز- ١٩٨٥م- ١٤٠٥هـ.

٩- ________ **المحمل نشأته وآراء المؤرخين فيه**- مجلة كلية الآداب- ج٢- الرياض- جامعة الرياض- ١٣٩١هـ.

١٠- عبد المحسن مدعج- **رسالة في فضل جدة وشيء من خبرها** لجار الله بن فهد- مجلة معهد المخطوطات العربية- الكويت- م٣١- ١٤٠٧هـ.

١١- عمر عبد العزيز- **التعريف بالفقه**- بحث نشر في مجلة البحوث الفقهيه المعاصره- الرياض- العدد الاول- السنة الاولى- ١٤٠٩هـ.

١٢- محمد مجذوب- **رسالة المسجد في المجتمع**- مجلة الحج السنة الرابعة والعشرون- العدد١١.

١٣- يحيى الساعاتي - **ابن فهد وكتابه تحفة اللطائف**، مجلة الفيصل العدد ١٦ شوال ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

REFERENCES

1- Arnold (T.W.)
1973.
2-Ankawi,Abdullah
The Piljrimaje to Mecca in Mamluk Times, Arabian Stuis, R.B. Serjeant and R.L. Bidwell, London, 1970.
3- Cambride History of Islam, Cambridge, 1970.
4- Encyclopedia,of Islam, II, Luzac, London,1927.
5- Hogarth (D.G)
A History of Arabia, Oxford, 1922.
6- Sousa, Mannuel de Faroy
Theportujuese Asia
Transl atedinto Enjlish bj cap John Stevens, Vol.1,London,1894
7- Kammerer, (A)
La Mer Rouje, L,Abyssinie et l,Arabie Depuis l,Antlghlte,t. 1-11, Le Caire, La Societe Royalde Georaphe d,Ejypte,1Edit,1929.

الملاحق والخرائط

ملحق رقم (١)

رسالة من السلطان سليمان القانوني الى الشريف بركات بن محمد بمناسبة جلوس السلطان على العرش[(١)].

فهذا كتابنا الشريف السامي السلطاني وخطابنا المنيف المعالي الخاقاني لا زال الى نافذاً مطاعاً في الأطراف والاكناف بامداد امداد خفي الالطاف مبارك أرسلنا الى جناب الكريم الأميري الكبيري الأكرمي الافخمي الامجدي الارشدي الاكملي الاعدلي النصري الذخري العوني الوتدي العضدي الهامي المجاهد الاصلي العريفي الحسيبي النسيبي نسل السلالة الهاشمية فرع شجرة الزكية النبويه سند الملة المحمدية طراز العصابة العلوية سيد الامراء الاشراف في العالمين نصرة الغزاة والمجاهدين ظهير الملوك والسلاطين نسيب امير المؤمنين السيد الشريف زين الدين بركات ابن الشريف محمد امير مكة المكرمة ادام الله تعالى سعده وانجح قصده ولا زال في ظل الله وكرمه ومهبط وحيه وحرمه يهدي الى سلاماً جميل وثناء جزيلاً.

---

(١) اسماعيل حقي- **امراء مكة**- ص٤٧.

ملحق رقم (٢)

نص مرسوم السلطان سليم الأول الى الشريف بركات بتعيين أحد القضاة بمكة[1]:

مرسوم كريم مطلق إلى كل واقف عليه من المقر الكريم العالي المولوي الكبيري الشريفي الزيني أمير مكة المشرفة وشيخ الإسلام الشافعي بها والأكابر والأعيان والحكام الخاص والعام بالأقطار الحجازية أعزهم الله تعالى، بأن يتقدموا باعتماد ما تضمنه هذا المرسوم الكريم والعمل به وباطنه بالخط الشريف: بسم الله الرحمن الرحيم، الملكي المظفري خائر بك.

المرسوم بالأمر الكريم العالي المولوي الأميري الكبيري السيدي المالكي المخدومي الأعظمي السيفي خائر بك نائب السلطنة الشريفة بالديار المصرية وما مع ذلك، أعز الله تعالى أنصاره، وضاعف اقتداره. إلى كل واقف عليه من المقر الكريم والجناب العالي والمجلس السامي الغالي الأميري والقاضوي والقضاة الكبيرية الشريفي الزيني نائب السلطنة الشريفة بمكة المشرفة والاقطار الحجازية والأكابر والأعيان والخاص والعام وولاة الأمور بمكة أعزهم الله تعالى:

نعلمكم أن المجلس العالي القاضوي الكبيري العلاّمي البليغي المفيدي البارعي المجيدي الأوحدي الأكملي الأصيلي العريفي البديعي قاضي القضاة ابن أبي الليث ابن الضياء الحنفي تغمد الله تعالى روح والده برحمته وأدام نِعَمه.

---

(١) نيل المنى- ص٦٠-٦١.

المشار إليه توجّه إلى جهة الأعتاب الشريف المقام الشريف الخنكار الأعظم مالك رقاب الأمم، خلّد الله تعالى ملكه وسلطانه ونصر جيوشه وأعوانه، وعاد إلى أبوابنا العالية من حلب المحروسة وعلى يده مرسوم شريف، مشمول بالخط الشريف، يعوّد وظيفة قضاء القضاة الحنفية بمكة المشرفة إليه على جاري عادته، ومستقر قاعدته.

ومرسومنا لهم أن يتقدموا بتمكين نائب المشار إليه من تعاطي الأحكام الشرعية وإقامة ناموس الشرع الشريف إلى حين توجهه من أبوابنا العالية وتقوية يده وشدّ عضده ومعاملته بكل جميل وكل رعاية، ومساعدته على تنفيذ الأحكام الشرعية وإقامة ناموس الشرع الشريف من غير تهاون في ذلك ولا إهمال.

وليعتمد هذه المرسوم الكريم كل واقف عليه وسامع وناظر إليه وليعمل بمضمونه ومقتضاه، من غير عدول عن لفظه ولا خروج عن معناه، والخط العالي أعلاه، والحجة بفحواه، إن شاء الله تعالى. بتاريخ مستهل شهر صفر الخير سنة خمسة وعشرين وتسعمائة، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ملحق رقم (٣)

وثيقة من بعض علماء وتجار الحرم إلى السلطان العثماني محمد الاول يؤكدون فيها على رغبتهم في التعبير عن مكانة السلطان العثماني في قلوبهم[1].

العطف على مملكة العرب ونفي البغاة والمنافقين من بين أظهرهم فإن الظلم عم على سائر مملكة العرب وقد استباحت ملوكهم أخذ أموالهم وأفتت العلماء رضي الله تعالى عنهم... فإن الفساد عم في مملكة العرب وفشى بها الظلم وأبيح لهم قتل النفس التي حرمها الله تعالى وسبب ذلك الطمع في الملك والظلم فاخش أيها الملك العظيم البقاع الشريفة والأراضي المقدسة وطهرها من الظلم والأوجاش وفرح قلوب العلماء وسائر الناس تقديماً لخير الله وإن كثرة الرايات تدل أن الله يعمل لنشر العدل بها وينتظر الأخبار حلول البركات الشريفة ليشملهم العدل بحضور جم غفير من العلماء والفضلاء والأكابر والتجار وكلهم يتوسلون إلى الله تعالى أن يشمل النصر مولانا وينصره بنصره الشريف ويشمله بنظره الشريف وإقباله المنيف.

---

(١) مجموعة الوثائق التركية، رسالة غير منشورة. دارة الملك عبد العزيز بالرياض، تحت رقم٢٣٢٥.

ملحق رقم (٤)

براءة تعيين ابي نمي ابن الشريف بركات لمنصب شريف مكة المكرمة من السلطان سليمان القانوني بتاريخ ٩٣١هـ/١٥٢٤م[1].

البراءة الشريفة الصادرة من السلطان ساكن الجنان الغازي سليمان خان إلى الشريف ابي نمي:

تاريخها: ٩٣١هـ (تقديراً).

بمقتضى الخاتم السلطاني الشريف عالي الشأن والطغراء لحام العالم أجمع أمرنا بما هو آت.

لما كانت رعاية وإكرام الاشراف، وحماية واحترام الاخلاق الفخام -شرفهم الله تعالى الى يوم القيامة- من اولى وألزم كافة المصالح والمهام، ولما كان من المسلم به أن هذه الزمرة المشرفة تتميز بشرف المحتد، وطهارة النسب فإن من ضروريات العمل ومن ضرائب الدنيا علينا أن يكونوا معززين ومكرمين بما يشملهم من التوجه المملوكي والرعاية السلطانية.

أرسل عالي الجناب، ومآب السيادة وصاحب السعادة وصاحب شرف الانتساب الى أصحاب المناقب والمآثر. ومستجمع جميع المعالي والمفاخر والمختص بمزيد عناية خالق السموات امير مكة الأسبق السيد الشريف ابو نمي بن الشريف بركات، أدام الله تعالى سعده (نقول أرسل) إلى عتبتنا العالية،

---

(١) محمد عبد اللطيف البحراوي: شئون الحرمين الشريفين في العهد العثماني في ضوء الوثائق التركية العثمانية، ص٨٠-٥٢.

ومرجع عدالتنا برسالة أبلغ فيها بأن أمير مكة المعظمة المرحوم الشريف أحمد قد وافته المنية، طيب الله ثراه، وبأن الشريف حسن (أحد أبنائه) -صاحب الألقاب السابق ذكرها- دام سعده على دراية بأمور الرئاسة وصاحب فراسة في شئون السياسة، ويصلح من كافة الوجوه لضبط البلاد، وحفظ الرعايا والعباد، ومن ثم فهو جدير بأمانة وحكومة مكة المعظمة شرف المدائن والأمصار شرفها الله تعالى إلى يوم القرار -ومستحق لها، وقد أرسل امير الامراء العظام وكبير الكبراء الفخام، وذو القدر والاحترام وصاحب العز والاحتشام، والمختص بمزيد عناية الملك الأعلى أمير أمراء مصر (بكلريكي) محمد باشا -دام إقباله- رسالة في هذا الشأن مبلغاً ما يجعل أبواب عنايتي مفتوحة، وجميع بركاتي السلطانية مكشوفة للسيد الشريف أبي نمي- أدام الله تعالى سعده- كما انعطفت عاطفتي السلطانية عالية القدر إلى ابنه المذكور، ومن ثم فقد أمرت في اليوم الثاني والعشرين من شوال المكرم لسنة ستين وتسعمائة للهجرة بما هو آت:

بمقتضى أمري عالي الشأن يصبح السيد حسن المشار إليه دامت سيادته هامش رقم أميراً لمكة اعتباراً من اليوم (بعد اليوم) ، وعليه بضبط وحماية البلاد والأمصار التابع للولاية براعاياها وبرايأها بحواضرها وبواديها وبراريها وحماية ورعاية الحجيج القادمين من كل فج في ممالي المحروسه في حدود القانون والعادات المرعية منذ القدم، وحرساة طرقهم وبركهم (آبارهم وعيونهم) حراسة كافية، والحكم دائماً بقسطاس الشرع القويم، مقياس القانون المستقيم، وتلك هي الوظائف والخدمات المبرورة والموفورة والمساعي

المشكورة لإمارة وحكومة مكة المعظمة، كان ذلك نهج أخيه المرحوم الأمير السابق لمكة المكرمة المباركة الذي أمضى إمارته بكل عدل وانصاف، و لم يخالف الشرع المطهر، أو يحيد عن القانون المقرر، و لم يظلم أحداً أو يعتدي على أي فرد أو يؤذيه وليعلم سادات وأشراف الولاية المعمورة المذكورة وأشرافها وعلماؤها أمراؤها وفقهاؤها وكبراؤها وأئمتها وخطباؤها وعموم الولاية والحكام ووكلائها وعربانها وكافة أهالي الولاية وضيعهم رفيعهم صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم أن المذكور (أعلاه) هو أمير مكة المباركة، فعليهم بمراجعته في أمور الجمهور الخاصة بالحكومة والولاية وعليهم أن يتوافروا على تعظيمه واكرامه وتمديحه واحترامه وأن يتوفروا على الدعاء في الغدو والآصال في تلك الأراضي المطهرة المشرفة والمقامات العالية المباركة بدوام دولتي السلطانية وبقاء مجدي وعظمتي المملوكية وأن يعتمدوا العلامة الشريف.

ملحق رقم (٥)

جدول يبين مقدار ونوع الصدقة وسنة وصولها

من ثنايا المصدر نيل المنى

الشهر/ السنة	مرسل الصدقة	مقدارها	
ذو القعدة	الصدقة الرومية	١٠٠ دينار ذهب	
صفر ٩٢٤هـ	صدقة اللاك الهندية	٥٠٠ لاك (مائة الف)	
جماد اول/ ٩٢٥هـ	صدقة نائب مصر	اربعة آلاف اردب قمح	
٩٢٥هـ	الصدقة الهندية	٦ آلاف اردب قمح	
٩٢٥هـ	الصدقة الهندية	٤ آلاف دينار	
جمادى ثان ٩٢٥هـ	الصدقة المصري	١٨٠٠ أردب	
ذي الحجة/ ٩٢٥هـ	الصدقه الشاميه	٥٠٠ دينار	
جماد الثاني/ ٩٢٦هـ	الصدقة الرومية	٢٠٠ دينار	
ج٢/٩٢٦هـ	صدقة التاجر محمد الدمشقي	٣٠,٠٠٠ ألف دينار	
شعبان/ ٩٢٦هـ	الصدقة الهندية	٢ الف دينار	
رمضان/ ٩٢٦هـ	الصدقة الرومية	٤٠٠ حمل دقيق	
ربيع اول/ ٩٣٥هـ	الصدقة الهندية	اقمشة وثياب حرير	
" " ٩٣٥	الصدقة الهنديه	١٢٠ الف دينار	
رمضان/ ٩٣٥هـ	الصدقة الهندية	٢٤ الف دينار	
ذو القعدة/ ٩٣٥هـ	ملك الهند	١٠,٠٠ دينار	
"/" ٩٣٥هـ	امير الصعيد	١٠٠٠ دينار	
ذي الحجة/ ٩٣٥هـ	امير الصعيد	١٢٠٠ أردب قمح	
"/" ٩٣٥هـ	الصدقة الحلبية	٤٦,٠٠٠ الف عثماني	
ذي الحجة/ ٩٤٠هـ	الصدقة الشامية	٣٤,٠٠٠ درهم	
جمادى ثان/ ٩٤٣هـ	علاء الدين ملك التجار	٢٠,٠٠٠	
ربيع الاول/ ٩٤٦هـ	الصدقة الرومية	٨٠٠ اردب قمح	

جدول يوضح ارتفاع وانخفاض أسعار المواد الغذائية في الفترة الزمنية للبحث[1]

اليـــوم	الشـــــهر	السنـــــة	النـــــوع	الـــوزن	الســـعر
الثلاثاء	رمضان	٩٢٤هـ	الربعيه المصرية	الربعيه	بمحلقين.
" "	رمضان	٩٢٤	الربعيه الحجازية	" "	بثلاثة محلقه
" "	رمضان	٩٢٤	السمن	الرطل	بأربعة محلقه
" "	رمضان	٩٢٤	العسل	الرطل	بمحلقتين ونصف.
" "	رمضان	٩٢٤	الجبن	الرطل	بثلاثة محلقه
" "	رمضان	٩٢٤	الرواب للماء الحلو	الرطل	بمحلقه ونصف.
" "	رمضان	٩٢٤	اللحم	الرطل	بمحلقه.
" "	رمضان	٩٢٤	الارز المصرية	الربعية	بثلاثه محلقه
" "	رمضان	٩٢٤	العنب	الرطل ونصف	بمحلقه.
" "	شوال	٩٢٤	الحب المصرية	الربعيه	بمحلقتين ونصف.
" "	ذي الحجه	٩٢٤	السمسم	الرطل	بعشرة محلقه
" "	ذي الحجه	٩٢٤	الكبش		بدينار
" "	ذي الحجه	٩٢٤	البطيخ الاخضر		ربع دينار
" "	ذي الحجه	٩٢٤	شكوة اللبن الصغيرة	الرطل	دنيار
" "	ذي الحجه	٩٢٤	السمن	الرطل	١٢ محلقه
الاربعاء	محرم	٩٢٥	الذره		محلقه
الاربعاء	محرم	٩٢٥	الذره الدهلكيه	الربعيه	٨ ومحلق ونصف
الاربعاء	محرم	٩٢٥	الشعير	الربعيه	٦ محلقه
الاربعاء	محرم	٩٢٥	الحب الحجازي	الربعيه	٥ محلقه
الاربعاء	محرم	٩٢٥	اللحم الضاني	الرطل	بمحلقه وربع.
الاربعاء	محرم	٩٢٥	اللحم الماعز	الرطل	بمحلق.
الاربعاء	محرم	٩٢٥	اللحم الجملي	رطل ونصف	بمحلق.
الاربعاء	محرم	٩٢٥	اللحم البقري	رطل ونصف	بمحلق.
الاربعاء	محرم	٩٢٥	السمن	الرطل	عشرة محلقه
الاربعاء	محرم	٩٢٥	الأرز	الرطل	عشرة محلقه ونصف

---

(١) معظم الجداول مرصوده من كتاب نيل المنى وتبدو لنا دقة المؤرخ جار الله بن فهد في رصد أسعار السلع وأوزانها في عصره.

اليوم	الشهر	السنة	النوع	الوزن	السعر
الجمعه	محرم	٩٢٥هـ	الحب الحجازي	الربعيه	أربعة محلقه
" "	محرم	٩٢٥	الحب المصري	الربعيه	بخمسة محلقه ونصف
الاربعاء	٢٤محرم	٩٢٥	الحنطه الحجازية	الربعيه	بخمسة محلقه
الاربعاء	٢٤محرم	٩٢٥	القيمه الذر والدخن	الربعيه	بستة محلقه
الاربعاء	٢٤محرم	٩٢٥	الزبيب	الرطل	بأربعة محلقه
الاربعاء	٢٤محرم	٩٢٥	التمر	الربعيه	بمحلقتين إلا ربع.
الجمعه	٢٦محرم	٩٢٥	الحب المصري	الربعيه	٤ محلقه و٣ ونصف
الاثنين	٣صفر	٩٢٥	الحب المصري	الربعيه	بأربعة محلقه
الخميس	١٠صفر	٩٢٥	الحب الحجازي	الربعيه	بسبعة محلقه
الخميس	١٠صفر	٩٢٥	النخلية	الربعيه	بخمسة محلقه
الخميس	١٠صفر	٩٢٥	الدخن	الربعيه	بخمسة محلقه
الخميس	١٠صفر	٩٢٥	الذره	الربعيه	بخمسة محلقه
السبت	١٢صفر	٩٢٥	الحب	الربعيه	بأربعة محلقة إلا ربعاً
السبت	١٢صفر	٩٢٥	الضاني	الرطل	بمحلق.
السبت	١٢صفر	٩٢٥	الماعز	رطل وربع	بمحلق.
الاثنين	١٤صفر	٩٢٥	التمر	رطل وربع	بمحلق.
الاربعاء	١٦صفر	٩٢٥	السمن	الرطل	بأربعة محلقه وربع
الجمعه	١٨صفر	٩٢٥	الحب	الربعيه	ثلاثة محلقه ونصف
الجمعه	١٨صفر	٩٢٥	الحب المصري	الربعيه	بأربعة محلقه وخمسه
الجمعه	١٨صفر	٩٢٥	الدخن	الربعيه	محلقه وسته
الجمعه	٢٣ربيع اول	٩٢٥	الذره	الربعيه	بمحلقتين ونصف.
السبت	" "	٩٢٥	الحب المصري	الربعيه	بخمسة محلقه
السبت	" "	٩٢٥	اللقيمه	الربعيه	بستة محلقه
السبت	" "	٩٢٥	الأرز	الربعيه	بخمسة محلقه ونصف
السبت	" "	٩٢٥	الذره	الربعيه	بخمسة محلقه
السبت	" "	٩٢٥	السمن	الرطل	بثمانية محلقه
السبت	" "	٩٢٥	الجبن	الرطل	بمحلقتين ونصف.
السبت	" "	٩٢٥	العسل	الرطل	بثلاثة محلقه
السبت	" "	٩٢٥	اللحم	الرطل	بمحلق ونصف.

اليوم	الشهر	السنة	النوع	الوزن	السعر
السبت	١٦جمادى الثاني	٩٢٥هـ	الماء	الراويه	بمحلقتين إلا ربع
السبت	١٦جمادى الثاني	٩٢٥	الماء	القربه	بمحلق وربع
الثلاثاء	٢٨رجب	٩٢٥	رطب برني	الرطل	بمحلق ونصف
الثلاثاء	٢٨رجب	٩٢٥	اللبانه	الرطل	بمحلقتين
الثلاثاء	٢٨رجب	٩٢٥	السمن	الرطل	بسبعة محلقه
الثلاثاء	٢٨ردب	٩٢٥	اللحم	الرطل	بمحلق ونصف
الثلاثاء	٢٨رجب	٩٢٥	الحب	الربعيه	بأربعة محلق
الثلاثاء	٢٨رجب	٩٢٥	الماء	القربه	بمحلق ونصف
الثلاثاء	٢٨رجب	٩٢٥	العنب	الرطل	بمحلق
الثلاثاء	٢٨رجب	٩٢٥	الخوخ	رطل وربع	بمحلق
الجمعه	رمضان	٩٢٥	الحب المصري	الربعيه	بأربعة محلقه
" "	رمضان	٩٢٥	اللقيميه	الربعيه	بخمسة محلقه
" "	رمضان	٩٢٥	الذره	الربعيه	بأربع محلق الا ربع
" "	رمضان	٩٢٥	اللحم الضاني	الرطل	بمحلقين
" "	رمضان	٩٢٥	اللحم الجمل	الرطل	بمحلقه
" "	رمضان	٩٢٥	اللحم الماعز	الرطل	بمحلق ونصف
" "	رمضان	٩٢٥	السمن	الرطل	بسبعة محلقه
" "	رمضان	٩٢٥	الماء	الراويه	بثلاثة محلقه
" "	رمضان	٩٢٥	الماء	القربه	بمحلق ونصف
السبت	١١ذي القعدة	٩٢٥	الحب المصري	الربعيه	بخمسة محلقه
السبت	١١ذي القعدة	٩٢٥	النخيله	الربعيه	بخمسة محلقه
الخميس	١صفر	٩٢٦	الحب المصري	الربعيه	بمحلقين ونصف
" "	١صفر	٩٢٦	السمن	الرطل	بأربعة محلقه
" "	١صفر	٩٢٦	الجبن	الرطل	بمحلق ونصف
" "	١صفر	٩٢٦	اللحم الضاني	الرطل	بمحلقين
" "	١صفر	٩٢٦	اللحم الجمل	الرطل	بمحلق
" "	١صفر	٩٢٦	الماء الحلو	القربه	بربع محلق
الأحد	١ربيع اول	٩٢٦	الحب المصري	الربعيه	بمحلقين ونصف
الثلاثاء	٣ربيع ثاني	٩٢٦	الحب المصري	الربعيه	بمحلق ونصف
الثلاثاء	٣ربيع ثاني	٩٢٦	السمن	الرطل	بثلاثة محلق

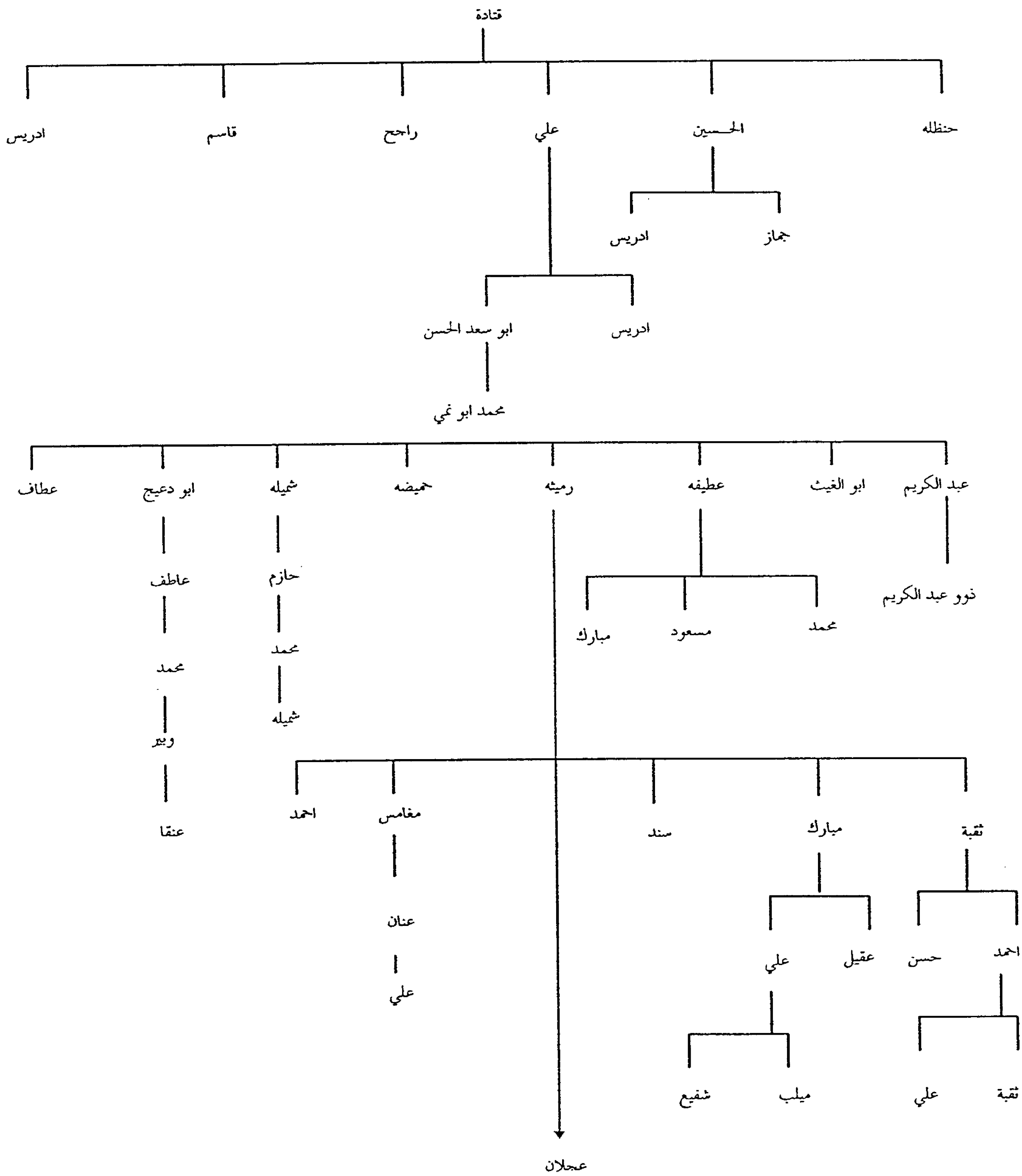
اليوم	الشهر	السنة	النوع	الوزن	السعر
الثلاثاء	٣ربيع ثاني	٩٢٦هـ	الجبن	الرطل	بمحلق.
الأحد	١٥ربيع ثاني	٩٢٦	الحب	الربعيه	بثلاثة محلقه
" "	١٥ربيع ثاني	٩٢٦	الشعير	الربعيه	بمحلقين.
" "	١٥ربيع ثاني	٩٢٦	الدخن	الربعيه	بمحلقين إلا ربع.
" "	١٥ربيع ثاني	٩٢٦	الذره	الربعيه	بمحلقين إلا ربع.
الخميس	٢شعبان	٩٢٦	الحب	الربعيه	بمحلقين الا ربع أو محلق ونصف
" "	٢شعبان	٩٢٦	الماء	القربه	محلق ونصف
" "	٢شعبان	٩٢٦	الماء	الراويه	بمحلقين.
الاربعاء	١٢ذي الحجه	٩٢٦	الحب المصري	الربعيه	بمحلقين ونصف.
الاربعاء	١٢ذي الحجه	٩٢٦	النخيله	الربعيه	بثلاثة محلقه
الاربعاء	١٢ذي الحجه	٩٢٦	اللحم	الرطل	بمحلقين ونصف.
الاربعاء	١٢ذي الحجه	٩٢٦	الماء	الراويه	بأربعة محلقه
الاربعاء	١٢ذي الحجه	٩٢٦	السمن	الرطل	بثمانية محلقه
الثلاثاء	محرم	٩٢٧	اللقيميه	الربعيه	بأربعة محلقه
الثلاثاء	محرم	٩٢٧	الحب المصري	الربعيه	بثلاثة وربع محلق
الثلاثاء	محرم	٩٢٧	الدخن	الربعيه	بثلاثة محلقه
الثلاثاء	محرم	٩٢٧	الذره	الربعيه	بثلاثة محلقه
الثلاثاء	محرم	٩٢٧	السمن	الرطل	بسبعة محلقه
الثلاثاء	محرم	٩٢٧	اللحم	الرطل	بمحلقين ونصف.
الثلاثاء	محرم	٩٢٧	الماء	الراويه	بمحلقين.
الجمعه	٢٥محرم	٩٢٧	اللقيميه	الربعيه	بأربعة محلقه ونصف
الجمعه	٢٥محرم	٩٢٧	النخيله	الربعيه	بأربعة محلقه
الجمعه	٢٥محرم	٩٢٧	الحب المصري	الربعيه	بأربعة محلقه الا ربع
الجمعه	٢٥محرم	٩٢٧	الدخن	الربعيه	بثلاثة محلقه
الجمعه	٢٥محرم	٩٢٧	الذره	الربعيه	بثلاثة محلقه
الجمعه	٢٥محرم	٩٢٧	السمن	الرطل	بسبعة محلقه
الجمعه	٢٥محرم	٩٢٧	اللحم	الرطل	بمحلقين ونصف.
الجمعه	٢٩ربيع اول	٩٢٧	اللحم	الرطل	بمحلق وربع.
الجمعه	٢٩ربيع اول	٩٢٧	الحب الحجازي	الربعيه	بخمسة محلقه ونصف
الجمعه	٢٩ربيع اول	٩٢٧	الدخن	الربعيه	بأربعة محلقه

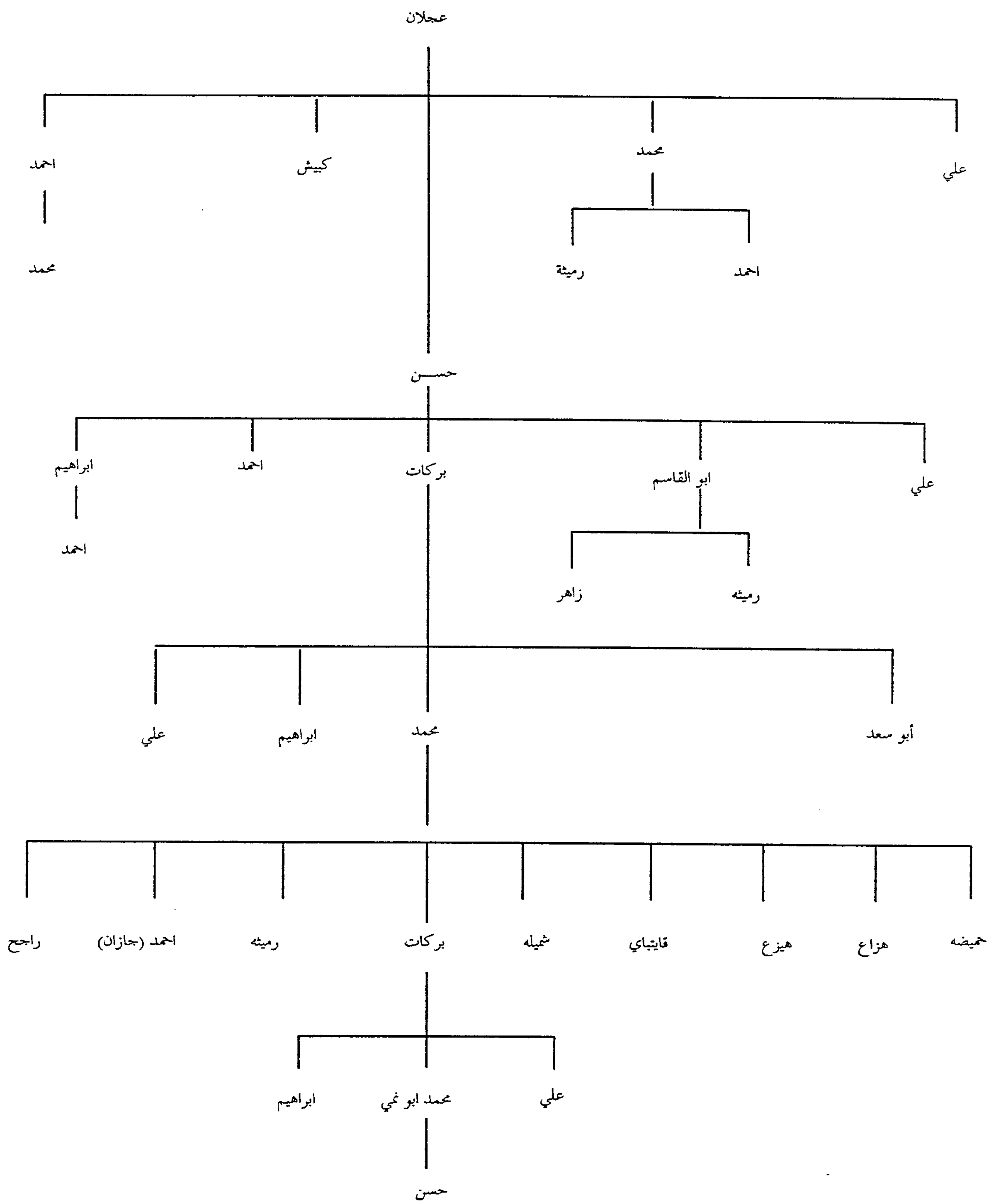
اليوم	الشهر	السنة	النوع	الوزن	السعر
الجمعه	٢٩ربيع اول	٩٢٧هـ	الذره	الربعيه	بأربعة محلقه
الجمعه	١٨جمادى اول	٩٢٧	الحب المصري	الربعيه	بمحلقين ونصف.
الجمعه	١٨جمادى اول	٩٢٧	الذره	الربعيه	بمحلق.
الجمعه	١٨جمادى اول	٩٢٧	الدخن	الربعيه	بمحلق وربع.
الجمعه	١٨جمادى اول	٩٢٧	النخيله	الربعيه	بثلاثة محلقه
الاربعاء	١٩رمضان	٩٣٢	الحب المصري	الربعيه	ربع دينار ونصف
الاربعاء	١٩رمضان	٩٣٢	الذره	الربعيه	خمسة محلقه
الاربعاء	١٩رمضان	٩٣٢	الشعير	الربعيه	أربعة محلقه
الاربعاء	١٩رمضان	٩٣٢	الفول	الربعيه	ثلاثة محلقه ونصف
الجمعه	٢٩شوال	٩٣٢	الحب المصري	الربعيه	محلقه
الجمعه	٢٩شوال	٩٣٢	الحب اليماني	الربعيه	سبعة محلقه ونصف
الجمعه	٢٩شوال	٩٣٢	الذره	الربعيه	ستة محلقه
الجمعه	٢٩شوال	٩٣٢	الفول	الربعيه	خمسة محلقه
الجمعه	٢٩شوال	٩٣٢	السمن	الرطل	١٥و١٨ محلقه
	أول ذي القعده	٩٣٢	اللقيميه	الربعيه	عشرة محلقه
	أول ذي القعده	٩٣٢	الدخن	الربعيه	ثمانية محلقه
	أول ذي القعده	٩٣٢	الحب المصري	الربعيه	ثمانية محلقه
	أول ذي القعده	٩٣٢	الذره	الربعيه	بسبعة محلقه
	أول ذي القعده	٩٣٢	الشعير	الربعيه	بستة محلقه
	أول ذي القعده	٩٣٢	الرطب	الرطل	بمحلقين.
	أول ذي القعده	٩٣٢	اللبانه اليابسه	الرطل	بمحلقين ونصف.
	أول ذي القعده	٩٣٢	العنب	الرطل	بمحلق ونصف.
	أول ذي القعده	٩٣٢	اللحم الضاني	الرطل	بأربعة محلقه
	أول ذي القعده	٩٣٢	اللحم الماعز	الرطل	بمحلقين.
	أول ذي القعده	٩٣٢	اللحم الجملي	الرطل	بمحلقين.
الاربعاء	٢٥ذي الحجة	٩٣٢	الحب المصري	الربعيه	بستة محلقه
الاربعاء	٢٥ذي الحجة	٩٣٢	النخيله	الربعيه	بستة محلقه ونصف
السبت	٢٨ذي الحجه	٩٣٢	الحب المصري	الربعيه	بأربعة محلقه ونصف
السبت	٢٨ذي الحجه	٩٣٢	الذره	الربعيه	بأربعة محلقه
السبت	٢٨ذي الحجه	٩٣٢	الدخن	الربعيه	بأربعة محلقه
السبت	٢٨ذي الحجه	٩٣٢	الأرز	الربعيه	بسبعة محلقه

اليوم	الشهر	السنة	النوع	الوزن	السعر
الاثنين	محرم	٩٣٣هـ	الحب المصري	الربعيه	بدينار ونصف محلق
الاثنين	محرم	٩٣٣	السمن	الرطل	بدينار اشرفي
الاثنين	محرم	٩٣٣	اللحم	الرطل	بخمسة محلق
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	الدخن	الربعيه	بسبعة محلقه
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	الذره	الربعيه	بستة محلقه ونصف
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	اللقيميه	الربعيه	بتسعة محلقه
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	اللقيميه اليمانية	الربعيه	بثمانية محلقه
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	الدخن	الربعيه	بأربعة محلقه
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	الذره	الربعيه	بأربع محلقه ونصف
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	الدخن	الربعيه	بخمسة محلقه
الجمعه	١٩ربيع اول	٩٣٣	السمن	الرطل	بثلث دينار
الجمعه	٢٨رجب	٩٣٣	الجبن	الرطل	بخمسة محلقه
الجمعه	٢٨رجب	٩٣٣	اللحم	الرطل	بمحلق ونصف وربع
الخميس	٢٣ذي القعدة	٩٣٣	اللقيميه	الربعيه	بثلاثة ونصف محلقه
الخميس	٢٣ذي القعدة	٩٣٣	الدخن	الربعيه	بثلاثة ونصف محلقه
الخميس	٢٣ذي القعدة	٩٣٣	الذره	الربعيه	بثلاثة ونصف محلقه
الخميس	٢٣ذي القعدة	٩٣٣	اللحم	الرطل	بمحلق ونصف
الخميس	٢٣ذي القعدة	٩٣٣	الماء	الراويه	بمحلق
الاحد	٣ذي الحجه	٩٣٣	القمح	الربعيه	بثلاثة محلقه
الاحد	٣ذي الحجه	٩٣٣	الماء	الراويه	بمحلق
الثلاثاء	٤محرم	٩٤٢	الحب المصري	الربعيه	بثلاثة محلقه وربع
الاحد	١٦جمادى	٩٤٢	السمن	الرطل	بتسعة محلقه
الاحد	١٦جمادى	٩٤٢	اللحم	الرطل	بثلاثة محلقه
	٢رمضان	٩٤٥	الحب المصري	الربعيه	بتسعة محلقه
	٢رمضان	٩٤٥	اللقيميه	الربعيه	بعشرة محلقه
	٢رمضان	٩٤٥	الارز	الربعيه	بسبعة محلقه
	١محرم	٩٤٦	الحب المصري	الربعيه	بثلاثة محلقه
	١محرم	٩٤٦	الحب الحجازي	الربعيه	بكبيرين محلقين
	صفر	٩٤٦	اللحم	الرطل	بأربعة محلقه
	صفر	٩٤٦	السمن	الرطل	عشرة محلقه
	صفر	٩٤٦	العنب	الرطل	بخمسة محلقه

ملحق رقم (٦)

نسب أشراف بنو قتادة الحسنيين حكام مكة

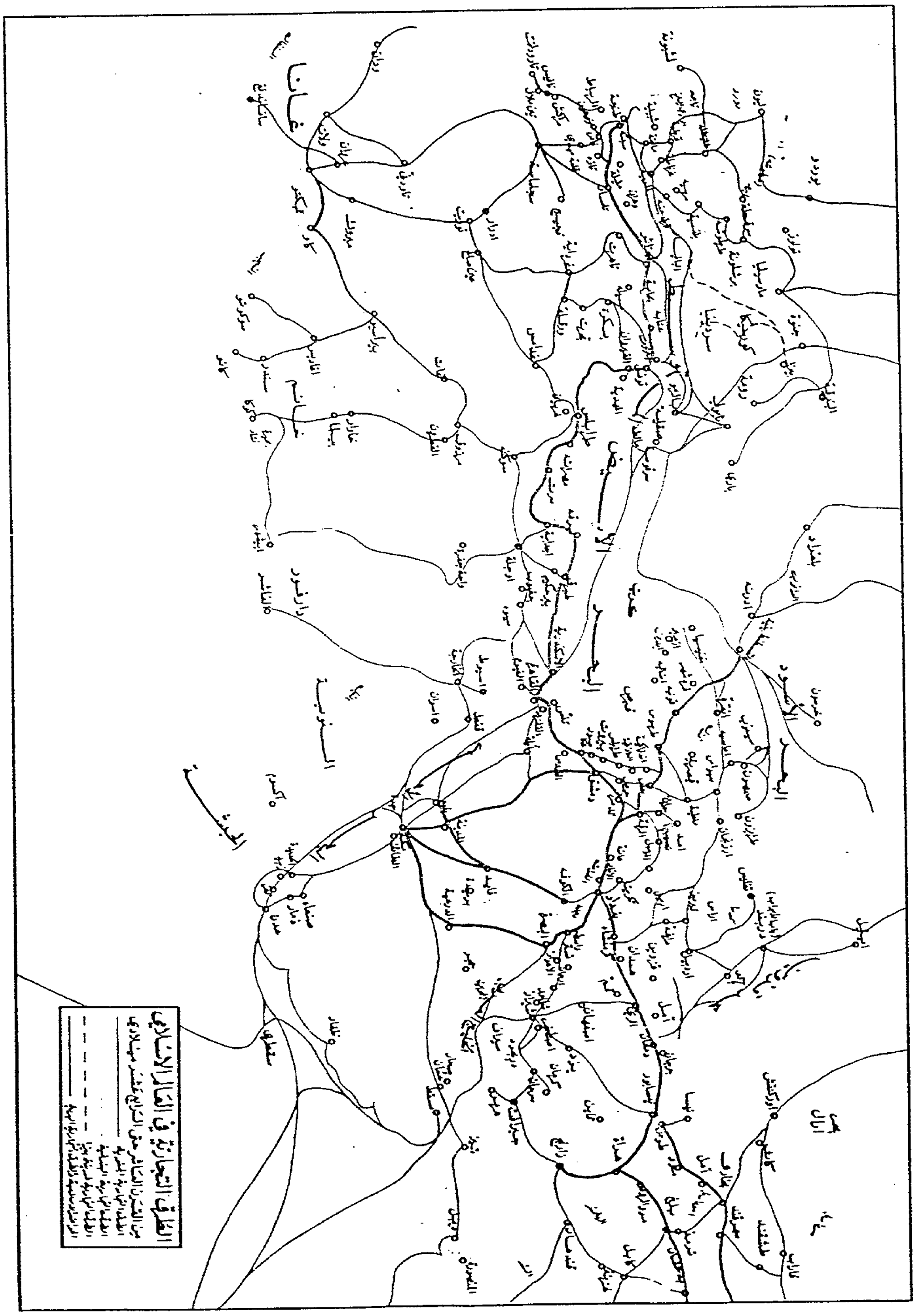




عجلان
علي
محمد
كبيش
احمد
احمد
رميثة
محمد
حسـن
علي
ابو القاسم
بركات
احمد
ابراهيم
رميثه
زاهر
احمد
أبو سعد
محمد
ابراهيم
علي
حميضه
هزاع
هيزع
قايتباي
شميله
بركات
رميثه
احمد (جازان)
راجح
علي
محمد ابو نمي
ابراهيم
حسن

ملحق رقم (٦)

خريطة توضح الطرق التجارية في العالم الاسلامي



الكشــافات

كشاف الآيات القرآنية

كشاف الأحاديث النبوية

طرف الحديث | الصفحة

طرف الحديث	الصفحة
خير الصداق أيسره	٣٨١
الدنيا متاع	٣٧٧
الذهب بالذهب	٢٩٣
طلب العلم فريضة	٦٠٩/٥٨١
كل خير هؤلاء قوم يقرأون القرآن	٥٤٦
كلا المجلسين خير	٦٥٤
كلكم راع وكلكم مسئول	٧٢٥
لا تكتبوا عني شيئاً	٧٠٧
لا يحل لثلاثة يكونون	٤٨٩
لا يدخل الجنة	٣١٥
لا يشكر الله	١
لصاحبها بكل شعرة حسنة	٢٨٣
اللهم بارك لأمتي	٦٥٩
لولا الهجرة لسكنت مكة	٣٤٧
ما ملأ ابن آدم	٤٧٣
مروا أولادكم بالصلاة	٦٤٧
من رأى منكم منكراً	٧٥٩
نحن قوم لا نأكل	٤٧٣
هذا يوم تستر فيه الكعبة وترتفع	٤٨٩

كشاف الأعلام

أ

ب

ت

ح

خ

ش

ص

عمر الشماع.. ٣٢-٧٨٠

ك

ل

م

ن

نسيم الدين عبد الغني المرشدي............ ٣٣٧-٣٨٤-٤٣٧-٧٠٤-٧٤٥

هـ

و

ي

كشاف أعلام النساء

أ

ب

ت

ج

كشاف الأماكن والبلدان

أ

ب

ت

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس الجماعات والقبائل والأسر والدول

أ

ب

كشاف الالفاظ الاصطلاحية

أ

ب

د

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

كشـــــاف الكتـــب

كشاف الأشعار

أول البيت	القافية	القائل	عدد الابيات	الصفحة
		أ		
الا يا مستعير الكتب اقصر	الراء	مجهول	بيتان	٦٠٠
احسنت في تدبير ملكك	النون	المقري	بيتان	٥٥٤
اسهد الناس يوم التلاقي	القاف	باكثير	ثلاثة	٥٩٦
افاطم لو شهدت ببطن خبث	الراء	مجهول	بيتان	٥٥٤
اقبل الموسم المبارك	الراء	مجهول	بيتان	٤٩٨
اكابرنا شيوخ العلم	الواو	مجهول	بيتان	٢٨
		ب		
بكت لمن وافقني	الزاء	مجهول	بيتان	٥٠٣
بهذا الفتور وهذا الهيف	الفاء	عجلان	اربعة	٥٥٥
بهذي العيون وهذا القوام	الميم	عجلان	ستة	٥٥٥
بوفاة الامام جار الله	الهاء	الحلبي	بيتان	٣٠
		ت		
تداركه في منصل الآل	الباء	الاعشى	بيت	٤٣٤

قائمة الموضوعات

قائمة المواضيع

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة